This is a reproduction of a library book that was digitized by Google as part of an ongoing effort to preserve the information in books and make it universally accessible.

Google books

https://books.google.com

Digitized by Google

D 6 d

Digitized by Google

Digitized by Google

ISTITUTO PER GLI STUDI ORIENTALI
UNIVERSITÀ ROMA
Digitized by Google

الكتاب الثاني والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

وحمل ملاعب الاسنة على الميسرة . وصاح فيها صيحة منكرة . وكبكب الرجال خمسة خمسة وعشرة عشرة . ومثل ذلك فعل مقري الوحش والهطال . وباقي الفرسان والابطال . وابصر مقدم الطليعة تلك الفعال . فاعتراه الاندهال . وخرج عن دايرة الاعتدال . وقال لمن حوله من الرجال . وحق دين المسيح . والاعتقاد الصحيح . ما كنت احسب هولا الفرسان قبل قدومهم الى هذا المكان . الا رسلا من بني عبس وعدنان . قد جاوا يطلبون منا الامان . واراهم الان . قد انقسموا قسمان . وتفرقوا فرقتان . وهجموا على طليعتنا كسباع خفان . وبادروها بالحرب والطعان . وقتلوا منها جماعة من الشجعان . ولا شك ان وراهم كمين من الرجال . وصناديد الابطال . فدونكم وإياهم في القتال . وكل من قدر منكم على فارس منهم لا يقتله بل يكتفه وياتي به الي وبجماله . حتى التقي به قايد الجيوش والعساكر . سيدنا الامير ضامر . لان الملك الكبير . صاحب التاج والسرير . قد امره قبل خروجه من الاطلال . با لفرسان

Digitized by Google

والابطال . ان ياتيه باعداه سالمين الى دمشق . حتى يميتهم
هناك بالصلب والشنق . فامتثلوا الى ما امر . وانتدب منهم نحو
خمسماية نفر . وقصدوا الى نحو عنتر . بقلوب اصلب من الحجر
وكانوا قد احتقروه عند النظر . وما علموا انهم نار لم تبقِ ولم
تذر . وان كل واحد منهم يلقى قبيلة ويربح عليها ولا يخسر .
الا ان الغبار ما طلع عليهم واعتكر . حتى تساقطوا عن الخيول
مثل ورق الشجر . وطارت جماجمهم مثل الاكر . وعاد الاقل
منهم يطلب الاكثر . ورجعوا الى مقدمهم الاكبر . وحدثوه بما
تم عليهم من الامر المنكر . فلما سمع منهم ذلك الخطاب . غاب
عن الصواب . واشتد عليه المصاب . وصاح على من حوله من
الرجال . وفرسان المعارك والقتال . وقال لهم دونكم وهولا
الانذال . قبل ان تقدم علينا العساكر . وينفضح امرنا مع سيدنا
الامير ضامر . الا انه لم ينتهي من هذا المقال . حتى اخذته
الصيحات من اليمين والشمال . وابصر باقي الجيش قد تضعضع
فداخله الخوف والفزع . وحمل بنفسه يطلب القتال . والحرب
والنزال . ولما صار في مقام الخطر . ادركته ملاعب الاسنة اسرع
من لمح البصر . وطعنه بالرمح في صدره خرج يلمع من ظهره .
فوقع في بني غسان الانذهال . وتغيرت منهم الاحوال . لما شاهدوا
تلك الفعال فولوا الادبار * وركنوا الى الهرب والفرار وتبعتهم
بنو عبس في تلك البطاح * وهم يضربون فيهم بالسيوف ويطعنون

بالرماح الى ان اقبل الليل واظلم * ولاح الغبار الاقتم * ووصل الجيش العرمرم * وابصرت بنو عبس وعامر * غبار العساكر * فعادت تطلب الجبال والشعاب . وقد تعوضت ببعض الخيول والاسلاب . واما الرجال الذين سلموا من فرسان بني عبس وعدنان . فانهم جدوا في قطع الروابي والكثبان . حتى التقوا ببني غسان * وحدثوهم بما جرى وكان . فلما بلغ الامير مضار ذلك الخبر . طار من عينيه الشرر وتنغص عيشه وتمرمر . وقال وحق القربان . والمسيح الديان * ان هذا الحديث لا يقبله عقل انسان فقال له سنان لا تستعظم هذا الشان * لان هولاء الفرسان . الذين التقوا بجموع بني غسان * من اشد الناس باسا * واقواهم مراسا قد تعودوا على الحرب والقتال * وملاقات الاهوال * وبهم تضرب الامثال في البلاد العربية * بالشجاعة والفروسية * فمنهم مقري الوحش * صاحب القدرة والبطش * وهو الذي جاء من بلاد حوران وقصد بنو عبس وعدنان وعروة بن الورد . الفارس الفرد . وملاعب الاسنة فارس بني عامر . الاسد الكاسر . والليث الخادر . وعامر بن الطفيل فارس الخيل . وان كان في صحبتهم عنتر * فهو الذي فتك في طليعة العسكر . وفعل ذلك الامر المنكر * فيجب ان تكون من هولاء القوم على حذر . وان طلبوا منك البراز في عرصة المجال . لا تجبهم الى ذلك السوال . بل انك تكاثرهم بالقتال الشديد . والضرب

Digitized by Google

الاكيد * حتى تنال منهم ما تريد . فقال ضامر * وهل مفري
الوحش عندهم في هذه الايام . قال نعم ايها البطل الهمام . وهو
الذي ساق عبيدهم الى بلاد الشام . حتى قتل ابن ملككم بدر
النصرانية . وخلص زوجته مسيكة باليد القوية

قال الراوي فتبسم ضامر من كلام سنان . وقال له ما انت
الا خرفان . لانك تذكر عنتر . وتترك مفري الوحش الاسد
الغضنفر . فقال سنان ومن هو مفري الوحش في هذه البلاد .
حتى يقاس بعنتر بن شداد . فوحق رب العباد . لو التقى عنتر
ماية بطل من الابطال الشداد . من طبقة مفري الوحش في
معركة الطراد . لا لتقطهم كما يلتقط الطاير الجراد

قال محمد بن هشام . فلما سمع ضامر منه ذلك الكلام . صار
الضيا في عينيه كالظلام . وقال له ويلك ايها الشيخ المهان .
اذا كنت تعلم انه يوجد في بني عبس وعدنان . مثل هذه الفرسان
لما لا اعلمتنا بذلك قبل الان . حتى كنا اتينا في ساير جموع
غسان . فقال والله اني ما تلفظت بهذا المقال . الا على
سبيل المبالغة في السوال . لاجل ما وصفت انت
مفري الوحش بوصف الابطال . وفضلته على ساير الرجال
والا انت باقل من هذا العسكر تبلغ الامال . وبه تقضي
جميع الاشغال وفي هذه الايام يصل الملك لقيط بن زرارة . في
فرسان مثل النجوم السيارة . ويقاتلون اخصامك واعداك .

Digitized by Google

وتقر بهلاكهم عيناك

قال نجد بن هشام . فابدى ضامر الضحك والابتسام . عند سماعه هذا الكلام . وقال له يا سنان لا تطمع لقيط ولا غيره من الشجعان . باخذ اسير من بني عبس وعدنان فهذا الامر لا يناله احد ولا يراه . لاني اريد ان اسوق الجميع الى بلاد الشام عراة حفاه امتثالاً للاوامر السنية * والارادة الملوكانية . لاسيما الذين فعلوا بنا هذه الفعال . واخرقوا حرمتنا بقتل الرجال

قال الراوي ولم يزالوا سايرين على هذا الترتيب * حتى وصلوا الى شعاب جبلة عند المغيب * فدقوا الطبول . ونزلوا في تلك السهول * وكانت بنو عبس على ظهور الخيل والمهار . لان عنتر واصحابه كانوا قد وصلوا اليهم عند نصف النهار . واعلموهم بما فعلوا وما نهبوا وما قتلوا . ففرحوا بتلك الاسباب . وادخلوا الى الجبال الخيول والاسلاب . واطمانت بذلك قلوب الكواعب والاتراب وباتوا تلك الليلة في سرور وافراح * ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح . ثاروا الى الحرب والكفاح . واعتقلوا بالرماح وتقلدوا بالبيض الصفاح . وركبوا الجرد القراح . وجردوا السيوف والقواضب . ومدوا الرماح الكواعب . واستدت المغارب والمشارق * من كثرة الطوايف وازدحام الخلايق *

قال سعيد بن مالك . وكان لشعاب جبلة ثلاثة مسالك فوقعت بنو عبس في الطريق الوسطاني وكان اكبرها واوسعها

Digitized by Google

في تلك الجبال . ووقفت بنو عامر في اليمين وبني غطفان في
الشمال . وترتبوا على هذا الحال . وكان عنتر وابن اخته المطال
وملاعب الاسنة ومقري الوحش الاسد الريبال . وتمام الالفين
فارس من صناديد الابطال . قد استقبلوا عساكر الشام .
بكل سيف صمصام . ورمح هدام . وانحطوا عليهم انحطاط
صواعق الغمام . فالتقتهم بنو غسان . بقلوبهم اقوى من الصوان .
وحملت بنو عبس وعدنان . وعامر وغطفان . وتصادم العسكران
واقتتل الجيشان . وتقدم الشجاع وذل الجبان . وبانت الاهوال
وبكت الاطلال . وزاد الامر على الناس . واخذهم القلق
والوسواس . وتضايقت الانفاس . وتقطعت الدروع والاتراس
واشتد الصدام والكفاح . وعملت اسنة الرماح . في المناكب
والاشباح . وبيعت النفوس بيع السماح . وتساوى المسا والصباح
وتمنا الفارس ان يطير بلا جناح . وضجت الفرسان من الم
الجراح . ونعق غراب البين وصاح . وبان شخص الموت ولاح
وضاق على عنتر المجال . فهانت عليه الاهوال . واوقع الطعن
في صدور الرجال . وكان يكفكف الابطال . تارة في اليمين
وتارة في الشمال . ويصرخ في وجوهها فترجع . وضرباته تهوي
وتقع . وكان عمرو اخو عبلة في ذلك اليوم وراه . وكذلك
مالك اباه . فابصرا من قتاله العجب . وطربا من اعماله غاية
الطرب . وقال له عمه مالك لله درك من بطل اوحد .

Digitized by Google

وفارس المجد . ففي هذا اليوم يبان فضلك على اعداك . ويزداد مجدك وعلاك فاقصد هولا الاوغاد * واشفي منهم غليل الفواد

قال الراوي وكان عامر بن الطفيل . وملاعب الاسنة فارس الخيل * قد اشفيا بقتالها الصدور . وفعلا فعلا يبقى ذكره مدى الايام والدهور . وكذلك فعل مقري الوحش الاسد الريبال وعروة بن الورد والهطال ومن صحبهم من صناديد الرجال . فانهم قاسوا الاهوال . وقاتلوا احسن قتال . ونازلوا اعظم نزال . وتجرعوا الموت كالماء الزلال . وما زال السيف يعمل . والدم يبزل . والرجال تقتل . ونيران الحرب تشعل الى ان اسود مفرق الشرق . واغسق الظلام في اعين الخلق * فعادت بنو غسان * عن معركة الطعان * وهم في غاية الذل والهوان * من شدة ما قاسوا في ذلك اليوم العظيم الشان

قال نجد بن هشام * ولما رجعوا الى الخيام * اجتمع الامير ضامر * بقواد الجيوش والعساكر * ووبخهم على تقصيرهم في القتال * وقال لهم وحق الاله المتعال * لقد قطعتم ظهري بهذه الفعال * فلما سمعوا منه ذلك المقال * قالوا لا تحتقرنا ايها السيد المفضال * بل اشكر رب العالمين * الذي اعادنا اليك سالمين * لاننا قاسينا في هذا اليوم من الاهوال * ما لا ننساه على مدى الاجيال * لاننا شاهدنا رجالا لا كالرجال * وابطالا لا كالابطال * لا سيما ذلك العبد الادهم * والليث الغشمشم .

Digitized by Google

الذي كانه شرارة من جهنم * فانه ما مال على جمع الا وفرقه · ولا قصد موكبا الا ومحقه * ولا صاح وزعق * الا وقلنا ان البرق قد اخنق * ولا يلومنا على تقصيرنا الا كل احمق

قال الراوي هذا ما كان من الامير ضاهر * واما ما كان من امر بني عبس وعامر فانهم كانوا قد رجعوا الى الجبال * كانهم اسود الدحال * وكان عنتر عند عودته * تذكر قول عمه مالك ووعيده · فهاج ومال كما تهيج فحول الجمال · وانشد وقال

ولقد حفظت وصاة عمي بالضحى ... اذ تقلص الشفتان عن وضح الفم
في حومة الموت التي لا تشتكي ... غمراتها الابطال غير تغمغم
لما رايت القوم اقبل جمعهم ... يتذامرون كررت غير مذمم
يدعون عنتر والرماح كانها ... اشطان بير في لبان الادهم
يدعون عنتر والسيوف كانها ... لمع البوارق في سحاب مظلم
يدعون عنتر والسهام كانها ... طش الجراد على مشارع حوم
يدعون عنتر والدروع كانها ... حدق الضفادع في غدير ديجم
يدعون عنتر والرجال كانها ... حصن مشيد بالحديد عرمرم
ولقد تركت المهر يدمي نحره ... حتى اتقتني الخيل ثاني جزع
ما زلت ارميهم بثغرة نحره ... ولبانه حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه ... وشكا الي بعبرة وتحمحم
لو كان يدري ما المحاورة اشتكى ... ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسي وابرا سقمها ... قول الفوارس ويك عنتر اقدم

والخيل تقتحم الغبار عوابسا ما بين شيظمة واجرد شيظم
هلا سالت الخيل يا ابنة مالك ان كنت جاهلة بما لم تعلم
يخبرك من حضر الوقيعة انني اغشى الوغى واعف عند المغنم
ومدجج كره الكماة نزاله لا ممعن هربا ولا مستسلم
جادت يداي له بعاجل طعنة بمثقف صدق الكعوب مقوم
فشككت بالرمح الطويل ثيابه ليس الكريم على القنا بمحرم
وتركته جزر السباع ينشنه يقضمن حسن بنانه والمعصم
وحايل غانية تركت مجدلاً تمكوا فرايصه كشدق الاعلم
سبقت يداي له بعاجل طعنة ورشاش نافذة كلون العندم
اثني علي بما علمت فانني سهل مخالقتي اذا لم اظلم
واذا ظلمت فان ظلمي باسل مر مذاقته كطعم العلقم
ولقد شربت من المدامة بعدما ركد الهواجر بالمشرف المعلم
بزجاجة صفراء ذات اسرة قرنت بازهر في الشمال مفدم
فاذا شربت فانني مستهلك مالي وعرضي وافر لم يكلم
واذا صحوت فما اقصر عن ندى وكما علمت شمايلي وتكرمي

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها الابطال والسادات . وكانوا يتناشدونها في اكثر الاوقات . ثم انهم دخلوا الى الجبال * وباتوا وهم فراحا ببلوغ الامال * ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح . تبادروا الى الحرب والكفاح . كانهم ليوث البطاح . فالتقتهم الطوايف الغسانية .

Digitized by Google

والعساكر الشامية * وهم في عدد الجراد المنتشر . او قطر الغمام المنهمر * وقد جردوا كل سيف يمان * ومدوا القنطاريات والمران . ورفعوا الرايات والصلبان * هذا وقد اختلفت الالسنة باختلاف اللغات * وهاجت الابطال والسادات * وضاقت بهم تلك الفلوات * وحملت الرجال على الرجال * والابطال على الابطال * وعمل السيف النصال * والرمح العسال * في المناكب والاوصال * وجرى الدم وسال * وساءت الاحوال * وكثرت الاهوال وهاج الفارس الريبال * وتاخر الجبان عن المجال * فما كان يرى الا راس طاير * ودم فاير * وجبان حاير * واسود النهار * وعميت الابصار من كثرة الغبار * وضاقت المسالك والاقطار وصار الدما على الارض كالتيار * وبانت الكواكب من هول ذلك النهار * وماجت تلك الخلايق في جوانب القفار * كما يموج البحر الزخار وكانت تلك المعركة كما قال فيها بعض واصفيها

تلاقى القوم في يوم طويل　　مهول ما له في الدهر ثان
غبارهم تقسطل مثل ورق　　وبرقهم الاسنة واليماني
وقطر الدم يوكف شبه مزن　　على الصحصاح يجري بجريان
وصوت القوم قعقع مثل رعد　　فغيب في الورى عقل الجبان
ترجع دولهم في النقع حتى　　تركهم لحد طيّ بنشران
وسرطنهم طعين النبل حتى　　تبدت زهرة الحرب العوان

اكاليل الملوك غدت نعالا   وزاد القتل بين العسكران
وغدت بينهم بيض وسمر   وصاروا بين باقٍ ثم فان
وقلوا بعد كثرتهم جهارًا   وناحوا للطلول والمعاني
وساقي الموت اسقاهم كووسا   بخمر الموت لا خمر القناني
وامزجها ببوارق من بريق   ظباء الهند والرمح المران
فصاروا من شراب في انطراح   ومنهم نايح ناعٍ وعان
فامسا اهلهم في انسدال   واعج دمهم كالارجوان

قال الراوي فلله در ابطال العربان. وبني عبس وغطفان فانهم ابادوا الشجعان. ودمروا الاقران. واهلكوا من بني غسان الابطال والفرسان

قال محمد بن هشام. ولم يزالوا في قتال وصدام. وتجريع الموت الزوام. مدة ثلاثة ايام. على التمام. وفي اليوم الرابع دقوا طبول الحرب. واعطفوا للطعن والضرب. وطلبوا البراز والطعان. وسحبوا السيوف واسنة المران. وكان اول من طلب براز الابطال. واوسع في المجال. مقري الوحش الاسد الريبال فصال وجال. ولعب برمحه العسال. حتى حير عقول الرجال ثم نادى ابرزوا يا بني غسان فارس لفارس او عشرة لفارس. حتى اريكم قتالا تتعوذ منه الابالس. لاني اعلم انه لا يوجد فيكم من يثبت امامي. اذا سللت حسامي. الا ان يكون مقدمكم ضامر. لانه مقدم الجيوش والعساكر * وقد

Digitized by Google

صار اليوم في ذي الملوك * وما يرى على نفسه ان يبارزني وانا فقير صعلوك * فان اراد ان يبين شجاعته لاهل الحجاز * فليفتح باب الحرب ويطلب البراز حتى اريه طعنا يشق العلايق * وضربا يشيب المفارق

قال محمد بن هشام * فما اتم مفرّي الوحش من هذا الكلام . حتى برزت اليه الفرسان * من بني غسان * وداروا بهِ من كل جانب ومكان . وقالوا لهُ ويلك يااقرنان . هجرت بلادك والاوطان * ورفضت اصح الاديان . وانعكفت على عبادة الاوثان الويل لك ياشيطان * ماذا تقاسي يوم القيامة من عذاب النيران . ومن لعنة القسوس والرهبان . فقال لهم لقد كذبتم في هذا الكلام . لان هولا القوم لايعبدون الاصنام وانما يجعلونها اشارة الى رب الانام . ولهم القول الصادق والذمام . والحج الى بيت الله الحرام * ثم انهُ بعد ذلك المقال حمل على الفرسان والابطال كانهُ الاسد الريبال * وصال فيهم وجال * وما تنصف النهار . حتى قتل خمسون فارسا من كل ليث كرار . وبطل مغوار * وجرح اوفى من ذلك المقدار . فتحير عنتر من اعماله وقال لمن حوله من رجاله * وفرسان عشيرته وابطاله * والله يابني الاعمام * ما خلق مفرّي الوحش فارس الشام . الا لطعن الرمح اللهذام . فلو كان يعمل في مضايقة الفرسان بالسيف الثقيل . مثلما يفعل في البراز بالرمح الطويل . ما كان لهُ من

الناس من مثيل

قال الراوي هذا ما كان من عنتر الاسد الكاسر . واما ما كان من الامير ضامر . مقدم الجيوش والعساكر . فانه لما ابصر فعل مفرج الوحش في الجولان . وكيف انه نتك في الابطال والفرسان . انشقت مرارته وزادت حسرته . وخرج من تحت الرايات والاعلام . وحمل على مفرج الوحش كانه الاسد الضرغام . ولما صار في ساحة الميدان . وساوى مفرج الوحش في طابق الجولان . التفت عنتر الى من حوله من الرجال . وقال اعلموا ايها الابطال . ان هذا الرجل الذي برز الى صاحبنا الان . خلاف ما تلك الفرسان . وانا اعلم ان مفرج الوحش قد تعب من القتال . وجواده قصر في المجال . وان هو انتصر على هذا الشيطان . ما تخلص منه بنو غسان . ونقع نحن في الخسران . ومن الصواب ان اقصده في العجل . واتقي عنه هذا البطل . فان انا قتلته تفرق هذا الجحفل وتبلبل لاني ارى ركبه سلطانية . وهو في عزيمة قوية . فالتفت بلاعب الاسنة الى عنتر . وقال انا افعل ذلك يا فارس ربيعة ومضر ثم انه قفز الى ساحة الميدان . بقلب اقوى من الصوان . واشار الى مفرج الوحش بالرجوع فلم يرجع ولم يمتثل من كلامه ولم يستمع . وقال له وحق من امر الماء فنبع انني لا ارجع عنه ابدا . ولو صار بيت كدوس الرحا . لان بيني وبينه اجتهاد قديمة . والامور

Digitized by Google

غير مستقيمة . وما صدقت ان اراه في معركة الطراد . وموقف
الحرب والجلاد . حتى ابلغ منه المراد . واشفي غليل الفؤاد .
فان كنت تريد اسعافي واسعادي . اعطني جوادك وخذ جوادي
لانه قد تعب من تحتي وقصر . ولم يعد له سبيل ان يتقدم ولا
يتاخر . فترجل ملاعب الاسنة عن جواده وسلمه اليه . ورجع
عنه وهو خايف عليه . فعند ذلك طلب مقري الوحش خصمه
بالجواد المستريح . واطلق له العنان فمر من تحته مرور الريح .
فالتقاه الامير ضامر بقلب اصلب من الحجر . وصدمه صدمة
الاسد الغضنفر واقتتل الاثنان . كانهما كبشان نطاحان .
او بحران يتلاطمان . وجرى بينهما من العجايب والاهوال . ما
حير عقول الرجال . وكان ضامر يعلم بان مقري الوحش من
اخير الانام . اطعن بالرمح اللهذم . وراه يلعب برمحه كما يلعب
بالقلم الكاتب . ولا يهاب من نزول النوايب . فخاف من
العواقب . فالقى المنطارية من يده . وجرد سيفه من غمده .
وهجم عليه وعاجله . وضرب رمحه فابراه . واستلب من تحت
فخذه حربة امضى من نوايب الزمان . وهزها حتى تلوت
كالثعبان * وطعن بها مقري الوحش فارس الشام * وقال
له خذها يا ابن اللئام * فوقعت على الدرقة * كانها صاعقة
قد نفذت من الحديد * والزرد النضيد * ووصلت الى جسده
فرمى السيف من يده وانقلب منها على ظهر الجواد * الى وجه

المهاد * كأنه طود من الاطواد * فوقف ضاعرحن ابه * حتى تقرّب بنو غسان اليه * فاخذوه اسيرًا . وساقوه ذليلا حقيرًا ولما ابصر عنتر تلك الحال * خرج عن دايرة الاعتدال * وهجم بمن معهُ من الفرسان والابطال * وانحطوا على عساكر الشام * انحطاط صواعق الغمام * ولهبوهم بضرب الحسام * وطعن الرمح الهدام * وفي دون ساعة وصلوا الى العلم الكبير . وقتلوا من تحته كل فارس نحرير * هذا وعنتر قد فرّق الكتايب * ومزّق المواكب * واظهر الاهوال والعجايب

قال الراوي وبينما هو يهمهم ويصول . ويهدمدم ويجول * ويبدد الفرسان في العرض والطول . واذا بغبار قد ثار حتى سد منافس الاقطار . وبان من تحته كل فارس ادرع * وبطل سميدع * وسيوف تقطع * ورماح تصدع ورجال كانها السباع لا تخاف ولا تجزع . يتقدمهم فارس * بالحديد غاطس . كانهُ قلة من القلل * او قطعة فصلت من ذيل جبل . ولهُ صياح وهدام . وهو ينادي بالدمار

قال الراوي وكان هذا الفارس لقوط بن زرارة . لانه لما سار الى وادي الاخدود كما سبقت الاشارة * ليجمع الابطال والفرسان * الى قتال بني عبس وعدنان . فجمع ثلاثون الف مقاتل . ما بين فارس وراجل . وقصد ذلك المكان * حسب قصد بني شيبان * فاتفق قدومهُ على القوم في ذلك اليوم . وكان

قد ابصر برق السيوف الرقاق * ولمعان اسنة الرماح الدقاق
فعلم ان القوم في ضيق الخناق * وان الحرب قايمة على قدم
وساق * ففرح واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر . والتفت الى من
حوله من الرجال . وصناديد الابطال * وقال لهم هذا وقت
انتهاز الفرصة * وازالت الغصة . وكان سنان قد بادر الى
ميتناه . وسلم عليه وحياه . واعلمه بان الامير عنتر . في وسط
العسكر * في طايفة قليلة من الرجال * فبادروه قبل ان يختلط
بالجبال . لعلك تبلغ منه الامال . فلما سمع لقيط منه ذلك
الكلام ايقن ببلوغ المرام . وصاح وافرحاه بعد ترحله ثم انه
لكز الحصان وتجارت خلفه الفرسان * وابصر عامر بن الطفيل
هذه المصايب * فاسندت في وجهه الطرق والمذاهب . والتفت
الى عنتر وقال له والله يافارس العرب . لقد اشرفنا على الهلاك
والعطب . لاننا قد وقعنا بين بحرين متلاطمين بالامواج ونحن
في وسط البحر العجاج * ومن الراي الرزين * استقبال هولا
القادمين . ونطعن فيهم بالرماح * حتى تخمنت منا الارواح .
لاننا ان رجعنا الى اصحابنا . تمكنت هذه الخلايق من ظهورنا
واجنابنا . وعجلت على هلاكنا وذهابنا * ثم انهم تلقوا صدور
الخيل * كما تلتقي الارض العطشانة وابل السيل . فاطمتهم
امواج تلك العساكر * كما يلطم الموج الغربي في البحر الزاخر *
وعاد اليهم الامير ضامر * كانه الاسد الكاسر * وقد ترك باقي

Digitized by Google

الجيوش والعساكر * في قتال بني عبس وعامر * وقد قال
القايل اذا كثرت الذياب * ذلت لها اسود الغاب . واذا اجتمعت
العصافير على الباشق الصيد . اتعبته ونالت منه المقصود .
الا انه لم يمض عليهم اكثر من ساعة حتى قتل من اصحابهم جماعة
واسر عروة بن الورد * الفارس الفرد * وسلمت اصحابه انفسها
الى بني غسان . بغير ضرب حسام ولا طعن سنان * ولم يبق
غير عنتر وعامر بن الطفيل . فانهما قاتلا الى الليل * حتى كل
منهما الحيل . وقتلت من تحتهما الخيل . وتثلمت في ايديهما
الصفاح * وارتفع من حولها الصياح . واحاطت بهما الفرسان .
من كل جانب ومكان . وكانوا ياتون عليهما التراب والاحجار *
ليمنعوهما من الفرار . ويدورون حولها من اليمين واليسار *
الى ان اخذوهما اسارى . وقادوهما اذلا حيارى . وكبلوهما بالحديد
وشدوهما الشد الشديد . ووكلوا بهما جماعة من العبيد . واجتمع
سنان بالقيط وضامر * مقدم تلك الجيوش والعساكر . وهنوا
بعضهما بعضا باسر عنتر . وتباشروا بالنصر والظفر . وقال لقيط
لضامر ادام الله ايامك . ونصرك على اعداك واخصامك . وحق
البيت الحرام * وزمزم والمقام . لقد حملت بتشريفك هذه البلاد
وبهيبتك بلغنا غاية المراد . من هولا الاوغاد الذين رملوا
النسا ويتموا الاولاد . وقاتلوا باقفالهم جميع العباد فلا زالت
المملكة في سعود واقبال . ما دامت الايام والليال * فشكره

ضامر على هذا المقال . وبعد ذلك نزلوا في الخيام . واكلوا الطعام * وشربوا المدام

قال الراوي هذا ما كان من امر لقيط وسنان . وضامر سيد بني غسان . واما ما كان من امر بني عبس وعدنان . وعامر وغطفان . فانهم كانوا عند وصول لقيط في تلك الجموع والخلايق . قاتلوا عند روس الشعاب والمضايق . خوفا ان تملك الاعدا عليهم الطرقات . وتنهب البنين والبنات . وما زالوا يقاتلون . وعن انفسهم يدافعون . الى ان امسا المسا . ورجعت عنهم الاعدا . وكانوا بانتظار عنتر بن شداد . ومن معه من فرسان الجلاد . ولما فات الوقت ولم يحضر . تنغص عيشهم وتمرمر . وانقطعت سلاسل ظهورهم . وحاروا في امورهم وعلموا ان عنتر ومن معه قد هلكوا . اوانهم قتلوا وهلكوا . فدخلوا الى الجبال . وهم في اسوء حال . على ما فقد لهم من الابطال . وقد ايقنوا بالهلاك والوبال . وانتهاب المال . وسبي الحريم والعيال . وضجت النسا من كل جانب . وخرجت الكواعب . من المضارب . وهن ممزقات الثياب منشورات الذوايب . خوفا من السبي والشتات . وشرب كاس الممات . ولما عظم الامر وزاد . وتفتتت من شدة الاحزان الاكباد . استدعى الملك قيس سادات القبايل اليه . وقد هانت المنية عليه . وقال لهم ياوجوه العرب . واصحاب المناصب والرتب .

Digitized by Google

انتم تعلمون ان اجلنا قد حان . وما بقي لنا خلاص من هذا المكان . لان امرنا قد تضعضع . ووقع فينا الطمع . وقد انفتح لي باب واريد ان تعاونوني عليه ولا تعترضوني بسبب من الاسباب

قال مجد بن هشام . فلما تكلم قيس بهذا الكلام . قالوا له قل لنا ما بدا لك * فما فينا من يخالف مقالك . قال اريد منكم ان تامروا عبيدكم وغلمانكم . ان تعقل نوقكم وفصلانكم . ويمنعوها عن ورود الما . حتى تكاد ان تهلك من شدة العطش والظما . وبعد ذلك ترون ما يسر قلوبكم . ويزيل همومكم وكروبكم . فقالوا السمع والطاعة . وامروا عبيدهم باعقال النوق من تلك الساعة . وانفذ الملك قيس العبيد والاما . الى البنات والنسا . ليمنعوهن عن البكا والنواح والصريخ والصياح ويقولون لهن بان فرساننا سالمين . ورجالنا غير هالكين . وعند الصباح ندبر على خلاصهم اجمعين . لان الجواسيس اتونا في اخر النهار . وحدثونا بهذه الاخبار

قال مجد بن هشام . وكان هذا الكلام * تطيبا لقلوب البنات والنسوان . وفزعا من فرسان بني غسان . ومن اجتمع في ذلك المكان ان تسمع العويل والنواح . والصريخ والصياح فيزيدهم طمعا عند الصياح . فهدا الملك قيس قلوب الناس . وتركهم بين الرجا والاياس * واقام على روس الجبال الحراس وباتت سادات الاعراب . في اكثر ما يكون من الهم والاكتئاب

Digitized by Google

لاسيما الربيع وعمارة ابني زياد * فانهما كانا قد ايقنا بسبي الحريم والاولاد . وهلاك الفرسان والاجناد . وقال عمارة لاخيه الربيع ما زال قيس يسمع من ذلك العبد الشنيع . ويعظم قدره ويتبعه حتى اهلك نفسه واهلكنا معه فيا لهفي على السلامة والخلاص من هذه الورطة والاضامة . حتى كنت اتزوج بعبلة . وازيل عن قلبي الدبالة * فلما سمع اخوه الربيع ذلك المقال . قال ويلك يا مذلول السبال . دع عنك الرقاعة في هذه الساعة * اما كفاك ما نحن فيه من الخطر * والقلق والضجر

قال الراوي وكان شيبوب قد جرى عليه من اسر اخيه عنتر . ما لم يجر على قلب بشر * واحس بان قلبه قد تفطر * وبات تلك الليلة في هم وكدر

قال الراوي ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح . ركبت فرسان بني غسان * وهزت في ايديها عوامل الاشطان . وطلبت روس الشعاب كانها اسود الغاب . فاستقبلتها فرسان بني عبس وعدنان * وعامر وغطفان . بقلوب كالصوان ومانعوا عن الحريم والعيال * والبنات والاطفال . وقاتلوا اشد قتال * وكانت العبيد ترميهم بالاحجار والنبال * من اليمين والشمال وما زالوا على تلك الحال * الى ان ولى النهار واستحال . واقبل الليل بالانسدال

قال الراوي فعند ذلك رجعت الكتايب والمواكب .

Digitized by Google

الى الخيام والمضارب • وقد اماوا ببلوغ المارب • ولما اكلوا
الطعام • وشربوا المدام • دخل لقيط بن زراره • على الاساري •
والتفت على عنتر • وصاح فيه وزجر • وقال لهُ كيف ترى
نفسك ايها العبد الاقشر • فوحق الاله الديان • ان هذا الذي
جرى عليك الان • هو من عواقب بغيك على الفرسان • وتجبرك
على سادات هذا الزمان * فسوف ترى يااقرنان * ما يحل بك
من العذاب والهوان * فوحق البيت الحرام * وزمزم والمقام •
لا قتلناك * وقطعنا عنقك واعدمناك * الا حتى نملك عبلة
ونجعلها بين يديك * ونمكن منها من يكون ابغض الناس اليك ثم
نقطع اناملك واطراف رجليك * وبعد ذلك يحملك الامير
ضامر * قايد هذه الجيوش والعساكر * الى حضرة الملك العظيم
الشان * سيد بني غسان • حتى يصلبك امام السادات والقواد
ويشفي منك غليل الفواد * لانهُ قد حلف برب السماوات
والانجيل وما فيهِ من الايات * انهُ لا يامر بتنزيلك عن
المصلب الا بعد ثلاثة ايام * حتى تاكل جثتك الوحوش والهوام
قال نجد بن هشام • فلما انتهى لقيط من هذا الكلام • رفع عنتر
راسه اليه وصاح عليه • وقال لهُ والله يا خبيث • لو استحييت على
نفسك ما تكلمت بهذا الحديث لانك ضعيف الجنان • واحقر
من كل انسان • لا تكشف شدة * ولا تصلح لنجدة * لانك فرار
غير كرار • واما انا فقد اشتهر ذكري في ساير الاقطار • عند

Digitized by Google

الكبار والصغار * بالفروسية والاقتدار . والحلم والفخار . وليس اسركم لي بعار . لاني ما اسرت في هذا النهار حتى اجتمعت على عساكر الحجاز * وقتلت منهم فرسانا يعجز غيري ان يلقى بعضها في ميدان البراز * ومن يكون في كل يوم يطعن في صدور الفرسان وملوك الزمان . وينكس الرايات والاعلام . تحت قسطل القتام . ويركب طريق الاخطار . في الليل والنهار . لا بد ما تنفيه سهام الاقدار . وبعد ذلك فما انا من الحيوة ايس . ما دامت تتردد في المنافس . لان الفارس الجواد . اذا كان له في الدنيا رزق وزاد . ما تعمل في جسده السيوف الحداد فان كان لي في الحيوة حظ ونصيب . فابشر بالمجازاه عن قريب

قال نجد بن هشام . فلما سمع لقيط منه هذا الكلام * استشاط غضبا . واضطرم فواده لهبا * وقال له والله يا ابن الاما . ما بقي لك رزق يصعد من الارض ولا يهبط من السما * ولو اتت الى نصرتك ملوك الاقطار . لا يزيدوك الا نارا على نار . ثم ان لقيطا تركه ابو الفوارس عنتر . وعينيه تقدح من شدة الغيظ بالشرر وعلم ان كل من تكلم معه يهان ويخسر

قال الراوي ولما كان الصباح . رجع القوم الى ما كانوا عليه من الحرب والكفاح . وقد امتدت بهم الحال على هذا المنوال مدة خمسة ايام على التمام . وفي اليوم السادس امر الملك قيس الرجال ان تاتي بالنوق والجمال الى اطراف الجبال . فامتثلوا

Digitized by Google

الى ما امر * وفعلوا كما ذكر . وبعد ذلك صاح على العبيد والغلمان . ان تنادي على الابطال والفرسان . باخذ اهبة الحرب والطعان . فصاحت العبيد عن فرد لسان معاشر العربان من بني عبس وعامر وعدنان . وغني وكلاب وغطفان * لاخبناكم بان الملك قيس صاحب الراي السديد . يامر الابطال والفرسان الصناديد ان تركب على خيولها * وتعتقل برماحها ونصولها فاركبوا في الحال . وامتثلوا الى هذا المقال * واطلبوا النصر من العزيز المتعال . لان هذا اليوم شديد الاهوال وهو يوم الانفصال . فركبت الفرسان ظهور الخيول . وتقلدوا بالنصول * واستعدوا للحرب المهول . هذا وقد ارتجت الشعاب والفلوات . وارتفعت الاصوات من ساير الجهات . فعند ذلك ركب الامير ضامر . مقدم الجيوش والعساكر . والى جانبه لقيط بن زرارة وسنان * والامرا ومقدمين الفرسان ورفعت البيارق والصلبان . ودقت الطبول النحاسية . وتقدمت العساكر الغسانية . وطلبت روس الشعاب بهمة وحمية . وقد ظنت بان بني عبس وعدنان قد اخرجت الاموال والنسوان . لتطلب لانفسها الامان خوفا من الهلاك والقلعان

قال الراوي وما تضاحا النهار واضا . حتى امتلات بالعساكر اقطار الفضا . وارتجت البراري والاكام . وسلت سيوف الحمام . ولما ازدحمت الخلايق . في تلك المضايق . امر

Digitized by Google

المالك قيس الرجال . الموكلين بالنوق والجمال . ان تحملها من عقالها . وتلدغها باسنة الرماح في اكفالها . فامتثلوا الى ما امر . وفعلوا كما ذكر . وكانت كعدد الرمال . وكانوا قد عطشوها سبعة ايام مع الليال . فاقلبت بصياحها البراري والتلال . عند ما ذاقت مرارة اسنة الرماح الطوال * وضرب العبيد لها بالعصي الثقال * فعلا رغاوها من اليمين والشمال * ومدت اعناقها وخرجت من الشعاب * واطرت باخفافها على الجماجم والرقاب * وداست الابطال والذواب * واذاقتهم اشد العذاب * وكانت الطوايف قد ازدحمت في المضيق . وسدت بكثرتها الطريق * الا انها لما ابصرت هذا البلا اتاها * حار شيخها وفتاها * وردت روس الخيل الى وراها * فلم تجد الى الخلاص من سبيل * من ذلك الامر الوبيل * وكانت فرسان بني عبس وعامر * قد مسكت عليهم المنافذ والمعابر * وطلبتهم مثل الليوث الخوادر * وانقضت عليهم كالنسور الكواسر * فتضعضعت منهم الاحوال * وخابت منهم الامال * والقوا من ايديهم القنطاريات * من هول المقام وازدحام الطرقات وسلوا السيوف المشرفيات . والتقوا بابطال بني عبس وعدنان وعامر وغطفان . ووقع بينهم الحرب والكفاح * واشتد الصياح وجرى الدم وساح * ولم تكن الا ساعة من الزمان * حتى تضعضعت جموع بني غسان * وقتل منها نحو عشرة الاف من

Digitized by Google

الابطال * وصاروا تحت ارجل الخيل والجمال * وكان سنان
شيخ بني فزارة * قد اشار في ذلك اليوم على لقيط بن زرارة *
ان يطاول بني عبس في القتال * ويحاصرهم في روس الجبال *
الى ان يفرغ منهم الماء والزاد * وحينئذ يبلغ منهم ما اراد *
فخالفه في هذا السوال * ولم يجبه الى ذلك المقال * بل انه
ركب مع الامير ضامر * في اول الجيوش والعساكر * فقتل هو
واياه * وعدما الحياه * واما سنان فانه كان قد خاف من
العواقب * فتاخر مع بني فزارة في اطراف المواكب فسلم من
المعاطب * وكان بجانب سنان * حصن بن حذيفة وجماعة
من الفرسان * فقال له حصن وقد خاف من الهلاك . ووقع
في سوء الارتباك * اطلب بنا الهرب * قبل ان نشرب كاس
العطب * فقال سنان وحق العزيز الجبار * لقد احاطت
بنا الاخطار * من اليمين واليسار * وما عاد ينجينا الفرار لاننا
ان اوسعنا في جوانب القفار * وطلبنا المنازل والديار * تبعتنا
بنو عبس على الاثار * وبلغت منا ما تشا وتختار . وتعذرهم على ذلك
السادات والفرسان . وحظا الزمان . لاسيما الملك النعمان .
فانه كان يشمت بنا دون كل انسان . وما بقي في الامر الا اننا
ننزل في الحال . ونفك عنتر ومن معه من الاسر والاعتقال .
ونطلب منهم الذمام والامان . ونذل لبني عبس وعدنان .
ونرد عليهم ديارهم والاوطان . الى ان نجد وجها لاخذ الثار .

Digitized by Google

وكشف العار . فقالوا له دبر كما تريد . وخاصنا من هذه الورطة برايك السديد . ثم انهم ارتدوا الى الخيام في الحال * ونزلوا الى عنتر ومن معه من الرجال . واطلقوهم من الاسر والاعتقال . بعدما اعتذروا لهم بالكلام وطلبوا منهم الامان والذمام . فقال له عامر بن الطفيل والله ياسنان . ما اطلقتنا من الاسر والهوان ! الا من مصيبة عظيمة وداهية جسيمة . ولكني ما اخيب قصدك بهذا الشان * فانت من بني عامر في امان . من نوايب الزمان . لان من جملة اخلاقنا الرضية . وعوايدنا التي اشتهرت في البرية . ان لا نرد قاصدنا . ولا نمنع واردنا

قال سعيد بن مالك * ثم انهم بعد ذلك تواثبوا على صهوات الخيول . واعتقلوا بالنصول * وفي دون ساعة عادوا الى ما كانوا عليه من الحروب والحدة . حتى كانهم قط ما وقعوا في شدة * واستقبلوا الخارجين من الشعاب * والهوهم بضرب السيوف وطعن الحراب : وكان الذي قتل لقيط بن زراره حسبما تقدم الايراد الربيع بن زياد . لانهُ كان قد ادركهُ تحت اخفاف الجمال . فطعنهُ في صدرهِ اسقاه كاس الوبال وتركهُ صريعا بين تلك الروابي والدكادك وانشد في ذلك

افاطمَ لو سالت الشعب عنا اجابك وهو منطلق اللسان
باخبارٍ يشيب الطفل منها بسفك دماء فرسان الطعان

وخالفنا انيط بها طريحا . كان عليه حلة ارجوان
شككت فواده لما تولى بصدر مثقف ماضي السنان

قال الراوي ومازالت النوق والجمال . مزدحمة في تلك الجبال
حتى قل العدد . وانقطع المدد . واندرس الطريق وتمهد فعند ذلك
خرجت بنو عبس في طلب المنهزمين وقلوبها مشتغلة على
اصحابها المأسورين الى ان وقعت العين على العين * فاستبشرت
بذلك وجوه الطايفتين والتفت كل طايفة اصحابها وهنتها بالعلامة
على ما اصابها . وتقدم حصن وسنان . ومشايخ بني فزارة والاعيان
الى الملك قيس وسلموا عليه . واعتذروا اليه وطلبوا منه العفو
والرضى . وغض النظر عما مضى . وقال له سنان في اخر الكلام
والله يا ابن الكرام . لقد اعتدينا عليكم ولو وصلنا اذيتنا اليكم *
فمنوا علينا بالذمام والامان * حتى نرجع معكم الى الاوطان
ونكون لكم من جملة العبيد والغلمان وان كنت لا تقبل بذلك
فابذل فينا السيوف البواتك . والرماح الفواتك

ثم تقدم حصن الى بين يديه . واعتذر اليه . فاعطاه قيس الذمام .
وزاد له في التوقير والاحترام . وزال ما كان بينهما من الاحقاد
وانطفت نيران الفساد . وجمعت بنو عبس الاسلاب والاموال
وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان . وهم في احسن حال . وانعم
بال . وقد فرحوا بعودتهم الى الديار والاطلال . ولما اقبل
النهار الساير . رجعوا الى ديار بني عامر . فاقاموا بها ثلاثة ايام

وهم في عز واكرام . وفي اليوم الرابع عادوا يطلبون بلادهم . بعدما بلغوا من الاعدا مرادهم . هذا وعامر بن الطفيل يتاسف ويتحسر على فراق الامير عنتر . وقال له والله يا ابا الفوارس . ويا زين المجالس . ان شخص جلالك لا يبرح مقابل ناظري . وحبك بين ضلوعي وضمايري . ولولا خوفي ان اثقل عليك بالكلام . لحلفت عليك باعظم الاقسام . اني لا افارقك على مدى السنين والايام . فشكره عنتر واثنى عليه . وقبل راسه وبين عينيه . وقال والله يا عامر . ما تباعدنا الا لاجل رضا الاهل والعشاير ثم اشار اليه . ودموعه تسيل على خديه

اذا ودعتني اودعت قلبي ... غراما لا يزول الى المماتِ
ولو اني اكون بحكم روحي ... لما فارقت مثلك في حياتي
ولكني لعبلة عبد رقٍ ... اذا خالفتها كسرت قناتي

قال الراوي فقبل عامر عذره . لما سمع شعره . وعاد عنتر مع بني عبس وعدنان . وهو يقول وحق الاله المنان انني راجع الى الاطلال . وما قلبي طيب بمجاورة بني فزارة الانذال . فقال له عروة دعنا من هذا الكلام والمقال . فان في قلبي لهيب واشتعال وقد وقعت في بلية لا اجد منها خلاصا الا بالموت وشرب كاس الوبال . فقال عنتر يا ابا الابيض اعلمني بهذا العارض حتى اعرفه . اما تعلم ان الانسان اذا كتم مرضه اتلفه . فقال عروة وقد تنفس من فواد موجوع . وتناثرت من اجفانه الدموع .

Digitized by Google

اعلم يا ابن العم اننا لما كنا في الديار والوطن · قبل وقوع الفتن
ودخولنا الى بلاد اليمن · اشارت عليّ اختي سلمى بالزواج ·
ولجت عليّ بذلك غاية اللجاج · وذكرت لي عن جارية معتدلة
القوام · فصيحة الكلام · كانها البدر التمام · يقال لها لميس ابنة
هلهم · وقالت قد اشتهيتها ان تكون لك امراة · والى بيتك مرتبة
ومدبرة · نظرًا لملاحتها · وعذوبة كلامها وفصاحتها · لان
الصباح يطلع من نور غرتها · والليل من سواد مقلتها · والورد
يقطف من خدودها ووجنتها · فدعني اخطبها لك من ابيها
واعينك على جميع ما املكه من المهر · وادعك تلتذ بها حينا
من الدهر · لان وجهها يجلي ظلمة البصر · والذي يضاجعها يفوز
بالنعيم الاكبر فلما سمعت كلامها · وفهمت قصدها ومرامها · قلت لها
والله يا حسان ان نقل الجفان الى الضيفان واعانة الضعيف والفقير
على نجور الزمان احبّ اليّ من مضاجعة النسوان · الى ان كان
في بعض الايام بينما انا كنت في بني غطفان · عند اختي سلمى
ام حسان · اذ وقعت عيني على الجارية لميس · وهي بقوامها تميس
وكانت قد خرجت من عند امها * ودخلت الى بيت عمها
فلما رايتها خفق فؤادي · وغاب عني رشادي * وبهت اليها ناظري
وتبلبل نحوها خاطري · واشتعلت سرايري لاني رايت الى صورة
غريبة المثال · بديعة الجمال · كاملة الاعتدال · وهي مثل
الغزال وبالروادف تتمايل · كانها الغصن اذا ما مال قد [illegible]

Digitized by Google

وقت سعيد . واعطيت من الحسن والجمال كما تريد فقلت لاختي
ما يقال لهذه الجارية من بني غطفان . الذي اخجل قدها غصن
البان * فوالله لقد الجم لساني عن وصف صفاتها . واعادت فوادي
بسهم لحظاتها . فقالت لي هذه لميس ابنة همام التي حيرت بحسنها
الانام وهي التي كنت اصفها لك من مدة ايام . وانت ما كنت
تصغى الى مقالي . ولا تجيب سوالي * فقلت لها انني ما كنت
عارف بها حق المعرفة * ولا كنت اظن انها بهذه الصفة . ولو كنت
اعلم انها على هذه الحالة في الجمال . كنت اجبتك الى ذلك السوال
واريد منك الان ان تبادري الى خطبتها . وتسرعي في طلبتها *
وانا اعطي اباها كل ما طلب . ولو كان قنطارًا من الذهب *
فقالت والله يا اخي ما بقي لك اليها من وصول . ولا عدت
تنال منها غاية المامول . فقلت ويلك . ولما ذلك . قالت لان
اهلها زوجوها برجل عالي الذكر * جليل القدر . وقد مضى
ياتي بالمهر وبعد ذلك يدبر زوجته ويمضي بها الى اهله وحلته
فلما سمعت يا ابا الفوارس منها هذا المقال . تضعضعت مني
الاحوال . والتهب فوادي بنار الاشتعال * وقلت لها من هو
هذا الرجل الذي تزوج بها . فوالله لا تركته يصل اليها ولو
هلكت بسببها * فقالت هو عمرو بن معدي كرب سيد بني
زبيد ومراد . وهو من الابطال الشداد . فقلت لها وكيف كان
هذا الامر . حتى اتصل بها عمرو . فقالت اعلم يا اخي بان ام هذه

الجارية من بني مراد . وتلك الاراضي والبلاد . فاتفق من
القضا والقدر . والامر الذي ليس للعبد منهُ مفر . انها زارت
اهلها وعشيرتها . والجارية في صحبتها . فابصرتها ريحانة اخت
عمرو فافتتنت في حسن معانيها . ووصفتها لاخيها . فمال قلبهُ
اليها وهويها واتى في جماعة من اكابر قومهُ وخطبها من ابيها *
فلم ينعموا لهُ بها حتى شاوروني فيها . لاني كنت سميتها على
اسمك . وجعلتها على رسمك . وهي يومئذٍ بنت سبع سنين .
وكانوا قد اعتمدوا على كلامي من ذلك الحين . وكنت كلما
اتيت اليك وقدمت عليك . ووصفت لك صفاتها . وحسنها
ولطافة ذاتها . لم تسمع كلامي ولا تصغى اليّ . ولا اعتمدت
في هذا الامر عليّ . فلما رايتك على تلك الحال . ولم تصغ الى
هذا المقال . قلت في نفسي والله لا قطعت رزق هذه
الجارية وقلت لهم أن يزوجوها بمن ارادوا من الرجال . ثم لتتفق
لهم هذه الاتفاق . وزوجوها الى الامير عمرو بن معدي كرب
ومضى لياتيهم بالمهر والصداق . ولما زاد بي الغرام شكوت اليك
حالي . حتى تساعدني على بلوغ امالي

قال الاصمعي فلما سمع عنتر كلامهُ * وفهم قصدهُ ومرامهُ .
قال لهُ ابشر يا ابا الابيض . بزوال هذا المرض . واعلم بان
عمرو بن معدي كرب . ما تعرض لهذه الجارية الا لان اجله
اقترب . وبعد هذا اريدك ان تكتم سرك . وانا في امرك

Digitized by Google

وتوصي اختك انهُ متى رجع عمرو من سفرته ۰ وعزم على اخذ زوجته ۰ تعلمك بهذا الحال ۰ حتى اسير انا وانت في جماعة من الرجال ونكمن لهُ في الطريق ۰ ونعدمهُ السعادة والتوفيق وناخذها غصبا ۰ وننهب بني زبيد بالسيف نهبا ۰ والا اذا سرنا الان وطلبناها ۰ يجتمع علينا اباها ۰ ويلومنا على ذلك كل انسان ۰ ويقع علينا العتب من الاصدقا والخلان ۰ فلما سمع عروة من عنتر هذا المقال ۰ خف عنهُ بعض الاشتعال ۰ ثم انهم جدوا في قطع القفار ۰ الى ان وصلوا الى الديار ۰ فحدث عروة اخته سلمى بما دار بينهما من المقال ۰ وكذلك عنتر اوصى اخته مروة ام الهطال

قال الاصمعي وكان هذا عمرو بن معدي كرب فارسا لا يطاق ۰ وعلقما مر المذاق ۰ لا يخاف مثلهُ الزمان ۰ ولا يقاومهُ فارس في الميدان * وكان مع شجاعته حاوي الفصاحة والكرم * والمروة وحسن الشيم ۰ وكان في صغره منعكفا على اكل الطعام وشرب المُدام * وسماع الانغام * وكان ابوه كلما راه على تلك الحال ۰ وراى نفسه دنية دون باقي الرجال ۰ ينظر اليه بعين النقصان ۰ ويستخدمهُ كما يستخدم العبيد والغلمان ۰ وينفذه الى المراعي في ذلك البر فيشتغل بركوب الخيل ويتعلم عليها الكر والفر ۰ حتى قوي ساعده على الطعان * ومالت همته الى لقاء الفرسان ۰ ومازال يزداد في القوة والقدرة الى ان بلغ بني زبيد ان

Digitized by Google

الاشعث بن ضمرة . قد دخل على قتالهم . وحربهم ونزالهم .
ليأخذ منهم الرسم المعتاد . كما اخذ من غيرهم من عرب تلك
البلاد . قال وكان هذا الاشعث ملك من ملوك الاعراب .
كثير الجنود والاحزاب . وكان شديد البطش عظيم الشان
قد اخذ الجزية من اكثر قبايل العربان . وجاءت اليه الاموال
والنوق والجمال . ولما قوي سلطانه . وكثرت جيوشه وفرسانه
بسط يده في الظلم والعدوان . وكانت العرب تدعوا عليه بكل
شفة ولسان . وتخضع له خوفا من سيفه والسنان . الا بنو زبيد
فانهم قالوا نحن لا نحمل لاحد مالا . ولا نوقا ولا جمالا * فلما
بلغه ذلك المقال . ارسل اليهم رسولا يطالبهم بالمال فردوا
رسوله بالخيبة . ولم يكن لامره عندهم ادنى هيبة * فرجع الرسول
واخبره بذلك الخبر . فاستشاط غضبا وتكدر . وطار من عينيه الشرر
وسار اليهم في جيش كثير وعدد غفير * ولما اقترب من ديارهم
والاطلال ووقفوا على حقيقة الاحوال . اجتمعت منهم السادات
والقواد مع بني خثعم ومراد . لان بلادهم كانت واحدة . وانسابها
قريبة غير متباعدة * والتقوا الاشعث على مسافة ثلاث مراحل
من الديار * وقاتلوه في ذلك اليوم الى اخر النهار . فاستظهر
عليهم غاية الاستظهار . وابلاهم بالويل والدمار . فارتدوا
راجعين على الاعقاب وانقلبوا ايشم انقلاب . وطلبوا المضارب
والقباب . وعند الصباح طرقهم الاشعث بكتايبه . وضيق عليهم

Digitized by Google

لارض بمواكبه . وملأت جيوشه البراري والسباسب * واخذت
على بني زبيد الطرقات والمذاهب * ودارت بهم الشجعان من
كل جانب وابصر عمروامه واخته ريحانة قد نشرن الذوايب
وهن حايرات على ابواب المضارب * فقال لامه اه ثم اه . يا اماه
على ما اكون الان شبعان * كنت ترين فعالي في هولا العربان
فقالت اخته لاأروى الله لك كبدا . ولا اشبع لك جوفا ولا
جسدا * لانك لا تبرح تاكل وانت تشكوا الجوع * ولا كانت
تمتلي منك الضلوع ارحل عنا الان واقصد غير هذا المكان فقالت
لها امها ويلك ياريحانة اما كفاك ما نحن فيه الان من الاضامة
والاهانة * فقد كفانا ان اموالنا تاكلها الاعدا . وولدنا لم يشبع
ولم يروى . ثم دفعت له ناقة عالية السنام * واعطته جميع ما
يحتاج اليه من الخبز والمدام . فاخذ الناقة وذبحها في الحال .
واضرم النار على بعض التلال . وجاس يشوي وياكل اكل
الجوعان * ويتفرج على الحرب والطعان . وما اقبل الظلام
حتى اكل الناقة ولم يترك منها غير الجلد والعظام * وبعد ذلك
جلس الى جانب زق الخمر * وصار يشرب ويتامل في ذلك
البر . وينظر الى الرجال وهم في مقام الكر والفر * وكانت بنو
زبيد قد غمرتها كثرة العدد * وبهرتها زيادة المدد . وظهرت
بها قبايل العرب . وضربت فيها بالسيف المقضب * فتراجعت
الى اذيال الخيام * وقد دارت عليها كوس الحمام . وقتل منها

Digitized by Google

نحو خمسماية قتيل * من كل سيد خطير وفارس نبيل . وباتوا
تلك الليلة في هموم واتراح * وهم يعزون انفسهم الى الصباح
وبعد ذلك خرجوا الى معركة الكفاح . والتقوا اعداهم بوجوه
وقاح واشرعوا الى صدورهم اسنة الرماح . وجرى الدم وساح .
واشتد الصياح * وتلفت الارواح . ولم تكن الا ساعة من النهار
حتى ولت بنو زبيد الادبار . وطلبت الهزيمة والفرار * وايقنت
بالهلاك والدمار * وكان عمرو جالس على التل المقدم ذكره
فلما شاهد تلك الحال اذهله وحيره * وكان قد اصبح شبعان
ريان . فتحركت فيه نخوة العربان * لما سمع صريخ الاطفال
وبكا النسوان * وهانت عليه المنية . وقلت في عينيه الرزية *
ولم تهوله الاهوال * وازدحام المواكب وكثرة الابطال . لان
الاله الكبير المتعال قد بدل طبعه من حال الى حال . وانفذ
فيه مشيته * التي سبقت في علمه وحكمته . حتى يكون من اهل
السعادة . ويحظى بين يدي رسول الله بالشهادة * فنزل من
على الجبل * كانه قلة من القلل . وهو يقول في نفسه لعن الله
من لا يفرق هذه العساكر . ويترك الاوايل تلحق بالاواخر . لان
الاجل اذا حضر . لا ينفع الحذر . ثم ركب بعض الخيل الجياد
وطلب من امه عدة الحرب والجلاد . فصاحت فيه اغدوا من
وجهي يا ولق * كانك ظننت ان الحرب ناقة تاكلها او وليمة
تتغذاها على فاها . فخرج من قدامها الى اواخر المضارب . واذا

Digitized by Google

بابيه قد اقبل وهو هارب * ومعه جماعة من رفقاه * وهو يسوق
جواده ويلتفت الى وراه . فتقدم عمروا اليه حتى قاربه وساواه
وجذبه عن ظهر الجواد . وقال له اعطني آلة الحرب والجلاد .
واقعد انت واجلس مع النسوان * فانك قد كبرت وعجزت عن
لقا الفرسان . فتعجب ابوه من مقاله . واهاله ما راى من فعاله
لانه لم يكن يعهد منه ذلك في الايام السابقة * فناوله السيف
والرمح والطارقة . وقد تمنى انه يهلك في معركة الطعان . حتى
لا يعاير به بين العربان

قال محمد بن هشام . ثم ان عمروا بعد هذا الكلام . ركب
الحصان . وحمل على الفرسان . بقلب اقوى من الصوان .
وطعن برمحه صدور الاقران . ولم يزل على ذلك الشان . وهو
يردي الشجعان . ويبدد الرجال على وجه الصحصحان . الى ان
اخرجهم من بين المضارب والخيام . بعد ما قتل منهم كل فارس
همام . وليث ضرغام . ولما سمعت صوته بني زبيد . وعرفه القريب
منهم والبعيد . قالوا والله ما قصر ابا ثور الاولق . فان طعنانه
لم تخطي النحور والحدق . ثم عادوا من بعد الانهزام . وخاضوا
في سبل القتام وعمل الرمح والحسام . وعمرو ينثر الجماجم ويبري
الهام . ويخطف الرايات والاعلام . وكان ابوه قد عاد الى الخيام
وهو لا يبقي على نفسه من شدة الجراح والالام . فسالته زوجته
عن حاله . وما جرى له في حربه وقتاله . فحدثها بما جرى

Digitized by Google

الكتاب الثالث والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

وكلمن . وكيف اخذ والده منه العدة والحصان فجنايت عليه من
المهالك . ولا نتفه على ذلك . فقال ويلك وكانه كان يسمع
مني ما اقول . فوالله لقد رايت له وجها مثل وجه الغول *
وهو يهم بكلام لا يقع الانسان له على محصول . ولولم اسلم اليه الجواد
والة الحرب والجلاد . لكان قتلني في الحال . وبلغ مني غاية الامال
قال محمد بن هشام . فبينما هما في الكلام . واذا بالصراخ قد علا
وزعزع اقطار الفلا . فد معدي عينيه في جوانب البر الاقفر .
ليقف على حقيقة الخبر . فراى مواكب الاعدا قد تفرقت *
والكتايب قد ولت وتمزقت . فسر بذلك وتعجب . وزال عن
قلبه الهم والكرب . وقال والله لقد فرق ولدي الاعدا بجملاته .
ومزق شملهم بفروسيته . فلعن الله سبال من عاد يمنع عنه
النوق والجمال . وكان عمرو قد صاح وهجم * وطلب صاحب
العلم * كانه الليث الغشمشم * ولما اقترب منه طعنه فارماه *
وصاح على الاشمث صوت ارتجت له الفلاه * وطعنه بالرمح في
صدره * خرج يلمع من ظهره * ثم انه مال على المواكب

Digitized by Google

فمزقها * وهجم عليها فمزقها * وما انتصف النهار حتى تضعضعت جموعها في البراري والقفار * فعند ذلك عادت فرسان بني زبيد * وهم يثنون على عمرو على ذلك النصر والتائيد . وقد اشغلهم بفعاله عن نهب الاموال * وقد تعجبوا كيف نقله الله من حال الى حال * وابصر عمرو اجتماع الرجال حواليه * وهم يثنون عليه * فقال اعلموا يابني عمي الاجواد * ان ذلك القواد * قد قصدكم بعسكر كعدد الجراد * ليطالبكم بالخراج والعداد * فالحقته بقوم ثمود وعاد * وانا اقنع منكم كل يوم بناقة لا غير * وامنع عنكم كل اذية وضير * واي عدو قصدكم اخرجوني اليه * والقوني عليه * حتى اصرم اكم عمره . واكفيكم شره * فقالت له السادات والابطال * ومن عاد يمنع عنك النوق والجمال * والتحف النفيسة والاموال * وقد حميت بسيفك الحريم والعيال * فوحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . اننا لا نريد مقدم سواك . ولا يحكم علينا الا اياك . فشكرهم على هذا الكلام . ثم انهم ارتدوا راجعين الى الخيام . وعمرو امامهم كانه الليث الضرغام . وقد كشف الله تعالى الظلمة عن جنانه . فنطق بالشعر لسانه . وجاشت في راسه الشجاعة . فانشد في تلك الساعة

يابني العم عجلوا لي بزادي والتقوا بي وقع السيوف الحداد
لا تعيبوا على ما كنت فيه من ضلال فقد محاه رشادي

Digitized by Google

كان لله في سـر فلما نفذ الامر اصبح السر بادي
فدعيني يا ام اكسب مجداً وعلوّاً ما دمت احوي قيادي
ما افتخار الفتى بخزٍ وبزٍ ولباس الحرير والابرادِ
انما الفخر كرةٌ في غبارٍ كالح اللون حالك في السواد
وطعان القنا اذا ثار حرب ننادي بالاباء والاجدادِ
فابشروا يابني زبيد بليثٍ حاميا للحريم والاولادِ
يومهُ غير اسمهِ وعلاهُ بعد ما كان ناقصا بازديادِ
فوحق البيت الحرام ومن حج اليهِ من كل شعب ووادي
لاجولن طالبا قلل المجد ببيض الظبا وسمر الصعادِ
وازور العلا بكل غلامٍ ساهر لايذوق طعم الرقاد
واذا ما قتلت خلفت ذكراً مثلا لا يزول بين العبادِ

قال محمد بن هشام. ولما وصل الى المضارب والخيام. استقبلتهُ النسا بالاحتفال والاعتبار. وهناوهُ على ذلك الانتصار وبات كل من في الحي يتعجب من شجاعته. وفصاحته وبراعته وفرحت بهِ امه واباه. ورفعا مكانه وبجلاه. وقدماه على اخيه عبد الله. وكان عمرو قد اخذ درع الاشعث وكان اسمهُ المانع. لا تعمل فيه السيوف القواطع. واخذ سيفهُ اللامع. وجاءت اليه السعاده. وبلغ من الله الاراده. وما عاد نام الليالي. بل جد في طلب المعالي. وصار يواظب الغزوات. ويشن الغارات. وقد هانت عليه النايبات. وقلت في عينيه

المواكب . وصغرت عنده كثرة النوايب . واستجرا على صيد
الاسد من الغابات . وجز في الحرب نواصي السادات . وشاع
ذكره في ساير الجنبات . واتته الهدايا من ملوك البلاد . ونما
حديثه في ساير الوهاد . وحمات له الغفارة والعداد . فكثرت
امواله . ونوقه وجماله . ومات ابوه وغدا . وشرب شراب الردا
وتقوى به اخوه عبد الله على العدا . ورسم له ميدانا من احسن
الميادين . وجعل حوله ابياتا للضيوف والمسافرين . وقصدت
اليه الفرسان . من كل جانب ومكان . وبارز الابطال
والاقران . وقهرهم في ساحة الميدان . واعطى وتكرم . وكثرت
عبيده والخدم . وتحدثت البنات بحسنه وجماله . ومالوا اليه
لكرمه وحسن خصاله . وحج الى بيت الله الحرام . وزار زمزم
والمقام . واجتمعت اليه سادات العرب من الزوار . وسمعت
به ملوك الاقطار . وتحدثوا به في الليل والنهار . وما منهم الا
وقد استدعاه اليه . واخلع وتكرم عليه . لاجل شجاعته . وقوته
وبراعته . وملاحته وفصاحته . الى ان سمع من اخته ريحانة
بخبر اسما وحسن معانيها . فسار الى حلة بني غطفان وخطبها
من ابيها . فاجابه الى ذلك الامر . ثم رجع الى دياره لياتي
بالصداق والمهر . وفي غيبته جرت تلك الامور والاسباب .
وحدث عروة الامير عنتر بهذا الخطاب . وقد ذكرنا بان عنتر
اوصى اخته سلمى وكذلك عروة اخته مروة . ان يكونا [illegible]

بالانتظار . ويتفقان منه الاخبار . حتى اذا زفت الجارية عليه يكمنان له في الطريق . ويعدماه السعادة والتوفيق

قال الراوي وكان الذي اعاق عمرو بن معدي كرب . عن زواج ليس سبب واي سبب . وذلك انه كان في ارض حضرموت مالك عظيم الصولة . مستقيم الدولة . كثير الجنود والعساكر . يقال له زيادة بن الكمال المراهر . وكان له بنت اسمها غفران . قد اعطيت من الحسن والجمال ما لا يوصف بلسان وكان قد خطبها كثير من الملوك والفرسان . وابوها يردهم بالذل والحرمان . وكان يقول اني لا ازوج ابنتي لاحد من الناس . الا لرجل يكون من ذوي الشجاعة والباس . قد اشتهر بالحسن والجمال . والفصاحة والكمال . ودعة يكون فقير الحال ليس له نوق ولا جمال . لانه يوجد بين الرجال من يكون كثير المال . قليل الخبرة في الحرب والقتال . ومنهم من يكون شديد الباس عند النزال . ويكون حظه الفقر والاقلال لانه لا يوجد احد في هذه الدنيا يبلغ درجة الكمال . وما اريد لابنتي . ومهجة قلبي وبغيتي . الا من يسر قلبها اذا ضاجعها في المنام . ويحميها من الاعدا اللئام . اذا شربت كاس الحمام

قال سعيد بن مالك . وما زال على مثل ذلك . وهو يمنع عن ابنته الخطاب . ويرد عنها الطلاب . حتى قال له بعض وزراه اعلم ايها الملك المهاب . ان هذا الامر الذي تطلبه

Digitized by Google

ما تصل اليه ولا تقدر عليه . ولا تنال غرضك واملك . الا اذا فعلت ما اقول لك . فقال وما الذي تقوله لي وتشير . حتى اسمع منك وافعل بمشورتك ايها الوزير . فقال انت تعلم ايها الملك الهمام . ان فرسان العرب الكرام . وملوكها في كل عام . تسير الى بيت الله الحرام . وتجتمع في ذلك المقام . وانا قد رايت من الراي الحازم . ان تنفذ بعض حجابك الى مكة وتلك المعالم * وتكون معهُ خلعة سنية * وحجرة عربية * وتامره ان ينادي اذا وصل الى الحرم * واجتمعت من حوله الخلايق والامم * بهذه القضية * وان لا يسلم ما معهُ من الهدية * الا لمن تشهد لهُ فرسان العرب بالشجاعة والفروسية * وبعد ذلك يحضر الى بين يديك حتى تراه بعينيك

قال نجد بن هشام . فلما سمع الملك من الوزير ذلك الكلام صغى اليه . واعتمد عليه . وصبر حتى صار وقت الموسم . وسمع بقدوم الامم . فعند ذلك جهز ما ذكرهُ الوزير * وانفذ الى مكة شرفها الله الحاجب الكبير . وكان رجلاً جليل القدر * رفيع الذكر . قد حنكتهُ النوايب وادبتهُ التجارب . بعد ما اوصاه بالاجتهاد * في سرعة المسير وبلوغ المراد . وكان قد جد في السير وسابق بمسيره الطير . فوصل الى البيت الحرم . واجتمع بما فيه من الخلايق والامم . ومن تمام سعادة عمرو واحواله الحسنة انهُ كان قد حج في تلك السنة . لان الله تبارك وتعالى اذا اراد

سعادة عبدا من العبيد * انفذ فيه حكمه وفعل ما يريد * وسبب له احسن الاسباب * التي لا تهتدي اليها عقول ذوي الالباب * وكان الحاجب عند وصوله الى البيت الحرام وزمزم والمقام . نادى بامره به صاحبه * حتى سمع كل من في الموسم وعرفوا ما هو طالبه * قال وكان قد حج في تلك السنة جماعة من عظما الاعيان . واكابر الفرسان . وفصحا العربان * منهم يزيد بن عبد المدان . وفروة بن مثيل * الفارس النبيل . والاصهب بن شرحبيل . وجعفر بن عقيل وغيرهم من الابطال . الذين تضرب بهم الامثال * فلما سمعت سادات الاعراب . ذلك الخطاب * تبادروا من كل جانب . واجتمعوا حول الحاجب فتقدم يزيد بن عبد المدان . ليلبس الخلعة ويركب الحصان فقال له بعض سادات بني قحطان اتتقدم يا يزيد على الفارس المنتخب . عمرو بن معدي كرب * وقد حضرت في ميدانه . وشاهدت فضله واحسانه * وصرت من بعض اعوانه . واشهدت على نفسك بالعجز عن حربه وطعانه . فاستحى يزيد وتأخر * وتقدم بعده فروة فقيل له مثل ذلك واكثر

قال سعيد بن مالك وما زالت الفرسان على مثل ذلك حتى بلغت النوبة الى الامير عمرو ذات الهيكل والقدر فصحت السادات اندوه ودارو حواليه . وهناوه بما قد وصل اليه ووصفوه الى الحاجب بالشجاعة والكرم وعلو الهمة . وقالوا له هذا الرجل

احق منا بهذه الخدمة . فتبسم عمرو وتقدم * ولبس الخلعة
وركب الجواد الادهم فقال لهُ الحاجب اعلم ايها السيد الاجل والغيث
الواكف المنهمل ان سيدي المعظم قد امرني ان لا اسلم هذه الخلعة
لاحد من الامم * الا من يكون افرس العرب * واصحها في النسب
واجراها على الاهوال والنوب . فاخبرني ما الذي بلغ من حسنك
وجمالك * وشجاعتك وقتالك . فقال عمرو اما ما بلغ من
منتهى جمالي . وشجاعتي وحسن خصالي . انها ما نظرتني قط
امراة من نسا العرب الكرام . اصحاب الفضل والاحترام الا
وطلبتني لنفسها وفضلتني على ابنا جنسها . واما البنات . فانهن
افتتن بي من ساير الجنبات . وهتفن باسمي في الخلوات . وما فيهن
الا من تمنت ان تراني بالنظر . وفضلتني على ساير البشر . حتى
ان رملة ابنة الحارث المخزومي من كثر ما اصابها . باحت باسمي
بين اترابها . ووصفتني بالفصاحة والشجاعة . والملاحة والبراعة
وكانت كلما راحت واستراحت تقول

الا ليت جاري كجار الحصين   وبعلي عمرو بن معدي كرب
همامٌ شجاعٌ فصيحٌ جميل   كثير العطا عريق النسب

فلما بلغني هذا المقال . علمت اني قد بلغت رتبة الكمال .
فقال الحاجب لمن اجتمع حوله من الابطال . هل صدق عمرو في
ما قال . قالوا اي وحق من ارسى الجبال . وقدر الارزاق
والاجال . فقال الحاجب يا عمرو وما الذي بلغ من شجاعتك

Digitized by Google

وغاراتك وجسارتك . فقال عمرو اما ما بلغ من شجاعتي . وغاراتي وجسارتي . انني ما زلت اطرق احيا العرب في الليل والنهار . حتى هججتها عن المناهل في البراري والقفار . وكان الرجل منهم اذا خطب احد منهُ ابنته . لا يقدر يزوجها لغير فرسان عشيرته . وذلك فزعا مني بالكلية . ان اخذها سبية . وقد بلغني من بعض الرجال . بان منازل بن المنهال . سار الى بني جاهمة في جماعة من الفرسان . وخطب ابنة سيدهم الامير حسان . وبذل لهُ من المهر ما يعجز عن وصفهِ اللسان فقال لهُ حسان والله يامنازل ما انت الا من السادات الافاضل وزين الاواخر والاوايل . ولكنني لا اقدران اخرج ابنتي من عشيرتي . ولا ابعد بها عن قبيلتي . ما دام عمرو بن معدي كرب يركب الخيل . ويعسف البر في النهار والليل . فاخاف على ابنتي من السبي والشتات . ثم انهُ اعتذر اليه بهذه الابيات

منازل ما اعرضت عنك ملالة ولكنني اخشى على البنت من عمرو
فتى اينما سرنا وسارت ركابنا رأينا خيالا منهُ قدامنا يسري
فلا الليل يثني عزمهُ عن ملمة ولا نايبات الدهر تثنيه عن امري
ففي كل ارض قد سبا بنت سيد وافنى ليوث الحرب بالبيض والسمر

قال نجد بن هشام * فلما سمع الحاجب منهُ هذا الكلام * التفت على من حوله من سادات العرب . وقال لهم ما تقولون فيما قالهُ عمرو بن معدي كرب . فقالوا وحق الاله المتعال *

Digitized by Google

الذي قدر الارزاق والآجال . واحصى عدد الرمال . لقد
صدق فيما قال . ثم ان الحاجب قال لعمرو . وما الذي بلغ من
شجاعتك يا زينة الدهر . فقال ركبت في بعض الايام * مع
جماعة من الفرسان الكرام . في طلب الغزو والمكسب . من
بعض احيا العرب . وما زلنا نقطع البراري والآكام . الى ان
وصلنا الى بني هوازن تحت جنح الظلام . واذا برجل .
ينادي في الليل الهادي . وهو يصيح من فواد جريح . الا يوجد
ما هنا من يوصل خبري الى بني زبيد حتى يدركني فارسها المنتخب
عمرو بن معدي كرب . لعله يبادر الى خلاصنا قبل الهلاك
والعطب . فلما سمعت صوت المنادي * اشتعلت النار في
فوادي . وقد زاد همي وغمي . وعلمت ان الاسارى من بني
عمي . فاخذتني الغيرة والحمية . وعصفت في راسي النخوة الجاهلية
فترجلت عن ظهر الحصان . وقلت لمن معي من الفرسان . لا
تبرحوا من هذا المكان . حتى اعود اليكم في عاجل الحال . وان
ابطيت عليكم ارجعوا الى الاطلال . واتموني الى اخي واخواني
لان صوت هذا المنادي قد اشجاني * واريد ان اخاطر في خلاصه
حتى ابلغ مرادي . لان نداه قد ازعج فوادي . ثم سللت حسامي
وهرولت على اقدامي . وطلبت المضارب والخيام وقصدت مكان
الاسارى تحت جنح الظلام . فقطعت كتافهم . وقد بلغت غاية
قصدي . وقلت لهم اتبعوني فاذا هو عمرو بن معدي . ولم ازل

سايرين تحت ظلام الليل. حتى ادركتنا الخيل. فركبت جوادي والتقيتهم وحدي. وقاتلتهم بقوة ساعدي وزندي. * وما اصبح الصباح. حتى مددت منهم جماعة على وجه البطاح. وتركتهم باسوء حال. وقد اتسع عليّ المجال * فعند ذلك صحت عليهم صيحة الغضب. وقلت لهم يا ويلكم انا عمرو بن معدي كرب * المكنى بابي ثور. فارس بني زبيد البعيد الغور. فلما سمعوا كلامي. وفهموا مرامي. هربوا من قدامي. بعد ما ارويت من دماهم حسامي. وتفرقوا في البر الاقفر. ورجعت من وراهم وانا فرحان بالنصر والظفر * وقد خلصت بنو عمي من الاسر والضرر وكانوا سبعة انفار * وعدت اطلب الاهل والديار. وانا اقول

الم ترى ان ضمنا البيد والقفرُ ... بليل كموج البحر اذيا له غبر
سمعت منادٍ في الدجى فاجبتهُ ... وغاب صوابي وهو يصرخ يا عمرو
فقلت لاصحابي امهلوني فانني ... اعود اليكم قبل ان يطلع الفجر
واشهرت سيفي ثم بادرت نحوهم ... بعزم اذا ما جدّ لان له الصخرُ
ونجيت اسرى مذحج من هوازن ... وما صابني خوف ولا مسني ضرُّ
يزيد وسفيان وسعد ومالك ... ونصر وعلوانٍ وسابعهم عمروُ
فلما انثني الخيل فرقت جمعها ... بطعن لشخص الموت في طيه نشرُ

قال الاصمعي فلما سمع الحاجب من عمرو هذا المقال. قال لمن حوله من الرجال. هل صدق عمرو فيما قال. فقالوا اي وحق من ارسا شامخ الجبال * وقدر الارزاق والاجال. ثم تقدم حمد

Digitized by Google

ذالك الى الحاجب شيخ من مشايخ البيت الحرام . وقال لهُ الى كم وانت تطيل الكلام . ياوجه العرب الكرام . ما اخذ الخلعة الا مستحقها . وكل فرسان العرب تشهد لهُ بهذه المقالة وصدقها . ثم انهُ انشد يقول

ايها الحاجب الكثير السدادِ   يامن اتانا بخلعةٍ وجوادِ
فاخبر الان وانت غير ملوم   لاصلاح اتيت ام لفسـادِ
ان اعطيت عمرواً افلا يلومك شخص   ثم دع قول جملة الحسادِ
ليس قيس وفروة بن مثيل   وابن ظبيان من قبيل مرادِ
مثل عمرو اذا بدت غرة الخيل   ثم نادى عند الصباح المنادي
فلعمرو وقايعٌ لو حضرهـا   غيرهُ ما راى من الموت فادي

قال الاصمعي وبعد ذلك تفرقت العرب عن الحاجب لما سمعت شعر الشيخ وكلامه . ونثره ونظامه . واخذ الحاجب عمرو معه الى الخيام . واحضر لهُ الطعام والمدام . واكرمهُ غاية الاكرام . وقال لهُ ابشر يا عمرو بما تنال من السعادة والشرف . وبما يصل اليك من عند صاحبي من الهدايا والتحف . لان لهُ مدة من الزمان . يتمنى هذا الشان . وهو يسال عن رجل حوي الشجاعة والملاحة . والبراعة والفصاحة . حتى يتخذه نديما . وسميرًا وكليما . ويزوجهُ بابنتهِ . ويشاركهُ في مالهِ ونعمتهِ . فلم يجد احدًا من الرجال . قد بلغ درجة الكمال . وحاز هذه الخصال . الى ان وقعت بك في هذا اليوم دون الورى . وجرى لي معك ما قد

Digitized by Google

جرى · وانا اعلم باني قد بلغت اربي · ونلت بك المنزلة العليا
عند صاحبي · حتى اذا بلغهُ وصولي بقضا حاجته · يخرج الي
لقاي في ارباب دولته · وتنجح بذلك جميع مطالبي · لا سيما اذا
راك الى جانبي · وشاهد ما فيك من الحسن والجمال · وسمع ما
قد شهدت لك بهِ الابطال · من الفروسية وحسن الخصال ·
فانهُ يزوجك بابنته غفران · ويحسن اليك غاية الاحسان فقال ·
عمرو ايها الحاجب الكريم · اذا كان ولا بد من مسيري الى هذا
الملك العظيم · فاصبر عليَّ حتى ارجع مع اخواني · الى ارضي
واوطاني · لاني ان انطلقت معك من هذا المكان · وتركتهم ان
يذهبوا وحدهم الى الاوطان · لا آمن عليهم من شياطين العربان
الذين قد افرحت قلوبهم على بناتهم والنسوان · وارميتهم بالذل
والهوان · ولكن ارجع انت في هذه الساعة الى عند صاحبك ·
وانا ان شاء الله تعالى سالحق بك · فقال الحاجب وكم تكون
المدة حتى تلحق بي · واذكرها لصاحبي · قال تكون اربعون
يوما من دون نقصان · وفي اليوم الحادي والاربعون · اكون
عندكم في الاوطان · ان سلمت من نوايب الزمان

قال سعيد بن مالك · فاجابه الحاجب الى ذلك · بعد
ان اخذ منهُ العهد والميثاق · ثم انهما افترقا على ذلك الاتفاق ·
ولما وصل الحجب الى الاطلال · دخل على الملك واعلمهُ بواقعة الحال
وبما سمعهُ عن عمرو من المقال · وكيف شهدت لهُ جميع

Digitized by Google

الابطال . بالفروسية وحسن الخصال . ففرح الملك واستبشر .
وزال عنهُ القلق والضجر . ورفع قدر الحاجب . على سادات
الاعارب . واعطاهُ نوقا وجمالا . وتحفا واموالا . واقام بعد تلك
الحال . بعد الايام والليال . الى ان قدم عمرو في جماعة من
الابطال . ففرح بهِ الملك غاية الفرح . واتسع صدره وانشرح .
ونزل في قلبه باعلا مكان . وامر لهُ بغرفة جميلة البنيان . كانها
مقصورة من مقاصير الجنان . وارسل لهُ جميع ما يحتاج اليه .
وصار عنده اعز من روحه التي بين جنبيه . واقام عمرو في عز
واكرام . واكل طعام . وشرب مدام . وسماع انغام . مدة ثلاثة ايام
على التمام . وفي اليوم الرابع ركب الملك وعمرو وسارا الى الميدان
وعلى رؤسهما الرايات والاعلام . ومن حولهما الخدم والغلمان . فلما
وصلا تبادرت الفرسان الى البراز والجولان . وكان ذلك باذن
الملك ابو غفران . حتى يبصر ما يجرى لهم مع عمرو في مقام الضرب
والطعان . ليحقق ما سمع عنهُ من الشان . ولما علم عمرو بتلك
الحال . استلب الرمح وساق الى ساحة المجال . ثم انقلب على
ظهر الحصان . واظهر في الحرب ابوابا تعجز عنها صناديد الفرسان
ثم حمل على ثلاثة الاف من الابطال . فانزل بهم الذل والنكال
ووقعت هيبتهُ في قلوب الامم وساقهم امامه سوق الغنم .
فتعجب الملك من فروسيته . فلزوجه بابنته . وحكمهُ في امواله
ونعمته . وكانت ليلة عرسه ليلة مشهورة في ذلك الاقليم . فلما

فيها من الحظ والخير العميم . واقام مع زوجته في حظ وسرور *
مدة ثمان شهور * وبعد ذلك انتبه من خمرة الفرح والدنان
واشتاق الى الاهل والاوطان * فاستحى ان يخاطب عمه بذلك
الشان * فشكى ذلك الى زوجته غفران * واعلمها بحالهِ * وانهُ
قد اشتاق الى اهلهِ واطلالهِ * وكانت الصبية قد غرقت في
بحر هواه * فلما سمعت كلامهُ وما ابداه * خافت ان يتركها
ويذهب الى الاطلال * فتموت من شدة العشق والبلبال *
فاعلمت اباها بقصتهِ . وحدثتهُ بما في قلبها من محبتهِ . واستاذنتهُ
في المسير معهُ الى اهله وحلتهِ . فلما سمع كلامها وفهم قصدها ومرامها
قال لها انني ما فعلت هذا كلهُ الا من اجلك . وان كنتِ ترغبين
المسير معهُ فهو على كل حال بعلك . وقد اختبرتهُ غاية الاختبار
فوجدتهُ من اشجع فرسان الاقطار

قال نجد بن هشام ثم انهُ جهز ابنته في مدة عشرة ايام . واصحب معها
من الاموال والتحف الحسان * ما تعجز عنهُ ملوك الزمان . ولما
انتجز من شغلها امرها بالمسير مع بعلها . وسار لوداعها يوما كاملا
وعند المسا رجع الى حلته . من بعد ما عانق عمرو واوصاهُ بابنتهِ
وان لا ينقطع عن زيارتهِ . ولا يكتم عنهُ امرًا من الامور . مدى
الايام والشهور

قال نجد بن هشام . فلما سمع عمرو منهُ ذلك الكلام . قال
لهُ والله يا مولاي ان لساني قصير في مدحك وشكرك . واني لا

ازال طول عمري ابوح بذكرك * وان لم احفظك فيما استحفظتني وارعاك فيما استرعيتني . فما اكون عمرو بن معدي . ولا يكون صدق في نسبي ابي ولا جدي * ثم انهُ بعد ذلك ودعهُ وسار . وجد في قطع المفاوز والقفار . والسهول والاوعار * طالب الاهل والديار

قال مجد بن هشام * وما زال يقطع البراري والاكام . مدة خمسة ايام . وفي اليوم السادس شكت غفران الى عمرو من شدة التعب والوهب * لانها كانت رقيقة الحاشية طرفة البدن . لو كلفت حمل خردلة اسقمتها * او مسكت بيدها سوسة المتها . فاورثها ذلك انزعاجا وانكسارًا . وضعفا في جسمها واصفرارًا * فلما ابصر عمرو نالها صعب عليه . وضاق فسيح الارض في عينيه * فصار يقصر في المراحل . ويقيم على الاميا والمناهل . الى ان زاد عليها الحال . وتضعضعت منها الاحوال . وكانوا قد وصلوا الى مرج افيح . قد ازهر نباته وفتح * وهو ما بين ابيض واحمر وازرق واصفر . فنزل عمرو في ذلك المكان . لاجل راحة زوجته غفران . غير انهُ ما اقام اكثر من ثلاثة ايام . حتى شربت الصبية كاس الحمام . فصعب ذلك الامر على الامير عمرو . وامر جوارها ان يغسلوها . ويتولوا امرها ويكفنوها * فامتثلوا الى ما امر . وفعلوا كما ذكر . وبعد ذلك واروها في التراب . وبكوا عليها واكثروا الانتحاب . وشق عمرو ما عليهِ من الثياب . وقد عظم عليهِ ذلك المصاب

فقال له بعض بني عمه. لما ابصر الى كثرة همه وغمه اتقدر يا عمرو ان
تعارض احكام رب البرية . اذا اشتدت العلل ودنت المنية. وهو
المرض الذي اعيا اهل الارض . وعجزت عنهُ الحكما في طولها
والعرض * وما سلم منه ملك شديد . ولا جبارٌ عنيد . ومن يكون
مثلك يلتقي بصدره اسنة الرماح . ويحضر معمعة الحرب
والكفاح . يتعجب من مفارقة الاجساد للارواح . ومن الواجب
عليك ان تشكر الرب القديم . الذي جعل سعدك مستقيم .
واطال في عمرك وبقاك . ورفع نجمك فوق الثريا والسماك .
وسلط سيفك على رقاب اعداك . وانت على كل حال في مبتدا
الشباب . وفخرك قد فاق على الاعراب . وبنات العرب كثير .
ولك ايضا عروس مثل القمر المنير . وهي لميس ابنة همام . التي
قد حيرت بحسنها ساير الانام . وقد خطبتها من ابيها من مدة
ايام . وسرت في طلب المهر والصداق . وجرى لك ما جرى من
هذا الاتفاق . والصواب ان تسير من هنا الى بني غطفان . وتعطي
ابوها شيا من هذه الاموال الحسان . وتاخذ زوجتك وتعود
بها الى الاوطان . قال ولم يزال ذلك الرجل يهوّن على عمرو
صروف الزمان . الى ان ذهبت عنهُ الهموم والاحزان . ثم انهُ
سار من ذلك المكان . وجد في قطع البراري والكثبان . الى ان
اشرف على حي بني غطفان . ووصل الخبر الى ابي لميس فركب
الى ملتقاه . في جماعة من اهلهِ واقرباه . ولما التقوه . سلموا عليه

Digitized by Google

وحبوه . ورفعوا قدره وعظموه . وقالوا في انفسهم هذا يكون حاميتنا من النوايب . وحصننا المنيع اذا جارت علينا فرسان الاعارب . ثم انزلوه على بعض الغدران . وضربت العبيد الخيام في ذلك المكان . واقام عمرو ذلك اليوم . في دعوة القوم . وعند الصباح خلع على عمهِ الخلع السنية . واجزل لهُ المواهب والعطية واعطاه خاتما من الجوهر النفيس . يساوي ثمنهُ خمسة الاف كيس . وطلب منهُ ان يزف عليه ابنته لميس . فاجابهُ الى ما طلب * وقد اندهل وتعجب * من فرط كرمهِ وكثرة خيرهِ . لانهُ ابصر منهُ ما لم يراه قط من غيرهِ * وفي الحال امر امها بنجاز شغلها * ليزفها على بعلها

قال نجد بن هشام * وقد ذكرنا قبل هذا الكلام * بان عنتر كان قد اوصى اختهُ ام الهطال * ان ترسل تعلمه اذا جاء عمرو الى تلك الاطلال * حتى يكمن لهُ في الطريق * وياخذ منهُ لميس ويعدمهُ السعادة والتوفيق * فلما وصل عمرو الى بني غطفان * ارسلت اخت عروة واخت عنتر تعلمها بذلك الشان

قال نجد بن هشام . وكان عنتر في تلك الايام . قد سار الى بلاد الشام * في طلب الخمر والمدام . فلما وقف عروة على ذلك الخبر تاسف وتحسر . على غياب ابو الفوارس عنتر . ولكنهُ نهض في الحال * واخذ معهُ جماعة من الرجال . وسار يقطع البر * حتى يكمن لعمرو * ولم يزال يقطع البراري والكثبان . حتى وصل

Digitized by Google

الى بعض الوديان . ونزل بمن معهُ في ذلك المكان . واكمنوا
فيه وتفرقوا في نواحيه . ولما ابطا عليهم الخبر زاد بعروة القلق
والضجر . وقال لمن معهُ من الرجال . ما اقول الا ان عمروا اخذ
زوجته وسار بها الى الاطلال . وانا لابد لي ما اسير الى بني غطفان
في ذي فقرا العربان . واكشف حقيقة الاخبار . لان قلبي قد
اشتعل بنار ثم انهُ نزل عن ظهر الجواد ونزع عنهُ الة الحرب والجلاد
وتزيا بزي عبيد الحجاز . واوصى اصحابه بالتيقظ والاحتراز .
ثم انهُ سار من غير توان . حتى وصل الى حي بني غطفان . فوجد
الحي منقلبا بالافراح وهو يرهج بلمعان السلاح . وسمع اصوات
العبيد والاما ينقرن بالدفوف * والرجال تلعب بالسيوف .
فعرف ان امر القوم قد راج وهم في وليمة الزفاف والزواج . وان
عمرو دخل على زوجته من دون احتجاج . فزاد بهِ لهيب الجمر
وسكر من غير خمر . وتاسف على غيبة عنتر الاسد الغضنفر . وقال
في نفسهِ ما بقي في الامر . الا الرجوع الى اصحابي والاجتهاد في
قتال عمرو

قال سعيد بن مالك . فبينما هو كذلك واذا ببعض العبيد
خارج من بين الخيام . وهو قاصد البراري والاكام . كانهُ ذكر
النعام . فتقدم عروة اليهِ . وسلم عليهِ . فرد عليه السلام بافصح كلام
وقال لهُ ان كنت غريبا عن الاوطان . فدونك وحلة بني
غطفان . واحضر سفرة الطعام حتى تحظى على بلوغ المرام * فقال

Digitized by Google

عروة اني ارى القوم في انتهاز فرص المسرات * والرقص داير بين النسا والسادات . من ساير الجهات . فهل عندكم وليمة . او عرس او غنيمة . فقال عندنا عرس لا كالاعراس . وعريسا لا يوجد مثلهُ بين الناس . وقد اشبعنا من اللحم والتمر . وتركنا نشاوى من قهوة الخمر وفي هذه الليلة تزف عليه صبية جليلة القدر . ابها من الشمس وازهامن البدر . فقال لهُ عروة يا ابن الخالة وقد اراد تحقيق تلك الحالة والله لقد عظمت امر هذه الصبية وقد راهلها * فمن تكون من البنات وما هو اسم بعلها . فقال لهُ اما بعلها فهو السيد المحترم . والليث الغشمشم فارس العجم والعرب . الامير عمرو بن معدي كرب * واما العروس فهي بدر التمام . ومصباح الظلام وزينة الليالي والايام . السيدة ليس ابنة الامير هام . وفي الليلة الاخرى . يجمع الله في تلك البقعة الحمرا شمسا وبدرا

قال نجد بن هشام . فلما سمع عروة منهُ ذلك الكلام . اعتراه الانذهال . وتضعضعت منهُ الاحوال . وقال لهُ ومتى يرحل من هذه الديار . يا ابن الاخيار . فاستشاط العبد غضبا . واضطرم فوادهُ لهبا . وقال لهُ ما الحك في السوال . فدع عنك هذا المقال . ودونك والزاد فاملا وعاك . ولا تسال عن احد سواك ثم ان العبد تركهُ وطلب الصحرا . وبقي عروة وحده لا يسمع ولا يرى . ثم انهُ ارتد راجعا على الاثر . وهو يتنهد ويتحسر . ولما وصل الى عند اصحابه حدثهم بما سمع وابصر . وقال لهم في اخر الكلام

Digitized by Google

اتم تعلمون يابني الاعمام . اني عشت كل هذا العمر الطويل ورايت من بنات العرب كثيرا غير قليل . فلم يمل قلبي قط الى غانية او حرة . الا في هذه المرة . وقد وقعت الان في اعظم امر . واحس ان في قلبي لهيب الجمر . وما اريد منكم الا النصيحة والاجتهاد في قتال الامير عمرو . لاني قد سمعت بهِ مرارًا . وقيل لي انهُ فارسا جبارًا . وبطلا مغوارًا . وليثا كرارًا . وانا لا بد لي ما اصدمهُ بصدري . وابذل في قتالهِ جهدي وصبري . ولا افارقه الى ان اقتل . او اقتلهُ وابلغ الامل . فقالوا لهُ والله يا ابن العم ما فينا من يتخلا عنك ابدا . ولو ان عمرو ما يترك منا احدا . لاننا من بعض رجالك وصنيعتك . وما نحتاج الى تحريضك ووصيتك . ثم ان عروة اقام هو ورجاله الاخيار . لعمرو في الانتظار . بعد ما ترك جماعة منهم على راس الوادي لكشف الاخبار

قال الراوي هذا ما كان من عروة وما تم لهُ من الامر . واما ما كان من الامير عمرو . فان عمه كان قد انجز نوبته . وزف عليه ابنته . وبعد ذلك اخلاها معه وهي في الحال الحسان . كانها الغزال العطشان . فجلت عن قلبهِ الهموم والاحزان . وابصرت هي منهُ رجلا كاملا . وسيدا نبيلا فاضلا . فاعتنقا اعتناق العشاق . وكانت لهما ليلة احلا من اجتماع الاحباب بعد الفراق . فباتا في سرور وهنا . بعد التعب والعنا

قال نجد بن هشام . واقام عمرو في بني غطفان ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع استاذن عمهُ بالمسير الى حلته . وشكى اليه شدة شوقه الى اهله وعشيرته . ثم انهُ تجهز وسار من يومه . وسار معه حموه في جماعة من قومه . وكذلك اخوتها وابوها . وبعض نساء بني عمها * وساروا معها طول ذلك النهار * وعند المسا ودعوها ورجعوا الى الديار

قال سعيد بن مالك . وسار عمرو بعد ذلك * وهو يقطع البراري والكثبان * طالب الاهل والاوطان * ولم يكن معهُ سوى خمسة ابطال * من صناديد الرجال

قال الراوي وما زال يقطع الروابي والقفار الى ان تنصف النهار * فوصل الى ذلك المكان * الذي فيهِ عروة ومن معهُ من الفرسان * وكانت تلك البقعة كثيرة البساتين والرياض * يشقها جدول كالحية النضناض * فعول عمرو ان ينزل على جانب ذاك الغدير . الى ان ينقضي الحر والهجير . واذا بالرجال قد تبادرت اليه * وهجمت عليه * وهو يصيح وافرحاه بعد ترحاه . خابت والله يا عمرو آمالك * وساءت احوالك * وجاءك من هو احق منك بالعروس * واليوم تتبدل سعودك بالنحوس

قال نجد بن هشام . ثم انهُ بعد هذا الكلام . انقض عليه كالباشق وقد هاجت عليه البوايق . وقد مدت الرماح الخوارق . وسلت السيوف البوارق . فتبسم عمرو عجبا . وابدى للحرب سرورًا وطربا

Digitized by Google

وهانت الرجال في عينيه . وعلم انها سوف تخسر معه وتذل بين
يديه . فقال لاصحابه ياوجوه العرب * بحق ما بيننا من النسب *
لا يحمل معي منكم احد في القتال * ولا يعينني على هولاي الانذال
بل قفوا واحفظوا الهودج . حتى اريكم كيف اخطف منهم المهج
لان لي مدة طويلة . ما اخضبت بناني . ولا رويت من الدما
سناني ثم انه صاح فيهم وحمل . بقلب اقوى من الجبل . واستقبل
عروة في الحال . وصدمه صدمة تزعزع الجبال وقاتله حتى اتعبه
وطعنه بعقب الرمح اقلبه . ونزل اليه وشد كتافه . واوثق سواعده
واطرافه . ثم انه ركب الحصان . وطلب باقي الفرسان . من بني
عبس وعدنان . وتلقاهم بطعن يخطف البصر وضرب لا يبقي ولا
يذر . وهو بينهم كانه الاسد الغضنفر . وما اظلم الليل واعتكر *
حتى قتل منهم اثنى عشر . واسر خمسة وثلاثون نفر . والباقون
هربوا وطلبوا البر الاقفر ثم انه شد الاسارى بالحبال . وجمع
الخيول والاموال . ونزل على الغدير بمن معه من الرجال . وهو
مسرور ببلوغ الامال . وبعد ان اكل الطعام . وشرب المدام امر
باحضار عروة اليه . فلما صار بين يديه . قال له ويلك يا قرنان
من تكون من بني عبس وعدنان . حتى وقفت لي في هذا المكان
وانا فارس الفرسان . ومبيد الابطال والشجعان . وقاتل الانس
والجان . وذكري قد شاع في كل مكان . فحدثه بحديث ليس من
اوله الى اخره * واوقفه على باطنه وظاهره . فلما سمع منه ذلك

المقال . ووقف على حقيقة الحال . قال له ويلك يا ابن الانذال اذا كانت قد اعرضت عليك فما قبلتها ولا خطبتها . ولما تزوجتها انا عدت طلبتها . ولكن قد غرك الطمع حتى تاتي خلفي . وتقع في قبضة كفي . ومع ذلك فاني اتعجب يا قليل المروة والادب . كيف انه لم يحضر عبدكم عنتر . ويعينك على هذا الامر المنكر لاني قد سمعت عنهُ انه كثير الفضول . وكثيرًا ما يلقي نفسهُ في كل امرٍ مهول . وقد طرق ديارنا من قديم الزمان . في جموع بني عبس وعدنان * وقتل منا خالد بن محارب الشجاع القادر . واسر زوجته الجيدا ابنة زاهر . واسر ايضا ابي وهلاكه غاية مطلبي . وما اعاقني عنهُ في الايام الماضية . والسنين الخالية . الا تولعي بالنسا والبنات واشتغالي بالحروب والغارات . وها انت قد وقعت الان في يدي . وبك ابلغ غاية مقصدي . وقد عولت ان ان ارسلك الى قوم خالد بن محارب . حتى يعذبوك ويبلغوا منك المارب وان قصد اسودكم تلك الاطلال املاً بخلاصك من الاسر والاعتقال جربت نفسي معهُ في القتال . فان انا ظفرت بهِ بلغت درجة الكمال . وافتخرت على ساير الابطال وان هو ظفر بي فديتك بنفسي . واطلقتك من حبسي . لان الفارس في الحرب . يجب عليهِ ان يحذر غوايل الطعن والضرب * فقال عروة لا بد من مجي عنتر * وحينئذٍ يبان لك حقيقة هذا الخبر . لانهُ لو كان حاضرًا عند مسيري من الاطلال * كان اتاك وحده وقضى الاشغال

Digitized by Google

لانهُ ما توجه قط في امر الا و بلغ الامال . وما قاتل عسكرًا الا
ونادى الله فيه بالويل والوبال

قال نجد بن هشام . فلما سمع عمرو من عروة ذلك الكلام .
اثر في قلبه اعظم اثر . واشتاق الى لقاء عنتر . كما تشتاق الارض
العطشانة الى وابل المطر

قال الراوي وكانت لميس لما رات الفرسان متبادرة اليه .
خافت عليه . واجرت الدموع بين يديه . فلما اسر عروة ووجا له
ورات لميس فعاله . طاب قلبها . وزال خوفها وروعها . فلما
اجتمع بها . لامها على بكاها وانتحابها . وقال يا لميس ها انتِ قد
جربتِ فعالي . وبان لكِ في الحرب قتالي . فامني عليَّ من
صروف الزمان ونكبات الليالي . فوحيات عيناكِ لو ان هذه
الارض مملوة كتايب ومواكب . ما تركت ان يصل اليكِ
لا ماشٍ ولا راكب . فابذلي خوفكِ بامان . واسالي عن فعالي
ساير الفرسان . فقالت له لميس ما انا الا قد سمعت بفعالك .
واخبرت بقتالك . وازددت فيك محبة . وصار لك في قلبي منزلة
ورتبة . ومرادي يا ابن الكرام ان تطاوعني فيما اشور به عليك
من المرام . ولا تخالفني في هذا الكلام . وهو ان تطلق اسرا بني
عبس من يديك . ولا تدع مثل عنتر ان يعاديك او يقصد
اليك . لاني والله رايت من فعاله لما كنا مع بني عبس في اشيال
حروب وقتال . ما تقدر على بعضها صناديد الرجال . فقال لها

عمرو وقد اغاظه كلامها ما هذا المقال . فوحق مقدر الارزاق والاجال . ومرسي شوامخ الجبال . لا لتقين عنتر قدامك وفي حضرتك . واتركه مثل بعض العبيد الذين في خدمتك . ويقود بزمام ناقتك . وبعد هذا لولا شوقي الى حربه ولقاه . كنت اطلقت لاجل خاطرك اصحابه ورفقاه . ثم انه اقام في اخذ الراحة الي وقت السحر . وهو مشتاق الى قتال عنتر الاسد الغضنفر . وبعد ذلك شد الاسارى على خيولهم وسار . وجد في قطع القفار طالب الاهل والديار . ولما تضاحا النهار . تذكر وصف لميس لعنتر . وبكايها عليه خوفا من وقوع الخطر * فجاش الشعر في خاطره وانشا يقول

اجرت لميس الدمع من اجفانها   خوفا عليّ من صروف زمانها
فزعا عليّ بان اصابه وظنها   اني كمن في الحي من فرسانها
لكن رات طعني وحر مضاربي   فتبدلت لوجالها بامانها
لا تفزعي ودعي المخافة واعلمي   اني انا الاوام في حدثانها
والخيل تعلم والفوارس انني   عند اللقا اسطو على شجعانها
واذا الغبار علا وثار واقبلت   اقرانها تدعو الى اقرانها
لاقيتها وقبضت من ساداتها   ارواحها وعفوت عن ابدانها
في كل ارض لي حديث شايع   تعتاده الابطال يوم طعانها
وانا حصرت الاسد في غاباتها   وقبضتها بالليل من اسنانها
وبنيت لي فوق الثريا قبة   بشمس الضحى والبدر من اركانها

Digitized by Google

تحملا ياصاحبيّ رسالتي وعلى بني عبس قفا ببيانها
لولا لعبد بني قراد بانني بذاك عز رجاله بهوانها
اسرت عروة وهو يزعم انهُ حامي العشيرة يوم سوق رهانها
فلعلهُ ياتي اليَّ مبادرًا وتجره الاقدار في ارسانها
وترى لموس بعينها من بعلها طعنا يدلّ حروفها باماتها

قال محمد بن هشام ثم انهُ جد في قطع البراري والاكام مدة ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع . اشرف على ارض يقال لها المصانع . وهي ارض منقطعة عن العمران . بعيدة عن الاهل والسكان . كثيرة الدحال والغابات . عزيزة العشب والنبات . فلما توسط غاباتها . وصار بين اجماتها . واذا بجواده قد شخر ونخر . ونشر ناصيته وتاخر . وضرب بحوافره الارض والحجر . وانجمع حتى انهُ بقي مثل الحجر . لاينفع راكبه ولا ينجي صاحبه . وابصر عمرو منهُ تلك الحال . فاعتراهُ الاندهال . وضربهُ بالسوط وهمزه بالمهاز همزا . فجمز الجواد جمزا . ودخل بين الادغال والشجر . وسلك في ممالك الخوف والخطر . فمد عمرو عينيه ونظر . واذا باسد عليه قد ظهر وهو طويل الشعر اغبر . كبير الراس اوطس المنخر . يطير من عينيه الشرر . فلما نظر الى عمرو زار وهمر . وعن انيابه كشر . فظهر له انياب واظافر احد من الخناجر . ومخالب . كانها القواضب *
فاستعظم عمرو . ذلك الامر . ونزل عن جواده لاجل قتاله . واخذ سيفه في يمينه . ودرقته في شماله . وتقدم نحو الاسد وقلبه

اقوى من الجلمد . وخاف ان تراه ليس بعين النقصان . فتقول
انه ولّى من امام السبع وهو فزعان . ولما علمت ليس بحاله تبسمت
من فعاله . وانشدت تقول

قد كنت احسب ان عمرواً اذا راى ليث العرين يقودهُ كحمار
حتى رايت الليث ثم رايتـــهُ لما راهُ موليا بفرار

قال محمد بن هشام . فلما سمع منها هذا الكلام . هاجت غبونهُ
وزاد به جنونه . وتغير لون وجهه واحمرت عيونه . وقال لها مثلي
يقال هذا المقال وانا الاسد الرئبال . وابو الفرسان والابطال
فقفي وانظري مني العجب . وانا عمرو بن معدي كرب . فارس العجم
والعرب . وكان الاسد لما راه قاصد اليه . تلقاه وضرب بذنبه جنبيه
والشرر يطير من عينيه فعندها زعق به عمرو زعقة عظيمة كانها
الرعد القاصف . او الريح العاصف وضربه بالسيف فوقع بين
عينيه . خرج يلمع من فخذيه . فشطره شطرين . ووقع على الارض
قطعتين . ثم عاد الى ظهر الحصان . وقد تعجبت من فعاله جميع
الفرسان . وكان عروة قد تعجب من تلك الضربة وانبهر . وقال
وحق خالق البشر . ما يقدر على مثلها الا ابو الفوارس عنترة . ثم ان
عمرواً تقدم الى الخوابس واخذ يعاتبها بالكلام . وقال لها تعايرني
بعودتي من امام الاسد يا ابنة همام . وتظني اني رجعت عنهُ مخافة
منهُ . فقالت لا والله يا فخر الرجال . وزينة الايام والليالي . وانما
مزحت معك بذلك المقال . وهزرتك كما تهز سيوفها الابطال

Digitized by Google

حتى ظهر لي منك ما ظهر من الشجاعة والمقدرة التي تعجز عن مثلها الجبابرة . ولو لم انشدك تلك الابيات التي سمح بها الخاطر . ما كنت ضربت ذلك الاسد الكاسر . تلك الضربة التي تعمي النواظر وتذهل البصاير . ويبقى ذكرها بين الخلق مدى الايام ساير * فلما سمع عمرو منها ذلك الخطاب نزل على قلبه احلا من الجلاب . وزال ما بقلبه من اللهيب * لان الحب يلتذ بكلام الحبيب . ثم انه بعد ذلك الكلام . جد في قطع البراري والاكام * وهو ينشد ويقول

اكبشة لو شهدت ببطن جيش ... وقد لاقى الهزبر اخاك عمروا
اذا لرايت ليثا رام ليثا ... هزبرًا اغلبا لاقى هزبرا
تظن لميس ان الليث مثلي ... واقوى همةً واشد صبرًا
واني خفته ورجعت عنه ... مخافة ان يمد اليَّ ظفرا
لقد خابت ظنون لميس فيه ... واضحى البرخالي منه صفرا
تاخر عنه مهربه اذ راهُ ... وخاف فقلت لا وقيت مهرا
انل قدمي ببطن الارض اني ... وجدت الارض اثبت منه ظهرا
وقلت له وقد ابدى نصالاً ... محددة ولحظا مكفهرا
يدل بمخلب وبحد ناب ... وباللحظات تحسبهن جمرا
وسيفي بيمناي ماضي العزم ليبغي بضربه ... قراع الموت اثرا
فقلبي مثل قلبك ليس يخشى ... ولو لاقى المنية وهي تترى
فانت تروم للاشبال قوتا ... وقصدي ان تنال لميس فخرا

Digitized by Google

فكيف تريد مني ان اولي واترك في يديك النفس تشرى
فسرعني واقصد لحم غيري طعاما ان تحمي اليوم مرا
فلما ظن ان النصح غشٌ وخال مقالتي زورًا وهجرا
مشي ومشيت من اسدين راما مراما كان يطلباه وعرا
هززت لهُ الحسام فخلت اني سللت بهِ لذي الظلما فجرا
وجدت بضربةٍ جاتهُ شفعا بساعد ماجدٍ تركتهُ وترا
فخر مجندلاً فحسبت اني هدمت لهُ بناءً مشمخرا
وقلت لهُ يعزُّ عليَّ اني قتلت مناسبي جلدًا وقهرا
ولكن رمت شيا لم يرمهُ سواك فلم تطق يا ليث صبرا
فلا تجزع فقد لاقيت حرا يحاذر ان يعاب فمت حرا

قال سعيد بن مالك . وما زال يقطع الروابي والدكادك . حتى وصل الى ارض كثيرة الرياض * يقال لها عين اباض . فبينما هو قد عوّل ان ينزل في تلك الساحة . لاجل النزهة والراحة واذا بغبار . قد علا وثار . من جوانب القفار . وسد منافس الاقطار . وبعد ساعة انجلا للابصار . وبان من تحتهِ نوق وفصلان . واسيران مشدودان . ومن وراهم جماعة من العبيد . يتقدمهم فارس صنديد . كانهُ الشيطان المريد . وهو دونهم مكشوف الراس خالي من الزرد واللباس . وما عليهِ غير ثوب من الخام . وهو طويل القوام . مسفر اللثام . وعيناه في راسهِ تشعل مثل المشاعل والفروسية عليه شواهد ودلايل

قال سعيد بن مالك . فلما ابصر عمرو الى ذلك وقف في ذلك المكان . في من معهُ من الفرسان . وقد اخذته الحمية . وعصفت في راسهِ نخوة الجاهلية . واراد ان يقول لبعض عبيده ان يتقدم ويكشف لهُ خبر تلك السرية . وينظر من اي عرب هم من سكان البرية . واذا هو بالفارس المقدم ذكره قد طلبهُ . وركض بالجواد حتى قاربهُ . وقال لهُ من تكون يافتى من فرسان العرب . اصحاب المناصب والرتب . اذكر ما لك من الحسب والنسب . قبل الوقوع في العطب . فقال عمرو وقد استشاط غضبا . واضطرم فؤاده لهبا . ياعبد السوا رجع الى وراك . وعد الى رفقاك . ولا تتعرض لمصرعك وفناك . فوحق البيت الحرام وزمزم والمقام . اني ما توقفت عن التعرض اليكم . الا شفقة مني عليكم . وان كنت جاهلا بي . فانا اعلمك باسمي ونسبي . انا صاحب النسب العالي . السابق الى قلة ابراج المعالي . من قرت لفضلهِ السادات والموالي . فارس العجم والعرب . عمرو بن معدي كرب . فلما سمع كلامهُ تبسم عجبا . وابدى للحرب سرورًا وطربا . وقال اهلا وسهلا بك يابن معدي لقد شفيت في هذا النهار قلبي وكبدي . واليوم يشبع بيننا وحش البر . وتتعلم الابطال منا حقيقة الكر والفر . وان هذه الغنيمة التي معي سقتها من قومك بالجملة . بعد ما جرحت اخاك عبد الله وقتلت جماعة من فرسان الحلة . وقد رجعت منصورًا كما ترى . وانا اسوق

Digitized by Google

غنيمتي في هذه الصحرا . فالتقيت بك في هذا المكان . ولا بد لي من اخذ ما معك ومع هذه الفرسان . حتى تكون المطالبة واحدة . وسفرتنا محمودة العاقبة وكثيرة الفايدة

قال الراوي وكان هذا العبد يقال له سليك بن سلكة . والداهية المهلكة . وكانت العرب تسميه غول البر . وشيطان القفر . وتعده من جبابرة الفرسان وتحذر على انفسها منه في كل مكان . لانه كان مثل فرخ الجان . او من عفاريت سيدنا سليمان لا يستر حرمة . ولا يراعي ذمة . لا يعرف الا سفك الدما وارتكاب الفجور . وخطف البنات من الخدور * وكان يقاتل فارس وراجل . واذا عدا على قدميه يسبق الخيول الصواهل . وكانت صورته مذكورة * وافعاله بالقبايح مشهورة

قال وكان هذا الفارس الادهم هو الذي كان الامير عمرو البطل الغشمشم * يصفه لاصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . لانهم كانوا اذا راوا قتال عمرو وفعاله في الفروسية . يسالوه عن فرسان الجاهلية فيصف لهم ما شاهد من فروسيتهم في القتال . وثباتهم في مواقف الاهوال . ويقول ايها السادة الاخيار . وحق العزيز الجبار . اني ما سرت في ليل او نهار . واعرضت نفسي على النوايب والاخطار . وخفت قط من عفريت او جبار . الا من عبدين * او حرين ابيضين . فاما العبدان فهما سليك بن السلكة وابو الفوارس عنتر . واما الحران فهما ربيعة بن زيد المكدم والملك الاخضر *

قال صاحب الحديث والخبر * وهذا اصح من نقل وذكره ان
عمروًا قال . عندما سالته الرجال . هذا السوال . بان الحران هما
عامر بن الطفيل وزيد الخيل . لان عمروًا كان من طبقتهما في
الفروسية . واشد باسا عند وقوع الرزية

قال نجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . فلما سمع
عمرو كلامه . علم قصده ومرامه . لانه لم يكن التقى به الا في ذلك
النهار . فاشتعل قلبه بالنار . عندما بلغه ما فعل في الديار . لانها
لم تكن قط نابية نابية . ولا التقاه فارسا وطلب معه المحاربة . الا
وعادت امامه خايبة . فلما راه في ذلك اليوم وهو مكشوف الراس .
خالي من الزرد واللباس . قال له ويلك يا سليك لقد سعت
بك رجلاك . الى طرق الهلاك . وقدمتك قدماك . الى اشراك *
ما لك منها فكاك * فارجع الان الى قومك والبس على جسدك
من الحديد والزرد النضيد . ما يرد عنك طرق المنايا لك . ويدفع
عنك سنان هذا الرمح المتدارك . حتى لا يبقى لك حجة بها تحتج .
اذا ايست من الفرج ولا يقال ايضا عني بين الناس . ان عمروًا
استعجل على فارس بالحرب قبل ان يحترز على نفسه بالزرد واللباس
فقال له سليك مثلي لا يحتاج الى الاحتراز . ولا يخاف من بريق
الحسام في معامع البراز . فوحق البيت الحرام . وزمزم والمقام *
لا التقيك في هذا اليوم الا بهذا الثوب الخام . ولا تركن فرسان
العرب الكرام تتحدث بفعالي بعدك عاما بعد عام . وما ارجع الى

Digitized by Google

اهلي واعود . حتى اعانق ربة هذا الهودج وانال المقصود
قال الراوي ولم يكن في فرسان العرب من الشجعان . اكثر منه محبة للنسوان . وهن اللواتي هون عليه النوايب . واحوجنه ان يلقي نفسهُ على الاهوال والمصايب . لان اصحاب الانساب والسادات . لم يروا على انفسهم ان يزوجوه بالبنات العربيات * وهو من عزة نفسه ما كان يرضي بالاموات . فاضطرهُ الامر الى الهيمان في الفلوات . واقتناص الحراير المخدرات . لانه ما ظفر ببنت الا وملكها . ولا بحرة عربية الا استملكها وهتكها
قال نجد بن هشام . ثم انهما بعد هذا الكلام حملا على بعضهما البعض كسباع الاجام . واخذا في الطعان والصدام . والمهاجمة والاقدام . والمفارقة والالتزام . واختلف بينهما الطعن في ذلك المقام . حتى تزلزلت منهما الاقدام . وطال عليهما النهار . واختبر بعضهما بعض غاية الاختبار . ولما عظم عليهما الامر . وطال على سليك اخذ عمرو . استلب من تحت فخذه حربة اسرع من القضا . واحد من البلا وامضى . واخرج رجله من الركاب . ونزل حتى صار على وجه التراب . وقال احترز يا عمرو على نفسك من هذه الحربه . لانك ما تحتاج بها اكثر من ضربه . واعلم يا قرنان . باني كنت اسير الحصان . والان قد صرت في حكم نفسي . وقد انطلقت من حبسي . ثم انه اطلق قدميه وجال وانقض نحوه اسرع من همزات الغزال . فكان تارة ياتيه عن

Digitized by Google

اليمين وتارة عن الشمال . ويهز في يده ذلك المزراق . ويصيح
على عمرو كما تصيح الفرسان في اثر النياق . هذا وعمرو يتوقى
قتاله . وقد ابصر منهُ ما اهاله . قال وكانت لميس تصيح على
عمرو وتخيبه . وهو مشتغل عنها بما هو فيه . فلما طال بينهما الامر
وايست لميس من عمرو . اقبلت على اصحابه وقالت لهم ياويلكم
لماذا لا تحملون عليهِ كلكم . وتساعدون ابن عمكم . قبل ان
تروا ما يغمكم . فقالوا لها ياحرة العرب . ونخبة الادب . نخاف
اذا قاتلنا هذا الشيطان . تحمل علينا هذه الفرسان . فيكون لنا
في ذلك الهلاك والقلمان . فقالت لميس اذا كان الامر على هذا
الحال . فانا لا اترك بني عمي في الاسر والاعتقال . تحت حكم
هذا القرنان . ثم انها نزلت من الهودج . وهي تبكي وتتوهج . وتقدمت
نحو عروة وحلته من وثاقه . وامرت عبيدها بحل وثاق رفاقه .
ثم قالت لعروة والله يا ابن العم ان احوالنا قد تغيرت . والاعدا
علينا استظهرت . وقد بلينا بهذا الفارس البهلول . الذي كانهُ
الغول * وقد حير بشجاعتهِ العقول * والصواب انكم تنجون
بانفسكم وتطلبون الهرب * قبل وقوع العطب * على ان عمرو
وحق رافع هذه السماوات العلية * ما كان لكم في نية ردية * وما
حملكم معهُ الى الديار * الا لما وصفت انت عنتر البطل الكرار *
وقد قال لي جملة امرار * لا تضيقي صدرك لاجل قومك . وبني
عمك * فما يكونون عندي يابنت الكرام * الا في ارفع مقام *

Digitized by Google

الى ان ياتي لخلاصهم عنتر بن شداد . وابارزه في معركة الطراد
امام السادات والقواد * فان ظفرت به نلت غاية المراد . وبعد
ذلك اطلقه لاجلك * واعفو عن اصحابه وباقي اهلك * وان هو
ظفر بي فديت روحي برفقاه * واتخذته لي صديقا ما دمت في
قيد الحياة * والان فقد اتت المقادير * بخلاف ما كان في
الضمير * ورأينا من هذا العبد الجبار * ما يدهش الابصار *
فاطلبوا الاهل والديار * قبل الهلاك والبوار * وحدثوا ابي
بذلك * وقولوا له ان يدركني بابطال المعارك * ويخلصني من
المهالك * ثم انها بكت على نفسها من عظم بلاها * وبكى عروة
ايضا لبكاها * وقال لها والله ما بقيت تنفلا عنك بعد هذا المقال . ولا
بد لنا ما نبذل المجهود بين يديك في القتال . ونروي رماحنا من
دماء هولاء الانذال . حتى لا يبقى منا سوى الخيال . ولو فرضنا
ياسيدة الملاح وكوكب الصباح بان ليس بيننا وبينك ادنى نسب
ورايناك في هذه الحالة مع انذال العرب كانت المروة تحوجنا الى
حماك . وانتصارك على اعداك

قال مجد بن هشام وقد ذكرنا ما كان في قلب عروة
العبسي من الوجد والغرام . فصمم النية * ان يقتل عمروا وسليكا
ويتزوج بالصبية . ويعود الى الاطلال . في عاجل الحال * ثم
انه تاهب للحرب . واستعد للطعن والضرب . وطلب معركة
القتال بمن معه من الرجال . ولما صاروا في ساحة الميدان سمعوا

Digitized by Google

الكتاب الرابع والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

صياحاً ارتجت منه البراري والكثبان . فمدوا الى نحو الفارسين الابصار . واذا بسليك قد استظهر على عمرو غاية الاستظهار . لانه كان قد حاربه حتى اكربه واتعبه . وطعنه بالحربة فخرجت من يده كالصاعقة . ووقعت على الدرقة . فنفذت منها كانها شهاب جمر . ووقعت في كتف عمرو . فسقط عن ظهر الجواد . كانه طود من الاطواد . فانقض عليه انقضاض العقاب الكاسر او الليث الخادر . وشد كتافه واوثق سواعده واطرافه . فلما شاهد عروة تلك الحال . تضعضعت منه الاحوال . وايقن بالهلاك والوبال وقال لمن حوله من الرجال . هذا وقت الاجتهاد . في بلوغ المراد . ثم انه صاح وحمل . وفعلت رجاله مثل ما فعل . فالتقتهم اصحاب سليك بن سلكة . وداروا بهم في وسط المعركة . وشبوا عليهم كالافاعي المهلكة . وما زالت الحرب بينهم محتبكة . والخيل معتركة . والفرسان مشتبكة . الى ان كلت الرجال والخيل . وافرق بينهم سواد الليل . وعادت رجال عروة وهم في غاية التعب والويل . ونزلت كل فرقة في

Digitized by Google

مكان . واجتمع سليك بمن لهُ من الفرسان . وقال لهم ابشروا
ياوجوه العرب . ببلوغ الارب . وكثرة الفضة والذهب . لان
هذا الفارس الذي اسرتهُ . واستظهرت عليه وقهرتهُ . هو فارس
بني زبيد . الذي اشتهر ذكره في اقطار البيد . وهابتهُ الابطال
الصناديد . وما عدنا نطلقه من الاغلال وقيود الحديد . الا
بكل ما نشتهي ونريد . وعند الصباح . نسبي زوجته ست الملاح
وناخذ ما معها من التحف والاموال . ونعود الى الاطلال . وانا
اعلم انها من خوفها من السبي والاذلال . استجارت بهولآء
العبسيين الانذال . واطلقتهم من الاعتقال . وقد قاتلوا عنها وصبروا
واجتهدوا وما قصروا ولولا هجوم الظلام . كنت اسقيتهم كاس الحمام
وبلغت القصد والمرام فدوروا بهم من اليمين واليسار الى ان يطلع
ضوء النهار . فاجابوهُ الى ذلك المقال . وداروا بعروة وبمن معهُ
من الرجال

قال الراوي وكان عروة قد نزل باصحابه على تل هناك
وايقن بالموت والهلاك . ولما اشتد عليه الحال التفت على اصحابه
وقال . وحق الاله المتعال . لقد اشرفنا على الخطر . وما عاد
يخلصنا من هذا الامر المنكر . الا ابو الفوارس عنتر . فبالله يا بني
عمي اطلبوه بنيات صحاح . وتوسلوا الى الله ان يرسلهُ اليكم في
هذه البطاح . وابعثوا انفاسكم اليه مع هبوب الرياح . لعلها ان
توصل اخبارنا اليه . ويحضر الينا قبل الصباح

Digitized by Google

قال نجد بن هشام . فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام . بسطوا ايديهم الى نحو رب الانام . وتوسلوا اليهِ بقلوب صادقة . ونيات صحيحة موافقة . هذا وعروة قد زاد بهِ الهيام . واشتعل فؤاده بنار الاضطرام * فتحسر وتنهد * وجاش الشعر في خاطرهِ فانشد

لو كانت الريح حقا تحمل الخبرا   حملت ريح الصبا انفاسنا سحرا
الى الهمام الذي ما سل صارمهُ   الا وسال الدما من حده وجرى
الى الذي انفس الابطال في يدهِ   فاي من شاء في يوم اللقا اسرا
يا حاميا عبس بادرنا فان لنا   ليلا نقضيهِ من خوف العدا سهرا
يا حاميا عبس قد بتنا على وجل   من فارس لا يخاف البوس والضررا
يشكو اليك محب قل ناصره   وللفراق خطوب تصدع الحجرا
وقد طلبناك عند الصبح تدركنا   ومن دماهم تروي الصارم الذكرا
فقد ظفرت بمن قد كنت همت بها   وما قضيت لبانات ولا وطرا
وما صفى الدهر لي حتى افوز بها   ولا لهُ عادة يصفو اذا غدرا
يا ابرق في العلم السعدي لنا رجلا   اقصى تمنيهِ ان يسمع لنا خبرا
فاهد اليهِ بان الرشد طارده   الى الحما فهو يقفو خلفنا الاثرا

قال الاصمعي فلما فرغ عروة من مقالهِ . توجعت لهُ قلوب رجالهِ ثم بات كل واحد منهم امام جوادهُ يحرسهُ . وهم بانتظار ذهاب الليل وغياهبه . وباتت لميس على مقالي الجمر . وهي تتحسر على اسار الامير عروة لان محبتهُ كلية قد تمكن في قلبها . واخذ بمجامع لبها . فباتت في اسوء حال . تقاسي الهموم والاوجال من شدة

Digitized by Google

الوجد والبلبال

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح نهض سايك بن سلكة . ولبس السلاح وطلب محل المعركة . ثم نادى في رجاله . وقال لفرسانه وابطاله دونكم وهو لا النوم . احملوا عليهم حتى ننجز امرهم في هذا اليوم . ونسير في اشغالنا . قبل ان يقذف لنا هذا البر من يعيقنا عن بلوغ امالنا

قال الراوي فبينما هو يخاطب قومه بذلك المقال . ويحثهم على الحرب والقتال . اذ تقدم اليه رجلاً من الرجال . وقال له اعلم ايها السيد المفضال . اننا لما ركبنا ظهور الخيل راينا عبداً اسوداً كانه ظلام الليل . وهو واقف بالبعد منا . واذيال الدجى تستره عنا . فلما رايناه . صحنا عليه وطلبناه . فعاد على اثره كانه النمر اذا انذعر . او ذكر النعام اذا نفر . وغاب عنا في اقل من لمح البصر ولم نقف له بعد ذلك على اثر . فلما سمع منهم ذلك الخطاب . قال ليس في هذا الامر ارتياب . لان الطرقات لا تخلو من قبلي ساير . او ظعن عابر . ولا شك ان بعض السفار وسواح الاقطار التقوا بنا في هذا النهار وشاهدوا سوادنا واثرنا . انفذوا من يكشف خبرنا . وان كان الامر كذلك وصحت لنا اخبارك . فما هو الا صباح مبارك ثم انهم بعد ذلك هجموا كالبحر البطاح . وعدوا الى نحو عروة واصحابه قطع الرماح . واشهروا في وجوههم الصفاح واكثروا من حولهم الصريخ والصياح

قال سعيد بن مالك . فبينما هم كذلك . واذا بثلاث فوارس من جانب البر قد اقبلت . كأنها سهام المنايا اذا ارسلت . يتقدمهم رجلا اخف من الظبا . واسرع من ريح الصبا . وهو يقول ابشروا يا بني عبس بالنصر . وبشروا اعداكم بالغلبة والقهر . فهذا حاميتكم عنتر الاسد الغضنفر . قد وصل اليكم . واقتفى اثاركم من شفقته عليكم

قال الراوي وكان هولا الثلاثة ابطال . الذين اقبلوا كالاسود الدحال . عنتر وابوه الامير شداد . ومقري الوحش فارس الطراد

قال محمد بن هشام وقد سبق الكلام . بان عروة لما سار في طلب عمرو بن معدي كرب البطل الهمام . كان عنتر في بلاد الشام . فلما رجع الى الديار . ووقف على حقيقة الاخبار . خاف على عروة من الرزية . لانه لم يكن من طبقة عمرو في الفروسية . وقال في نفسه ان لم ادركه . والا اسره واهلكه . فبات تلك الليلة في الحلة عند ابنة عمه عبلة . وعند الصباح ركب مع ابيه شداد ومقري الوحش فارس الشام . وجدوا في قطع الروابي والاكام وشيبوب بين ايديهم كانه ذكر النعام . ولم يزالوا سايرين بهمة ونخوة حتى وصلوا الى الوادي الذي كان قد اكمن فيه عروة . فراوا اثار المعمعة . وجماعة من بني عبس قتلا مبضعة . والذباب من حولهم تعوي . والطيور تحوم عليهم وتهوي . فقال عنتر واحرباه هالك والله عروة ورجاله . وقاده الهوى الى هلاكه ووباله . ولكن وحق

Digitized by Google

العزيز الجبار . الذي احتجب عن الابصار . لاخذن له بالثار *
ان ساعدتني الاقدار . واو شربت كاس البوار . فما خالي مخاوفا
في هذه الديار لا سلم من خطار الليل والنهار ولا بد لي ان اتبع
عمرو ولو غاص في البحار فقال مفرج الوحش له لا تهتم يا ابا الفوارس
في هذا الامر ولا تخاف من بعد عمرو . لان دماء هولاء القتلى طرية
وانا اقول اننا نلحق بهم عند العشية . ثم انهم جدوا السير . وسابقوا
بسيرهم الطير حتى ادركوهم عند الصباح في تلك البطاح فعدل اليهم
شيبوب اسرع من ريح الهبوب وسمع ما ابدوه من المقال . فعاد
الى اخيه واعلمه بواقعة الحال فساق عنتر حتى وصل اليهم فلما
اشرف عليهم . زال عن قلوبهم الفزع . والخوف والجزع . وصاحوا
صياح الافراح ونادى بعضهم ببعض الا ما ابركه من صباح *
ثم تقدموا اليه . وسلموا عليه . وحدثوه بما جرى لهم في ساحة
المعركة . وقصوا له ما حل بعمرو من سليك بن سلكة . فقال
عنتر لعروة ابشر يا ابا الابيض بازالة المرض وقضا الغرض . فاني
وحق رب الارباب حسبت لك هذا الحساب . وخطرت لقلبي
هذه الامور والاسباب . فالحمد لله الرب الدايم الذي لحقتك
الى هنا وانت سالم . ثم انهم تاهبوا للحرب . وتقدموا يطلبون
الطعن والضرب . وكانت اعداهم قد وقفت تنتظر اليهم . عند
قدوم عنتر عليهم . وظنوا ان وراهم فرسان وابطال . فتوقفوا عن
الحرب والقتال . ليقفوا على حقيقة الاحوال . فلما راوا انقطاع

Digitized by Google

المدد . وقلة العدد صاح سليك في اصحابه وقال لهم يا ويلكم . ما
وصل اليكم غير هذه الثلاث فوارس وهي زيادة في غنايمكم
فدونكم واياهم واحملوا عليهم كلكم . فعند ذلك حملوا عليهم من
كل جانب . والتقوهم مثل السلاهب . وقصدوهم بالاسنة
والقواضب . وكانوا من اشد فرسان الكفاح . قد تعودوا
على الحرب والكفاح . ونهب الارواح . فهانت عليهم الاجال .
في بلوغ الامال . فقاتلوا اشد قتال . وثبتوا اشد ثبات الابطال
الا انهم ما ثبتوا في ساحة المجال . بقدر ما راوا من طعن عنتر .
وضربه الذي لا يبقي ولا يذر . لانهم راوه كيف ما مال قتل .
وكلما طعن جندل . فوقع في قلوبهم الخوف والوجل . وابصر
سليك قتاله . فعلم انه ان توانى عنه افنى رجاله . فهجم عليه هجمة
الاسد الغضنفر . فتلقاه عنتر بقلب اقوى من الحجر . وكر عليه
بجواده الابجر . وتطاعنا باطراف القنا حتى اقترب منهما الحمام
وددا . وابغضت الارواح منهما بالهلاك والفنا . وتعللا بالاماني
والمنى * وتكافحا اشد كفاح * حتى تقصفت في ايديهما عوامل
الرماح * وتثلمت البيض الصفاح * وعلا عليهما الغبار * ومضى
اكثر النهار وكان مقري الوحش قد حمل على باقي الفرسان *
واباد اكثرهم بالسيف والسنان * وكذلك فعل الامير شداد *
فلله اجاد * في الحرب والجلاد * واما عروة فانه اشفى فواده *
وبلغ من اعداه مراده * وعلم سليك انه خاسر من جميع الجهات

Digitized by Google

لانهُ ابصر من عنتر قتالاً لم يكن يعهده قبل تلك الاوقات *
فاسودت في عينيه البراري والفلوات * وخاف من نزول
الافات * ومن شدة ما جرى عليه * ووصل اليه * استلب
حربة من تحت فخذهِ ووثب من ظهر الجواد الى بساط المهاد
وكان قد عدم الصبر وتمرمر منهُ المذاق * وهز في يده ذلك
المزرق * واراد ان يفعل بعنتر كما فعل بعمرو * وقد صارت
عيناه في ام راسه من الغيظ مثل الجمر * ثم صال وجال * وطلب
عنتر والى نحوه مال * وزج اليه الحربة التي بيدهِ وطلب بها
اعالي جسدهِ * فخاف عنتر على جواده الابجر من شره * فاثنا
رجله وترجل عن ظهره * والتقى سليك بالدرقة والحسام وجرى
لهما من العجايب ما يحير الاوهام * وكان قد اقترب وقت الغياب
فزج اليهِ سليك حربة اخرى من تلك الحراب * وزعق في اثرها
زعقة عظيمة * وقال خذها يا ابن الامة الزنيمة * من يد سليك
بن سلكة * وودع الحياة فان نفسك مستهلكة * فخرجت مثل النجم
اذا مرق * او البرق اذا برق * فسبقها عنتر على الدرقة * فمرت
كانها صاعقة * وقد اشتد بعنتر الغيظ والغضب * وهجم عليهِ وجد
لهُ في الطلب * فولى سليك من قدامهِ وطلب الهرب * لانهُ راى
اصحابه قد وقع فيهم الفنا والعطب * والذي سلم منهم من البلا
هج على وجههِ في عرض الفلا * وكان قد نظر الى عنتر جبلاً صعب
المرتقا * وفارساً في الحرب لا يلتقى فخاف على نفسهِ من الهلاك

Digitized by Google

والوبال . فجمز في البرجزات الغزال . فعند ذلك طلبته الخيل من اليمين والشمال فخرج من بينهم كانه الم[illegible] الاشبال . او السهم اذا اسعده ريح الشمال . وطلب النجاة من اسنة القنا وشفار السيوف . خوفا على نفسهِ من شرب كاس الحتوف وارتفع عليه الصياح من كل جانب . وتصدته الفرسان بالرماح القواضب . وكان شداد قد عاد من خلف الهاربين . فالتقى بسليك والفرسان خلفهُ مثل الشواهين . فهجم عليه واراد ان يطعنهُ بين ثدييه فطعنهُ سليك بالحربة التي كانت بيده . فوقعت في جسده . فاهرقت دماه . وكادت ان تعدمهُ الحياه . وجد سليك في قطع القفار . وشيبوب من وراه كانهُ الطير اذا طار . وما زال يطرده حتى اختفى عنهُ خيالهُ . وكان الظلام قد اسبل على الاقطار اذيالهُ . فعند ذلك انقطعت عنهُ الخيل . عند هجوم الليل . ورجع شيبوب على الاثر . الى اخيهِ عنتر

قال الراوي ثم انهم جمعوا الاسلاب والخيول من تلك البيد * وكذلك النوق التي كان ساقها سليك من بني زبيد وما فيهم الا من يتعجب من فعال ذلك [illegible] المريد . [illegible] وكان شداد لما طعنهُ سليك بتلك الحربة . ووقع الى الارض من شدة تلك الضربة . نزل اليه ولده عنتر وشد جراحهِ بيديه وهو يفرك من شدة الغيظ على كفيه . فقال عروة والله يا ابا الفوارس . ويا زين المجالس . لا يحق لاحد ان يفتخر بما يصنع .

Digitized by Google

ما دامت النسا تحمل وتضع . لاني كنت ابصرت من قتال
عمرو العجب . وتصورت في قلبي انهُ لا يوجد بعدك في فرسان
العرب الا عمرو بن معدي كرب حتى رايت فعل هذا [illegible]
الذي تعجز عن قتاله مردة الجان . فقال عنتر لقد صدقت
يا عروة فيما نطقت . ولو لم ادرككم في القتال لكان اهلككم وافناكم *
على اني ما علمت بما في نفسه ومراده . لما ترجل عن جواده . ولا
علمت منهُ ماذا يريد ان يفعل . كنت سقيتهُ كاس الاجل *
قبل ان ينزل ويترجل . ولكن اذا كان الانسان في هذه الدنيا
رزق وحياة . تسببت لهُ اسباب النجاة . فقم الان واقتل عمرو *
فقد تيسر لك الامر . وخذ محبوبتك سيدة الملاح . وكوكب
الصباح . حتى ناخذ لانفسنا راحة في هذه البطاح . ونعود عند
الصباح . واذا وصلنا الى عند ابيها . قلنا لهُ نحن اولى بابنة عمنا
واحق فيها . ولو علمنا من الاول بانك تزوجها بعمرو * ما كنا
تركنا ان يتم لها هذا الامر * وبعد ان نتزوج بها وتهدا اسرارنا *
نعود الى ديارنا . فقال عروة وقد اخذته الوساوس . والله
يا ابا الفوارس . ان هذا اكبر مرادي . وفيه مسرة فوادي
ولكن قصتي مشكلة نوبتها . * وانا خايف من سوء عاقبتها
فقال لهُ عنتر وقد انذهل وتحير . ما الذي اوجبك الى هذا
الكلام . بعد ذلك العشق والغرام . قال اعلم يا فارس العرب *
بان الصبية قد تعلق قلبها بمحبة عمرو بن معدي كرب . وقد صار

لهُ في قلبها محبة . ومنزلة ورتبة . لانهُ من حينما اسر لم تنشف لها دمعة . ولم تبرد لها اللوعة . وهو وحق رب الانام يستحق الاعتبار والاحترام . نظرًا لشجاعته وملاحته . وفروسيته وفصاحته . واخاف ان نحن قتلناه . واعدمنا الحياه . وطلبنا لبس من ابيها واهلها وذويها . فلربما امتنعت عن هذا الامر . وقالت اني لا اريد لي بعلا بعد عمرو . فنكون قد اهلكنا مثل هذا البطل الجلاحل . صاحب المناقب والخصايل . وما حظينا بطايل وانما الراي عندي ان نطلقهُ . ونمن عليهِ ونعتقهُ . ونتخذه لنا كاخ وصديق . ويكون لنا ذخيرة عند المضيق . واشهي قلبي عن هذه الامور ولا احمله ما لا يطيق . لان الانسان اذا طلب من لا يطلبه . اتعب صدره وقلبه . واذا احب من لا يحبه . ذل نفسه وكثر بلاه وكربه . واعمى العشق بصايره ولبه . قال فلما سمع عنتر كلام عروة تعجب من مروته . وانصافه وحسن مودته . وقال والله يا ابا الابيض لو كان قلبي مثل قلبك على هذه الصفات . ما كنت قاسيت على عبلة كل هذه المقاساة . فقال لهُ عروة كما كنت انت تحب عبلة كما انت تحبك . وترغب قربك . ولولا ذلك لما كنت وصلت اليها . ولا قدرت عليها . فقال عنتر والله لقد صدقت في هذه الظنون . وكل شي لا يقدر لا يكون

قال مجد بن هشام . ثم انهُ بعد هذا الكلام . امر اخاه شيبوبا ان ياتي بعمرو في الحال . فامتثل الى ما قال . وجاءَ بهِ بعد ما

Digitized by Google

حل كتافه . وفك قيده واطرافه . فحيا وسلم . ووقف امام عنتر
الاسد الغشمشم . فتبسم عنتر في وجهه بعد ما كان عبس . وامره
بالجلوس فجلس . وقال له اعلم يا عمرو ان هذه الجارية التي
تزوجت بها هي ابنة عمنا . ودمها مختلط بدمنا . وما اعترضك
عروة في الوصول اليها . الا غيرةً منه عليها . لانه ظن بانك
لست كفوًا لها . فاراد ان يردها الى اهلها . ويتخذها لنفسه اهلا
ويزوجها لمن يصلح لها بعلا . فلما ابصر حسن دفاعك . وشدة
حربك وقراعك . وظفرت به في الميدان . كما تظفر الفرسان
بالفرسان . فضلك على ساير الشجعان . والان فقد اذلك اسره
وملك امره . ويريد ان يصطنعك له اخا وخلا . وقد اثرك
على نفسه ورضيك لابنة عمه بعلا . وتكون هي لك اهلا . بعد
ما اشار عليه اصحابه بقتلك في الحال . وخلاصها من الاسر
والاعتقال . فابى وامتنع . وقال وحق من رفع ووضع . اني
لا اقابله بالجور والاسراف ولا اعدل عن طريق الحق والانصاف
لانه احق بها مني . وقد قدر عليّ واسرني . وهو اوفى مني بالعز
والجمال * واثبت في معركة القتال . وها نحن قد احضرناك
لنخبرك ونتكلم معك * وان كان فيك موضع للصنيعة فنصطنعك
قال محمد بن هشام فلما سمع عمرو من عنتر هذا الكلام * اطرق
راسه الى الارض وتململ * من شدة الحيا والخجل . وقال والله
يا وجوه العرب * ومعدن الفضل والادب * لاشك بانكم

وضعتم الصنيعة الا في موضعها واودعتموها عند من لا يضيعها * وان كان لي بعد عمر وحياة * فاني اجازيكم احسن المجازاة . على انني لست اعرف لي ذنب استوجب بهِ التلف والوفاة * واني ما تزوجت بهذه الصبية التي هي من افخر العرب نسبا الا لما سمعت بانهُ ليس لكم فيها اربا . واما هذا عروة * صاحب الحمية والنخوة فقد اكمن لي في الطريق * واعانني غاية التعويق . فلما نصرت عليهِ في القتال * اردت ان اطلقهُ من الاسر والاعتقال * فوصف لي شمايلك وشدة حربك وحسن خصايلك * فشوقني الى لقياك وكان قصدي ان اراك * الى ان جرى ما جرى . وابصرت من قتالك ما يحير عقول الورى . وقد قاتلت الذي اسرني . واستظهر عليَّ وقهرني . و رايتهُ بين يديك كالثعلب امام الاسد الاغلب فعلمت انني كنت غلطانا . لما اقمت للاعجاز برهانا . وما انت الا جبار الجبابرة * وصاحب الشجاعة والمقدرة لا تنبو في الحرب مضاربك ولا يدانيك احد في الفصاحة ولا يقاربك * فالبلغا لك معترفون * وبين يديك متصرفون . وها انا يا سيدي * وذخري وسندي * قد امسيت في هذه الليلة عبدك . وزوجتي مثل امتك في قبضة يدك . فافعل ما تشا وتريد . ايها الفارس الصنديد

قال مجد بن هشام فلما سمع عنتر منه هذا الكلام . اعجبه ادبه وحسن خطابه . وقام اليهِ واعتنقهِ واجلسه الى جانبه . واكل

Digitized by Google

معه الطعام . وشرب المدام . وراه من فرط الاكرام والاحسان . ما يقصر عن شرحه اللسان

قال الراوي ولما اصبح الصباح * واشرق بنوره ولاح . اعطى عنتر جميع ما ملكه من الخيل والاسلاب لعمرو بن معدي . وهي التي كان سلبها سليك من دياره بالتعدي * وامره ان يردها الى اهله وعشيرته . وانعم على الخمس فوارس التي كانت في صحبته فشكره عمرو واثنا عليه وجعل يمدحه ويعتذر اليه

يا حامية عبس يا ذا الجود والكرم   يا ذا الشجاعة والاقدام والهمم
انت الذي فخرت عبس باجمعها   يعظم باسك يوم الطعن بالقمم
انت الذي خرت الابطال ساجدة   من خوف اسمك ثم العرب والعجم
وانت ملجا لكل القاصدين اذا   ما قد شكوا من اذى الاعسار والعدم
حمى جميع بني عبس فانهم   شجعان عند اللقا والضرب في القمم
ملكتم ثم جدتم بالخلاص على   عمرو وحزتم جميع الفضل والكرم
لا زلت في درج العليا مرتفعا   بطيب عيش رفيع القدر والشيم

قال محمد بن هشام . فلما انتهى عمرو من هذا الكلام . ضمه عنتر اليه . وقبله بين عينيه . وقال له جميع ما ذكرتني به في شعرك * ويجعلك وتتركه انت احق به واولى . لاني انا العبد وانت المولى . ثم انه بعد ذلك تقدم وودعه . واراد ان يسير من معه . فقال له عمرو والله يا ابا الفوارس . ويا زين المجالس اني ما ادعك ان ترحل حتى تسير معي وتضيفني في حيي وبين اهلي

وتقيم انت واصحابك عندي . حتى اخدمك طاقتي وجهدي . لان ارضنا قريبة من هذا المكان . وانت قد صرت لي من اعز الاصحاب والخلان * لان بعد هذا الفراق * لا ندري اي متى يكون التلاق * فقال عنتر انهُ لا يمكنني ذلك * يا فارس المعارك * لاني قد ابصرت البارحة حلما مهولا * اصبح قلبي منهُ مشغولا * والايام بيننا طويلة ايها الامير * وسوف نجتمع ان شا اللطيف الخبير * ثم انهما ودعا بعضهما البعض * وجد عنتر في قطع الارض * ولما تبطنوا الروابي والتلال * التفت مفرج الوحش على عنتر وقال * سمعتك تقول لعمرو عند وداعهِ انك رايت مناما مهولا وخاطرك قد اصبح منهُ مشغولا * فبحق ذمة العرب الكرام * اخبرنا عن هذا المنام * واوضح لنا عن صحته ام قولك لهُ كان حجة حتى لا تسير برفقته

قال نجد بن هشام * فلما سمع عنتر من مفرج الوحش ذلك الكلام * قال لا والله ما تكلمت الا بالصحيح * من دون تلويح فقال مفرج الوحش فما الذي رايت في منامك من الاهوال * وكذلك قال عروة وباقي الرجال * فقال اعلموا يا بني عمي اني بت البارحة مسرور بذل الفرسان * وحمدت الرب المنان * بكثرة حلفائنا والخلان . وقد صار لنا مثل عامر بن الطفيل . وملاعب الاسنة وزيد الخيل . ودريد بن الصمة شيخ العربية وعروة بن معدي كرب . وما في هولاي الفرسان الا من هو سيد

Digitized by Google

قبيلته . والحاكم على اهله وعشيرته . ولو اردنا ان نلتقي بهم كسرى
او قيصر . ربحنا عليهم ولم نخسر . ولما اعرضت على قلبي هذه
الامور . بت وانا فرحان مسرور . فرايت في منامي . ولذيذ
احلامي . كان اخي عامر بن الطفيل وهو في حرب وقتال .
وحوله جماعة من الابطال . وقد انقطع حزام جواده . وهم يطلبوا
ان يملكوا قياده . وهو ينادي ويقول من فواد متبول . ادركني
ياعنتر حتى اودعك وابصرك . واشبع من رويتك ونظرك .
وهذا المنام يابنى عمي يدل على ان الرجل في مرض ثقيل . او
انهُ يريد يلقى جيشا ليس بقليل . وقد ناداني باسمي وطلب وداعي
قبل ان يعدم لان المنام احيانا يتاخر ويتقدم وقد سمعت ذلك من
سادات مكة والحرم . وبعد ذلك فلا بد لي من زيارته . والكشف
عن حالته . لانهُ ناداني من دون اهله وعشيرته . على ان زيارة
الاخوة من مكارم الاخلاق . والعاقل الذي يبادر الى فرص
الدنيا قبل ان ينادي بهِ منادي الفراق

قال نجد بن هشام . فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام * تعجبوا من
علو همته . وفرط مروته * وجودة حفظه لمودته . وقالوا لهُ يا ابا
الفوارس . ويازين المجالس . اذا كان الامر كذلك خذنا معك
لانك اين ما سرت لابد لنا ان نتبعك فلما سمع منهم ذلك الخطاب
قال ليس هذا بصواب . لان لنا عوايق واسباب . لا توافقنا على
هذا الحساب * احدها ان ابي في هذه الجراح والالام . وقد اشرف

Digitized by Google

منها على العدم . ولا يمكنني ان ابعد به في الاسفار . ولا اكلفهُ ركوب الاخطار . خوفا من الهلاك والبوار * والوجه الثاني يا وجوه العرب الكرام . اني اخاف ان يكون هذا المنام . اضغاث احلام . ونزور هذا الامير . والسيد الخطير . في هذا الجمع الكثير ونكلفهُ ما لا يطيق . ونكون قد فعلنا فعال عدو في زي صديق والصواب انكم تقصدون الاطلال . وتقيمون عند الحريم والعيال وانا اسير مع مفرج الوحش البطل الحلاحل . الى تلك الديار والمنازل . ونعود اليكم بعد ايام قلايل * ثم انهُ سار مع القوم . تمام ذلك اليوم . وبعد ذلك سار هو ومفرج الوحش فارس الطراد بعد ما اوصى اخاه شيبوبا بمداراة الامير شداد . ولم يزالا يقطعان القفار . والسهول والاوعار . وهما يتناشدان الاشعار . ويتواردان الاخبار . حتى اشرفا على ارض بني عامر وتلك الديار . ضحى نهار فابصرا بريق صوارم . ومن تحته صياح وهماهم . وامور تدل على قتال وحروب . وهم بين غالب ومغلوب . وناهب ومنهوب . فقال عنتر هذا والله المنام الذي رايتهُ قد صح . وبان واتضح . وان صدقني حذري . ولم يخطني فكري . فان ديار القوم خالية من الفرسان . والابطال والشجعان . وما في الحي الا الامير عامر في نفر يسير . وقد دهمهُ هذا الجيش الكثير . فاعلم ايها الشقيق انهُ لا يعرف الصديق * الا في وقت الضيق . وما بقي في الامر الا الهجوم والاجتهاد . في بلوغ المراد . من الاعدا والاضداد .

Digitized by Google

لان في مثل هذا الوقت تهان الرجال الاجواد. وتعرف العواذل بالحساد . من اهل المحبة والوداد. فقال لهُ مفرّي الوحش اذا كان الامر كما ذكرت . واوضحت واظهرت . فانزل بنا عن الخيل حتى نريحها ساعة من الزمان . قبل ان نلتقي بها هذه الفرسان . فاجابه الى ذلك الشان . ثم انهما نزلا في تلك الساحة بقدر ما اخذت الخيل راحة وبعد ذلك ركبا واستلبا الرماح وطلبا معركة الكفاح . واقتحما الغبار والصياح . كانهما ليوث البطاح ولما اقتربا من الخيل . نظر عنتر الى عامر بن الطفيل . وهو في حالة العدم والويل . يصادم الابطال . ويلتقي بصدره الاسنة والنصال . وهو في دون العشرين فارس من الرجال . واكثرهم قد اشرفوا على الهلاك والعطب . وعولوا على الهزيمة والهرب . وعامر يصيح فيهم يا بني الاعمام * بحق ما بيننا من صلة الارحام * اثبتوا قليلا واحموا ظهري * حتى اريكم كري وفري * والتقي عنكم موجات هذا البحر بصدري * فان سلمت كان ذلك غاية المرام وان قتلت فاقروا على عنتر مني السلام * لاني اعلم انهُ ياخذ بثاري * ويظفر بقاتلي ويمحو عني عاري * دون اهلي وانصاري هذا وهو يحمل على الكتايب . ويقاتل تلك المواكب . ويردها من كل جانب * وكلما ازدحمت عليه الرجال * وضاق عليه المجال * يحمل في صدور الابطال ويكر على الفرسان * وينادي يا لعبس يا لعدنان * ويحاكي عنتر في حملته * وينادي باسمه

Digitized by Google

دون اهله وعشيرته * فلما نظر عنتر الى تلك الحال * وابصر ازدحام الرجال * وسمع صياح الحريم والعيال * قال دهينا وحق الملك العلام * هذا الذي ابصرتــه في المنام * فدونك يافارس الشام * واحمل على هولاي اللئام * ثم انهُ بعد ذلك الكلام * صاح وحمل * بقلب اقوى من الجبل * ولما اقترب من ذلك الجحفل * نادى ابشر ياعامر بالنصر على اعداك . فانك ناديت الى من اجابك وسمع نداك * وتنصرك ولباك . وفي هذا اليوم تبلغ غاية مناك

قال الراوي وبجملته تاججت نيران الحرب لهبا * وصار الطعن والضرب هبا * وجرت الخيل خببا * وولى الجبان هربا وتفرقت تلك الجموع سربا وهطل الدم منسكبا * ولما سمع عامر صياحهُ زاد سرورا وطربا * وفرحا وعجبا * وصاح اهلا وسهلا بحامية عبس ومرحبا * فلازال علاك في المعالي اعلا رتبا * ثم انهُ غير جواده * وجود قتالهُ وجلاده * وقد بلغ مراده . وصاح في بني عمه وقال * عودوا الى معمعة القتال * وابشروا ببلوغ الامال فقد اتاكم فارس الطراد * وحية بطن الواد * القادح النار من غير زناد * الذي قهر جبابرة العرب واهل البغي والعناد ابي الفوارس الامير عنتر بن شداد

قال الراوي وكان عنتر قد اصاب في ذلك الحساب . لان خيلهم القوم خالية من الفرسان . وابطالهم غايبة عن الاوطان . لان

سيدهم الاكبر. الاخوص بن جعفر. كان قد سار بهم الى جبل في اقصى بلاد اليمن . يطالب سكانه باتاوةٍ كانت لهُ عليهم من قديم الزمن . وكان قد ترك عامرًا في الاطلال. في عشرين نفرًا من الرجال . لاجل محافظة الحريم والعيال. الا انهُ ما اقام في الديار الا برهة يسيرة . حتى دهمتهُ الجيوش الكثيرة مع فارس من فرسان العرب. يقال لهُ منازل بن سلهب . وكان من جبابرة الابطال . قد ربي على اكل الحرام ونهب الاموال. فطرق ديار بني عامر في ذلك النهار في الفين من الانفار. طمعا بنهب الاموال وسبي الحريم والعيال. واحاط بهم من اليمين واليسار. ولولا عامر بن الطفيل كان قد قلع منهم الاثار. وبلغ منهم ما يحب ويختار ولكنهُ صان الحريم وفعل فعل الرجل الكريم. وبذل نفسهُ لاطراف الرماح والسيوف. وقد هان عليهِ شرب كاس الحتوف لانهُ كان من جبابرة الجاهلية. ومن اصحاب النخوة والحمية. فقاتل في ذلك اليوم القتال المنكر. ودحرج الروس مثل الاكر. واهلك كل من كان امامهُ من العسكر. وما زال على تلك الحال حتى عظمت الاهوال. واحاطت بهِ الابطال من اليمين والشمال. وقال ذلك المقال * وجاء عنتر ومفرج الوحش حسبما سردنا . وجرى ما جرى كما شرحنا واوردناه. وبحملتهما انهزم جيش الاعدا وتفرق ومزقهم السيف كل ممزق . لانهم راوا ضربا امر من الصبر. وطعنا احر من نار الجمر. فهلك من هلك . وهرب من هرب

Digitized by Google

لا يدري اية طريق سالك

قال الراوي ولما خمدت نيران الحروب . وبطل الطعن والضرب . دنا عامر من عنتر واعتنقهُ وانعكف عليهِ . فترجل لهُ عنتر وقبلهُ بين عينيهِ . وهناهُ بالسلامة . من تلك الاضامة * وحدثهُ بذلك المنام . وقص عليه تلك القصة على التمام * فشكر عامر فعلهُ . وحمد فضلهُ وقال لهُ لا عدمتك يا اخي من شقيق * وصديق ورفيق

قال مجد بن هشام . ثم انهما بعد ذلك الكلام * رجعا الى المضارب والخيام . فالتقتهن جماعة من النسا الكواعب . وهن ممزقات الثياب منشورات الذوايب . يبكين وينتحبن على ما حل بهن من النوايب فقال لهن عامر ما بالكن وما الذي حل بكن واما لكن . هل قتل احداً يعز عليكن . او وصلت يد الاعدا بالمصايب اليكن . فقلن اعلم يا امير عامر . انهُ قد سبي من الحي سبعة حراير . من جملتهن اختك وامك . وبعض نسا بني عمك وقد اتينا لنعلمك . قبل ان تبعد بهم الاعدا . في اقطار البيدا

قال الراوي فلما سمع عامر منهن ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال * وتضعضعت منهُ الاحوال . وطار فواده وعدم عقلهُ ورشادهُ . فقال لهُ عنتر ما بالك يا عامر . قد وقفت وانت حاير . فوحق من احتجب عن النواظر . وهو العالم بما في السراير لا بد لي ما اتبع الاعدا الى بلاد اليمن . واخلص منهم النسا

Digitized by Google

والبهم بالويل والمحن. ثم انهم تناولوا شيا من الزاد. واخذوا معهم ثلاث جنايب من الخيول الجياد. وساروا من ذالك اليوم. يقتفون اثار القوم * هذا وقد جدوا في السير. وسابقوا بسيرهم الطير. وما زالوا يقطعون القفار. و يقتفون الاثار. الى ان ذهب الليل وطلع النهار فعند ذالك نزلوا على بعض الغدران. وجلسوا قليلا في ذلك المكان ثم عادوا الى ظهور الخيل والمهاري وجدوا في قطع البراري. وهم بين لعل وعسى. الى ان ذهب النهار وامسى المسا. فانكر عامر تلك الارض التي وقعوا فيها. لانه كان من اخبر الناس بتلك الارض ونواحيها. وهو الذي ذكره بعض الشعرا الكرام * ووصفه بالفروسية والاقدام. واقتفا الاثار في الظلام. فقال ان عامر بن الطفيل. لا يهجع حتى يهجع الليل. ولا يخاف حتى يخاف السيل. ولا يضل حتى يضل سهيل. وهذه من جملة صفاته المشهورة. وافعاله المذكورة. ولكن اذا نزل القضا من السما. ترك البصر اعمى. فقال مقري الوحش وحق الرب المعبود. انني اخاف ان نهلك في هذه الارض ولا نعود ولا ننال المقصود. وكان من الصواب. والراي الذي لا يعاب ان نبقي في الديار. وننفذ العبيد لكشف الاخبار. وحينيذ نسير بدليل وبرهان. ونخلص البنات والنسوان.

قال نجد بن هشام. فبينما هم في الحديث والكلام. اذا باشباح قد لاحت لهم في تلك البطاح. ولهم جلجلة وصياح. فقال عامرها

Digitized by Google

قد ادركنا العدا . وسهل الله علينا المدى

قال الاصمعي وكان الذي سبا النسا والبنات وسار بهن في تلك الفلوات * فارسا جبارًا . وبطلا مغوارًا يقال له مسهر بن كريم . من قوم يقال لهم بنو تميم لانه كان قد عرف عنتر عند ما صاح وحمل . فعلم انه يكسر الجيش ولو كان فيه الف بطل . فقال لقومه هذا والله عنتر بن شداد الذي شاع ذكره في ساير البلاد . وانا اعلم انه سوف يفتك بالفرسان . ويخلص البنات والنسوان . والصواب اننا ناخذ ما نقدر عليه من الغنايم والاموال وننجو بانفسنا في عاجل الحال . ما دام عنتر مشتغلا بالقتال . والا خسرنا واستانا كاس الوبال . لانه شيطانا لا يرتد . ولا يقع لفروسيته احد على قياس ولا حد

قال الراوي وكان مع مسهر خمسون فارسا من اقوامه * وكلهم يرجعون الى رايه ويمتثلون الى كلامه . فلما سمعوا منه ذلك الخطاب . راوه غاية الصواب . فمالوا الى نحو الخيام * كليوث الاجام . وسبوا جماعة من النسا والبنات . وكان من جملة المسبيات . ماوية اخت عامر وامه كبشة * وكانا قد خرجا الى اطراف البيوت في تلك الدهشة * ثم ان مسهرًا عاد على الاثر * وهو يقول لاصحابه اطلبوا بنا البر الاقفر * فطلبوا جوانب البيدا * وجدوا في قطع الصحرا * حتى امسا عليهم المسا فنزلوا عن ظهور الخيل . واخذوا لانفسهم راحة الى نصف

Digitized by Google

الليل . وبعد ذلك تبطنوا القفار * والسهول والاوعار * ولما اصبح الصباح * واشرق بنوره ولاح * راوا انفسهم قد ضلوا في تلك البطاح * فقال مسهر الراي عندى ان ننزل في هذا المكان ويبقى بعضكم عند النسوان * ويتفرق الباقون في جوانب الكثبان * لعل احدًا منكم يهتدى لنا على طريق قبل ان نعدم النجاح والتوفيق * ثم انهم نزلوا في ذلك المكان * وصرفوا يومهم بالسير والدوران * وكانوا يدورون في تلك الروابي والتلال ويعودون خايبين الامال * الى ان اشرف عليهم عنتر ورفقاه * وهم في ذلك البر والفلاه . وراوا تلك الاشباح . فزعقوا عليهم زعقة ادوت لها تلك البطاح

فلما سمعن النسا الصياح . امتلات قلوبهن من الافراح . بعد السبي والافتضاح . وكان عنتر واصحابه قد ركبوا الجنايب المستريحة وساقوا نحو الاعدا بهمة صحيحة . فلم تكن الا ساعة حتى اهلكوهم بالاسنة في ذلك البر . وخلصوا الحريم من الاسر والضر . وركضوا خلف الباقين . فاهلكوهم اجمعين . ثم عادوا الى نحو النسا والبنات الابكار . وقد ارخى الظلام ستور الاعتكار . فنزلوا في ذلك المكان لانهم لم يتجاسروا على العودة الى الاوطان . خوفا من الضيعان

قال الراوي وعند طلوع النهار . رحلوا طالبين الديار . فلم يروا امامهم الا تلالاً ورمالا واودية وجبالاً وكثرت في عينهم

الاثار واتسع بين ايديهم القفر واخلفت عليهم الاقطار. ووقعوا في بر وعر الربوات دارس الطرقات. كثير الوديان والتلال والشعاب والجبال. ما فيه من يجيب لمن صاح وزعق. ولا يجد الانسان فيه ما يبل الريق. فجعوا وعطشوا واخذهم القلق وايقنوا بالموت والهلاك ووقعوا في سو الارتباك فقال عنتر. وقد انذهل وتحير. ما بقي في الامر الان نسير على قصد واحد. في هذه الفدافد. ما دام في الخيل قوة ومقدرة * على قطع الطرق المقفرة فان كان لنا نجاة ادركناها. وان دنت المنية نكون قد وافيناها فقال مفري الوحش والله ياوجوه العرب. ان كان الموت قد اقترب * فما يكون الا بالعطش والظما وانا وحق رب السما لا اتاسف على فراق الناس * لان لابد لكل انسان ان يشرب هذا الكاس * وما اسفي الا على ولدي سبيع اليمن * لان محبته لا تزول من قلبي على طول الزمن * وكنت ارجو ان اراه فارسا قويا. وجبارًا عتيا. والان فقد ايست من لقاه * واخاف ان اموت ولم اراه

قال الراوي ثم انهم جدوا في قطع البر الاقفر * كما اشار عليهم الامير عنتر ولم يزالوا على تلك الحال * وهم يقطعون الروابي والتلال. الى ان اقبل الليل * وكانت قد قصرت من تحتهم الخيل * وفتحت الى الهوا مناخيرها. ومن جوعها وعطشها بان عجزها وتاخيرها. فنزلوا عنها في الحال. والتجوا الى بعض الجبال

Digitized by Google

وهم في غاية التعب والملال . وكان عامر قد رجف كبده فزعا
وذهل لبه جزعا . وخجل من مفرج الوحش وعنتر . لانه كان
السبب في هذا الامر المنكر فقال عنتر لا تغتم يا عامر واجعل اتكالك
على الاله القادر فهو يسهل لنا وجود الما . ويزيل عنا العطش
والظما * وان كان قد حكم بهلاكنا . فما يقدر احد على فكاكنا *
وقد رايت كيف قدسنا رب الارباب . الى قوم ما كانوا لنا في
حساب حتى ضربنا منهم الرقاب

قال الراوي واقاموا في ذلك القفر . الى وقت الفجر * ثم ركبوا
على برد الهوا . وساروا يقطعون الفلا . وكان مفرج الوحش قد
زاد به القلق * والشوق والارق * وتذكر ولده سبيع اليمن
وزوجته مسيكه . فتنهد وبكى . وانشد يقول من فواد متبول

اذا جرى دمع جفني وهتن حزنا فالدمع اشجى المحزن
واذا الشوق تناهى حده فارقت روح المعنى للبدن
ياخليلي اسعداني وقفا نبكي لبعد الدار منا والوطن
واذا مت اشتياقا فاعلموا ان اشواقي الى سبع اليمن
ولقد كنت ارتجيه اذا نزل الشيب براسي وقطن
ورمى الدهر علينا نكبة حارت الافهام فيها والفطن
ووقعنا بالقضا في قفرة نزل ابليس فيها ثم سكن
يصبح الشيطان في اقطارها تايها يندب لاثار الدمن
ياحماما بات في اغصانه نايحا يبكي ولا يدري لمن

Digitized by Google

نحن علينا كلما طرت على العلم السعدي سرا وعلن
واعلموا مسكنة زوجة واخبروا من بعدها سبع اليمن
وبكيا عني كما عاينته سايلا لمدمع من فرط الحزن
كان اسي وفي قلبي الذي ارتجيه للدهر في بعض الزمن
فقضى الله علينا حكمه ببعاد والظما بعد الوطن
وبلينا بزمان غادر صرفه يرمي سهاما من محن
ولنا رب عليم قادر يكشف الضر ولا يخشي الوهن
فهو يسقينا ويشفي كربنا وينجينا ويشفي للبدن

قال الاصمعي وما تم مقري الوحش هذه الابيات . حتى جرت منهم العبرات على الوجنات . وتقرحت القلوب وزادت الحسرات فعند ذلك كشفت كبشه ام عامر روس البنات . وهن قد ايقن بالفنا والممات . ودعين هذا الدعا الى رب الارض والسماوات . ونادين اللهم يامن احتجب عن العيون فلا يرى . يامن انبت النبات والمرعى . يامن بيده نواصي الخلق جمعا . يامن اخرج من الاحشا نسمة تسعي . يامن اضل واهدى . يامن افقر واغنى . يامن اضحك وابكى . يامن امات واحيي . يامن اغنا وافنى . وخلق الذكر والانثى . يامن ليس له في ملكه وزير . ولا نايب ولا مشير يامن ليس له حاجب فيقصد . ولا اله غيره فيعبد . ياجبار الجبابره يامبيد الاكاسره . وياقيوم الدنيا والاخره . يامن يجري البحار الزاخره . يامن بسط الارض ورفع السموات . يامن اعطش

Digitized by Google

الليالي المظلمات . يامن ابرق البروق اللامعات . يامن اوسع
البراري المقفرات . يا اله الارض والسموات . يامن اضر ونفع
يامن امر الماء فنبع . والبرق فلمع . يامن بيده نواصي الخلق اجمع
يامن تجلى على الجبل فتدكدك وتقطع . اللهمّ بعلمك المحيط
بالكرسي والعرش . يارازق الطير والوحش . ياذا القوة والبطش
ان تسبب لنا من هذه الشدة فرجا . ومن الضيق مخرجا . وترشدنا
على الطريق الواضحة . والاثار اللايحة . وترزقنا من السماء ماء .
يبرّد اكبادنا من الظماء . فانت الله رب الارض والسماء

قال الاصمعي الان كبشه ما تمت هذه الدعوات . ونشرت
ذوايب البنات . حتى تلطف بهم رب الارض والسموات .
وتعطف عليهم بجميل العوايد . وسبب لهم اسبابا تنجيهم من
الهلاك والشدايد . لانهم كانوا في برّ اسود كثير الصخور والجلمد
يكل النظر دون اعلامه ورباه . ويتيه في وسط اقطاره وفلاه .
وكان النسيم منقبض الانفاس . والرياح ضعيفة الحواس . واذا
بالغمام قد سطع . وظهر من افق السما وارتفع . وتفرق بعدما
اجتمع . وابيض بعد الكدر . وما زال ينمو ويكبر . حتى الم طوله
مع العرض . والتحم بعضهِ البعض . وحجب شعاع الشمس عن
الارض . وبعد ساعة انكشفت غيومهُ . وامتد خيزومهُ . فاجتمع
ولمع . وضربته الرياح الاربع . فسقط وانسكب * وصار في الجو
مثل المركب * الحان التمت اجزاه * واجتمعت اعضاه . وصار

بعد التفرق ضبابا * وبعد السحاب سرابا * وظهر في وسطه
غيمة سودا * وفرشت حتى طبقت جنبات البيدا * فعاد
الصباح ليلا دامسا * والضيا ظلاما عابسا * وخفقت
الرياح في اذيال السحاب فحنت ولعب في نباتها برد النسيم
فرنت وضربتها صوارم البرق الرقاق * فطبقت جميع الافاق
فارعد الرعد وقرقع * ولمع حسام البرق وسطع * واستهل جفنهُ
فدمع * وسح دمعهُ فهمع * ثم هطل واسكب * ونزل على الجبال
مثل افواه القرب * وفي دون ساعة سمع للاودية خريرًا
وللروابي ارتجاجا وهديرا * وامتلات الاراضي من تلاطم التيار *
وتمايلت الاشجار * واستانست البراري والقفار * واندهلت
الابصار * وحارت الافكار * من قدرة الواحد القهار * فلما نظر
عنتر واصحابه الى تلك الحال . طلعوا الى روس الجبال . واعتصموا
بالشعاب والتلال . وخفن النسا من الهلاك والغرق . وتحيرن
من تلك القدرة التي لا يقدر عليها الا الذي خلق الانسان من
علق . هذا وقد ارتوت الجبال من كثرة الما وابتلت الاكباد
بعد الظما . وشربوا وزال عنهم العطش . وارتووا من بعد القلق
والدهش وكان قد امسا عليهم المسا فباتوا في تلك الصحرا . الى
ان صفا الجو وصحا . وكان الما يسكب عليهم طول ذلك الليل
الى غداة ضحى . فلما اقبل النهار * وطلعت الشمس وانارت
الاقطار . كشف لهم السيل الطرقات الدارسه . وضحكت الارض

Digitized by Google

في وجوههم بعد ما كانت عابسة يابسة

قال الاصمعي وكان ذلك المطر . سببا لخلاصهم من الخطر وكان قد سحب لهم الوحش من الارض العامرة الى البراري المقفرة . فاصطادوا وشووا * وشربوا وارتووا * ثم ركبوا الخيول وتبطنوا البراري والسهول . وجدوا في المسير . وسابقوا بسيرهم الطير الذي يطير . وما زالوا كذلك . الى ان ذهب النهار واقبل الليل الحالك . فعولوا على النزول في تلك الدكادك واذا هم بمضارب وخيام . ورايات واعلام . قد ظهرت لهم في لحف جبل . فساقوا الى نحوها بالعجل . وقد طابت قلوبهم . وزالت كروبهم . ولما اقتربوا من ذلك المكان اعترضهم غلاما من الفرسان . وهو راكب مجرة عربية . موفورة من صيد البرية . فلما راهم تقدم اليهم وحياهم . وقال اهلا وسهلا بكم يا وجوه العرب الكاشفين الضيم والكرب . تعالوا معي الى بيتي وضيفوني حتى اخدمكم وتشرفوني . وتقر بكم عيوني . فقال له عامر السمع والطاعة سر بنا الى اين ما شئت في هذه الساعة وافعل في حقنا ما انت اهله . وسوف تجازى على طول الزمان مثله . لاننا اليوم من اضعف الانام * واحوجهم الى الاجاويد الكرام * ثم حدثه بما جرى عليهم من الضيعان * في تلك البراري والقيعان * وما قاسوه من الشدايد في تلك الفدافد * فلما سمع الغلام من عامر ذلك الكلام * شق عليه ما قاسوه من الالام * وسار بين ايديهم

Digitized by Google

الى ان وصل بهم للخيام . فصاح على الغلمان * وامرهم ان يضرموا النيران * ثم فرش لهم البسط واجلسهم * وبش في وجوههم وانسهم واخذت امه النسوان * وتلقتهم بالاكرام واحسنت اليهن غاية الاحسان * وبعد ان اكلوا الطعام * وشربوا المدام * قال عنتر الغلام بعد ما شكره على ذلك الاكرام * من تكونوا من العرب الكرام * قال من بني كنانة اهل الوفا والامانة * وليس لنا في هذا المقام اكثر من عشرة ايام * ونحن اربعون بيتا كما ترى وقد نزلنا في هذه الصحرا مع مقدمنا داود بن سريع وهو فارس منيع واما سبب رحيلنا من الاوطان . ونزولنا في هذا المكان . هو خوفا من سطوة عنتر بن شداد . حامية عبس وال قراد *

قال نجد بن هشام . فلما سمع مفرج الوحش وعامر منه ذلك الكلام . اخذهما العجب مما وقع لعنتر من الهيبة في قلوب فرسان العرب . والتفت الامير عامر على الغلام ومن حضر من السادات الكرام . وقال لهم ازيلوا هذا الخوف من قلوبكم ياقوم . ولا عدتم تحدثون به انفسكم من بعد هذا اليوم . فان عنتر قد امسى ضيفكم ونزيلكم * وشاهد معروفكم وجميلكم . وساقته اليكم تقادير الزمان فابشروا بالخير والامان . ثم حدثه بما جرى عليهم من الضيعان وما تم عليهم في تلك البراري والقيعان . فلما سمع الغلام منه ذلك الكلام * خفق فواده من الفرح * واتسع صدره وانشرح ونهض في عاجل الحال . ودخل على عمه وحدثه بذلك

المقال . وقال له ابشر ببلوغ الامال . فان الذي كنا نخاف منه دون باقي الرجال . وهو عنتر بن شداد * فارس الحرب والجلاد . قد صار لنا ضيفا ونزيلا * وصديقا وخليلا . ثم حدثه بحديث عنتر * وما جرى له في البر الاقفر . ففرح واستبشر . وزال عنه القلق والضجر * واجتمع باكابر قومه واخذ منهم جماعة وسار بهم الي عنتر من تلك الساعة فد خلوا عليه وخدموه وبجلو قدره وعظموه * وجاس الامير واقد على الطعام * وطلب من عنتر الذمام * فوعده بكل جميل واكرام * وقال له ايها الامير والسيد الخطير . ارحل انت وقومك عند الصباح الى دياري وانزلوا في جواري . وانا احميكم بسيفي البتار من ساير ملوك الاقطار . فازداد واقد فرحا بهذا الخطاب . ونزل على قلبه احلا من الجلاب

الى هنا انتهى الكتاب الرابع والخمسون
وسياتي تمام الحديث عن هذه الواقعة
في الكتاب الذي
يليه

م

طبع في بيروت بالمطبعة اللبنانية سنة ١٨٦٩ مسيحية

Digitized by Google

الكتاب الخامس والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح . نقل
واقد القوم الى خيامه . وبالغ في مدح عنتر واكرامه . وعمل لهم
الولايم والدعوات . وجمع فيها الاكابر والسادات . واسقاهم من
صافي المدام . واكثر لهم من الطعام . واقاموا عنده ثلاثة ايام
في عز واكرام . وفي اليوم الرابع امرهُ عنتر بالمسير . وسرعة الجد
والتشمير . فرحل القوم مع عنتر . وجدوا في قطع البر الاقفر .
قال جهينة اليماني . ولما كان اليوم الثاني . ودع عنتر عامر
بن الطفيل . وسار بمن معهُ من الخيل . وكان كلما راي في طريقه
حلة ينهبها . او رجال سايرة يقتلها وياخذ سلبها . الى ان وصل
الى الاوطان . ومعهُ اموالا لا تاكلها النيران . فانزل بنو كنانة في
احسن مكان . وكان من جملة منازل بني عبس وعدنان . من
قديم الزمان . وقال لهم هذا المكان هو هبة مني لكم . فسرحوا فيه
جمالكم وخيلكم . ثم انهُ وهبهم قطعة من النوق والجمال . ووعدهم
بالخير وبلوغ الامال . وكان وصول عنتر الى ديار بني عبس
عند غروب الشمس . ولما وصل الى الاوطان . وعلمت به

الاصدقا والخلان . تواردت عليهِ من كل جانب ومكان . وهناوه بالسلامة . والرجوع الى الديار بالعز والكرامة . وكان اباه شداداً قد بري من جراحهِ . وبدت علايم اصلاحهِ . فاتى اليه وسلم عليه . وسالهُ عن سفرته . وما جرى لهُ في غيبتهِ . فحدثهُ بالقصة من اولها الى اخرها . واوقفهُ على باطنها وظاهرها . فتعجب كل من حضر . من ذلك الحديث والخبر . وقالوا وحق خالق البشر . ان هذا الحديث من اعجب العجب . لم يسمع بمثلهِ في العجم والعرب . والحمد لله على سلامتكم من الاخطار . ورجوعكم بالنصر والتائيد الى الديار . فشكرهم عنتر على ذلك المقال . وسالهم عما جرى بعده في الاطلال . فقال شداد اعلم ياولدي . ومهجة كبدي . اني لما وصلت الى الاوطان . وانا في حالة العدم وبلغ الربيع بما اصابني بهِ صروف الزمان . من الجرح وشدة الالم كان ذلك النهار عنده يوم عيد . وافضل نهار سعيد . وتكلم في حقنا بالكلام الشنيع . امام الرفيع والوضيع . وقال لاخوتهِ وبني عمهِ وعشيرتهِ . ما اتى شداداً على هذه الحالة . الا وقد قتل عنتر بلا محالة . والحمد لله الذي ما نال مرامهُ . ولاصح فينا كلامهُ . فثار عنتر من هذا المقال . واضمر للربيع الشر والنكال

قال الراوي وكان الربيع قد بلغهُ خبر ذلك الانكيس . وما جرى لعروة بن الورد مع عمرو بن معدي كرب من اجل لميس . ففرح واستبشر . عند ما بلغهُ مسير عنتر . لانهُ كان يتوقع

Digitized by Google

له العثرات . لاجل الحقود الكامنات . واجتمع بالملك قيس في الحال . وقال له انت تعلم ايها الملك المفضال . ما قاسينا من الاهوال والمحن . في بلاد اليمن . ولولا اختك المتجردة تسال فينا الملك النعمان . لما كنا رجعنا سالمين الى الاوطان . ولا اخفاك حفظك الله وابقاك . ان اصل الشر وفساد . من عنتر بن شداد لاننا لم ننكب الا بسببه . ولم نطرق الا بطلبه . ثم حدثه بحديث عروة وعمرو . ومسير عنتر وما جرى من الامر . وانا خايف على العشيرة من عنتر وشره . لانه ان قتل عمروًا او اسره . تقصدنا بنو زبيد ومراد . في عسكر بعدد الجراد . وتجدد بيننا الاحقاد . كما جرى لنا في شعاب جبلة . وكان هو السبب في تلك الدبلة . لانه قتل ابن ملك غسان . وقصدتنا العساكر والفرسان . ولولا تعطيشك النوق والجمال وما فعلت من الفعال . لكان حل بنا الهلاك والوبال .

قال الراوي فلما سمع قيس كلام الربيع . وكيف انه ذكر عنتر بالقول الشنيع * صعب عليه . وكبر لديه * وعبس وقطب * من شدة الغيظ والغضب . وقال اني ما عدت ابالي بعنتر ولا باحد غيره من البشر * ثم انهما سارا وافترقا * بعد ما امتلى قلب قيس على عنتر حقدًا وحنقا

قال جهينة اليماني * وفي اليوم الثاني * وصل شيبوب وعروة وشداد . وهو مجروح ومشدود على ظهر الجواد * فزادت شماتة

Digitized by Google

الربيع بن زياد * وقال لاخوته وحق ذمة العرب . وشهر رجب ما اتى شداد على هذه الحالة الا وعنتر قد هلك وشرب كاس العطب . فقال عمارة * لما سمع تلك العبارة . وانا اسال الله ان يجعل ذلك صحيح حتى يخف الهم عن قلبي واستريح . لان كبدي منهُ قد ذابت . ونفوسي من فعالهِ قد شابت . واماني قد خابت وانا احمد الرب القديم . رب موسي وابراهيم * ان عبلة لم تلد منهُ ولدا والا كنت مت وجدا وكمدا * فقال الربيع وقد تعجب من كلامه واندهل . وان كانت عبلة لا تجيب ولا تحبل . فقد عوض عليهِ رب الارباب * مهرًا من فرسه سكاب * يقال لهُ كوكب . ما اقتنى احد مثلهُ من ملوك العرب

قال الراوي وقد ذكرنا حديث سكاب قبل الان . وما جرى في سببها وكان * وكانت قد ولدت مهر عجيب الخلقة * احسن من ابيه الابجر بالف طبقة * فسماه عنتر بكوكب . وتسلمهُ شيبوب وهذبهُ حتى تهذب وكان لا يفارقهُ في ليل او نهار * ولا يسقيه الا من لبن النوق الابكار . حتى صار يفتن الابصار . ويدهش النظار * وكان عنتر قد جعل اعتماده عليهِ بعد جواده الابجر * لانهُ كان قد استولى عليهِ الكبر . وقل عزمه وتغير . وذلك ما لاقى من الاهوال والمعامع . وما اصابهُ من الجراح في الحروب والوقايع

قال مجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . ولما قدم

Digitized by Google

عنتر الى الحي وهو سالم . ومعهُ تلك الاموال والغنايم . وحدثهُ ابوهُ بما قال في حقهِ الربيع بن زياد . مما غيظهُ وزاد . وقال وحق الاله المتعال . لابد لي معهُ من يوم يشيب رؤوس الاطفال . ويعاد ذكره ما امتدت الايام والليال * ثم بات تلك الليلة عند زوجته عبلة ومغري الوحش بل شوقه من زوجته مسيكة وولده سبيع اليمن . وعند الصباح سار عنتر الى عند الملك قيس وسلم عليه فترحب بهِ وهناه بسلامة العودة الى الوطن . ثم ساله عما جرى لهُ مع عمرو بن معدي . وعتب عليهِ لاجل ما ابداه من الجور والتعدي . فقال عنتر اني ما تعديت . ولا بغيت ولا افتريت بل جعلت لك عمرواً صديقا . ومعينا ورفيقا . وسيفا يعينك على الاهوال والشدايد . وركنا تقمع بهِ كل عدو وحاسد . ثم اعاد عليهِ ما جرى لهُ معه . وكيف اطاق سبيلهُ واصطنعه

قال مجد بن هشام * فلما سمع قيس منهُ ذلك الكلام . زالت عنهُ الهموم والاحقاد . الذي اسسها في قلبهِ الربيع بن زياد * وابقى عنتر عنده ذلك اليوم واكرمهُ غاية الاكرام . واكل معه الطعام * وسقاه من صافي المدام * وعند المسا رجع الى المضارب والخيام . ولما اصبح الصباح . واشرق بنورهِ ولاح . ركب الملك قيس الى الصيد والقنص حسب عادتهِ * في جماعة من وجوه عشيرتهِ . ولما عبروا على وادي البقر . نظروا بنو كنانة وهم القوم الذين انزلهم عنتر . كما تقدم الخبر . وابصر قيس نوقهم وجمالهم .

Digitized by Google

فانكر حالهم . واذا بسيدهم واقد ركب اليهِ . وسلم عليهِ . فرد عليهِ السلام واكرمه غاية الاكرام وقال لهُ في اخر الكلام من تكونوا من العربان * ومن انزلكم في هذا المكان . قال نحن من بني كنانة . اهل الوفا والامانة * واما الذي انزلنا في هذه الوهاد * حاميتكم عنتر بن شداد . ثم حدثه بحديث عنتر . ونزولهُ عليهم يوم المطر . فتعجب الملك قيس غاية العجب . وقال لقد احسنتم ياوجوه العرب . فاننا كلنا في حماية عنتر . وفي ظل سيفهِ المشهر ثم انهُ بعد هذا الخطاب . عاد الى المضارب والقباب . وكان الربيع بن زياد . لما سمع ذلك الايراد . زاد وجده . وتفتتت كبده . وقال للملك قيس ان هذه الفعال لا يصبر عليها احداً من الرجال . لاننا ما صدقنا ان نرجع الى الاوطان . ونستريح من معادات العربان . حينا من الزمان . حتى اتانا هذا العبد ابن الاوغاد . وتصرف في ارضنا كيفما اراد . ووهبها الى من لا نعرفهُ من العباد . وانا مع رفعة مكاني . وجلالة قدري وعلوّ شاني . لا اجسر على هذه الفعال . ايها الملك المفضال . وهذا مما يدل بانهُ لا يهابك . ولا يسال عنك ولا يحسب حسابك

قال نجد بن هشام . فلما سمع اسيد منهُ ذلك الكلام . استشاط غيظا وغضبا . واضطرم فواده لهبا . وقال لهُ بسك يا ربيع . تتحدث بالكلام الشنيع . في حق ذلك الرجل النبيل . والسيد الفضيل . صاحب المعروف والجميل . الذي يقصر عن وصفهِ

Digitized by Google

المدح . ويعجز في حصر مناقبه الشرح . على ان هذا الذي فعله فخر وكرامة . وقد غدت افعاله بين سادات العرب شامة . وما هو الّا الشجاع الاوحد . والبطل الامجد . الذي لا ينكر فضله ولا يجحد . وماذا تريد ان يقال عنا من الذكر الجميل في ساير المواضع . ان عبد بني عبس . فارس المعامع . يجير الخايف ويشبع الجايع . فقال الربيع وقد زاد بهِ الغضب واشتعل فواده من شدة الغيظ والتهب . اني ما تكلمت بهذا المقال . الا شفقه على الملك قيس من كلام الانذال . ان يقولوا كيف انزل عنتر قوما في ارضهِ وحكمهِ . بدون امرهِ وعلمهِ . وهذا ما يدل بان ليس لهُ عندهُ قدر ولا قيمة . وهو عبد اسود ابن امة ذميمة وانا وحق ذمة العرب . وشهر رجب . سمعتهُ مرارًا عديدة يقول لندماه . واصحابه ورفقاه . انا الذي حكّمت قيسا على بني عبس وعدنان . وفزارة وغطفان . وشاققت بذلك الملك النعمان . ولو اردت الان ان ارفعهُ لرفعتهُ حالا * ووليت مكانهُ اخوه بلالا

قال سعيد بن مالك * وما زال الربيع على مثل ذلك . حتى غير قلب قيس على عنتر . وترك فيه من هذا الحديث ايشم اثر ولم يزالوا سايرين حتى وصلوا الى الاطلال . فعند ذلك تفرقت من حول قيس الابطال * وطلب كل واحد منهم مضاربهُ * وفارق كل واحد صاحبهُ

Digitized by Google

قال نجد بن هشام . وفي ثاني الايام . اشتاق عنتر الى بني
كنانة الكرام . لما بينهُ وبينهم من العهود والذمام . فاخذ معهُ
قطعة من النوق والاغنام * وسار الى زيارتهم مع عروة بن الورد
ومقري الوحش فارس الشام . ولما وصل اليهم * وقدم عليهم *
استقبلوه احسن استقبال * واحتفلوا به غاية الاحتفال * وانزلهُ
واقد في الخيام وامر بترويج الطعام . وتقديم سفرة المدام * ولما
لعبت بينهم الكووس ودارت الخمر في الرووس حدث واقد
الامير عنتر بن شداد * بما دار بينهم وبين قيس من الايراد
فقال لهُ عنتر * وقد فرح واستبشر . لو لم يريدكم لهُ جيرانا * واحبابا
وخلانا . لرحلت بكم من هذه الاطلال . في عاجل الحال *
وانزلتكم في ارض اجود من هذه واطيب . واكثر منها عشبا
واخصب * وجعلتها لكم وطنا على طول الايام . لا ينازعكم فيها
احد من الانام . فشكره واقد على ذلك الكلام . وزاد له في
التوقير والاحترام . وقال له لا عدمناك من صديق . وحبيب
ورفيق . فمثلك من تكون الاصحاب والاخلا . والا فلا . وكان
عنتر قد معن النظر على من حضر . في ذلك المحضر . فلم يرى
مالك بن قادم الذي اضافه يوم المطر . فزاد غمه . وسال عنه
عمه * فقال اعلم يا ابا الفوارس . ويا زين المجالس قد مضى
في طلب المعاش والمكسب * من بعض احيا العرب . وقد عولت
عند قدومه الى الاطلال * بالغنايم والاموال . ازف عليه ابنتي

Digitized by Google

واجعله سيفي وعمدتي . لان اباه قد اوصاني به قبل مماته . وكان يحبه اكثر من باقي اولاده وبناته . وكان قد خلف له اموالاً كثيرة وكنا نحن ايضا في نعم غزيرة وانما تواترت علينا ايام كثيرة الغلا * قليلة العشب والكلا . فذهبت اموالنا . وساءت احوالنا . وبقينا كما ترى * وهذا الذي تم علينا وجرى

قال نجد بن هشام . فلما سمع عنتر منه هذا الكلام . صعب ذلك عليه . وكبر لديه . وقال له والله يا امير . لقد اسات التدبير . ولو كنت اعلمتني بهذا الامر قبل ان يسير . ما كنت تركته ان يتغرب . ويخاطر بنفسه مع شياطين العرب . بل كنت توليت نوبته . وزفيت عليه زوجته . ولكن قد سبق السيف العذل . وجرى من القصة ما لم يكن في الامل . وانا اطلب من العزيز الجبار . ان يعيده سالما الى الديار . حتى اعمل له وليمة من اموالي وانحر له في ليلة عرسه من خاص نوقي وجمالي . واجمع ساداتِ العرب الاجواد وابلغه غاية القصد والمراد . فشكره واقد على ذلك الكلام . واقام عنتر عند القوم ثلاثة ايام . وهو في عز واكرام . وفي اليوم الرابع عاد الى المضارب والخيام . وفي قلبه على ذلك الغلام . نيران الاضطرام

قال نجد بن هشام وكانت هذه الصبية المتقدم ذكرها . الذي سار الغلام في طلب مهرها . فريدة عصرها وزمانها . ونتيجة دهرها واوانها . قد اعطيت من الجمال قسمها . وكسي

من الملاحة جسمها ووافقها عند ولادتها طالع سعيد ٠ فربيت في مهد الكمال والتائيد ٠ وانتشت كما تشتهي وتريد ٠ واحبها ابن عمها الحب الشديد ٠ ولما نزل ابوها في حي بني عبس وعدنان وتلك الديار والاوطان ٠ كان قد كمل قدها ٠ وبرز نهدها ٠ وتورّد خدها ٠ وبلغت من المحاسن حدها ٠ لان الجمال ٠ على كل حال ٠ ينم على اربابهِ * ويظهر على اهلهِ واصحابهِ * ولما بلغ خبرها نسا تلك الديار ٠ جاءت لزيارتها النسا والبنات الابكار وكان اسمها نوار ٠ وما فيهن من عادت من زيارتها ٠ الا وهي مفتتنة بحسن رويتها

قال الراوي وكان قد بلغ خبرها حصن بن حذيفة ٠ وما هي فيه من الحسن والمعاني الظريفة ٠ فاشتعل قلبهُ بالنيران وشكى امره الى سنان ٠ ولج في طلبها ٠ وقال ان لم اتزوج بها ٠ هلكت بسببها ٠ فقال سنان اعلم ياولدي ان السماع يزيد وينقص ٠ والدخول في الاشيا بغير اختبار جهل وغصص ٠ ومن الصواب ان نزور ارض قومها بحجة الصيد والقنص ٠ وننظر احوالهم ٠ ونسال عن انساب رجالهم ٠ فان وجدناهم من سادات العربان ٠ وقد غدر بهم الزمان ٠ اتصلنا اليهم ٠ وافضنا من نعمنا عليهم ٠ لان الفقر لا يزري باصحاب النسب ٠ ولا يحط قدر سادات العرب

فلما سمع منه ذلك الخطاب * راه غاية الصواب ٠ فكتم هواه *

واخفى عشقه وجواه * وركب من يومهِ مع سنان * في عشرة من الفرسان * وقصدوا ذلك المكان * ولما اقتربوا من وادي البقر ترك حصن اصحابه مشتغلين بالصيد في ذلك البر الاقفر . وتقدم هو مع سنان الى نحو الغدران . واذا قد اعترضها مرج واسع * وحوالهُ عيون ومنابع * وفي وسط ذلك المرج جماعة من البنات كانهن البدور الطوالع . وهن يتقلبن على بعضهن البعض * وقد ارمين البراقع عن وجوهن في تلك الارض . وما فيهن الا من قد فاحت من التعب روايح نهودها * ورشح ما الحياة من اطراف خدودها . فلما ابصر حصن الى تلك الجوار . اشتعل قلبه بنار وقل منهُ الاصطبار * ووقف وهو يتامل في صنعة الخلاق . وقد تعجب من ذلك الاتفاق فبينا هو يتامل . ويتحرق ويتململ . واذا ببعض البنات الابكار * التفتت على من حولها من الجوار . وقالت لهن بكلام الدلال * من سبق منا في الغد الى هذه السهول والتلال * يكون على المسبوقات طعامها * وشرابها ومدامها * لان ابي قد سمح لي ثلاثة ايام بالخروج . الى هذه السهول والمروج

قال محمد بن هشام . فلما سمع حصن منها ذلك الكلام اضطرب فؤاده وهام * ونزل عن ظهر الجواد * وهو متبول الفؤاد . وقال لسنان * وحق الملك الديان . ما عدت اريد تلك الجارية التي سمعت بملاحتها . وما اريد الا هذه الصبية التي سلبت عقلي بحسن طلعتها . واريد منك ان تسال لي عنها

بعض البنات . و بنت من هي من بنات السادات . والا همت
على وجهي بين الروابي والتلال . وصرت مثلا بين الرجال .
فلما سمع كلامهُ . وفهم قصده ومرامهُ * قال تانى * وابشر ببلوغ
ما تتمنى * ثم انهُ تقدم الى نحو الركايا * وصاح على بعض الصبايا
وقال لها ياشمس النهار * من انتم من عرب القفار * ومن
انزلكم في هذه الديار * فقالت لهُ نحن من بني كنانة * اهل الوفا
والامانة * وما نزلنا في هذا المكان الا بامر عنتر صاحب الفضل
والصيانة * فقال لها وهذه الجارية التي تامر على البنات * من
تكون من بنات السادات * قالت هذه نوار صاحبة الحسن
البديع * وهي ابنت مقدمنا واقد بن سريع فلما سمع منها ذلك
الكلام * ابدى الضحك والابتسام * ورجع الى حصن على الاثر
وحدثهُ بذلك الخبر * وقال لهُ لاتضيق صدرك * ولا تشغل
من هذا القبيل فكرك * فانا ازوجك اياها * وابلغ نفسك مناها
ثم ارتدوا راجعين * ولم يزالوا سايرين * حتى وصلوا الى الخيام
وحصن قد اقلقهُ الوجد والغرام * ومن شدة ما اصابه من
العشق والهيمان * صرف ليلهُ بالشكوى الى السنان * هذا
وسنان * يسليه بالكلام * ويوعده ببلوغ المرام * ولما اصبح
الصباح * واشرق بنوره ولاح * ارسل سنان * الى ابى الجارية
بعض الفرسان * يقول لهُ ياسيد بني كنانة * ومعدن اهل
الفضل والصيانة * قد سمعت بحديثك وفصاحتك . ونرغب

Digitized by Google

من علو همتك * ان تجملنا بنور طلعتك * مع وجوه قومك وعشيرتك * وبذلك تحصل لبني فزارة غاية الممنونية في هذه الزيارة * ثم اخذ سنان في اصلاح الطعام * وترويق المدام * والاستعداد التام * وكان الرسول قد جد في قطع الفدافد . حتى وصل الى عند الامير واقد . فدخل عليه . وتمثل بين يديه واعطاه ذلك الكتاب. فلما قراه امتثل واجاب. ونهض في العجل ولبس افخر ما عنده من الحلل واخذ معهُ جماعة من قومهِ. وسار من يومهِ ولما اقترب من تلك الطلول . سبقهُ الرسول . ليبشر بقدومهِ الشيخ سنان . ومن معهُ من الفرسان . وسار واقد مع رفقاه . ومن يحبه ويهواه . وهو يقول لهم وحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . لقد نفر قلبي من دعوة بني فزارة . لان لنا كل هذه المدة في هذه الديار وما عن علينا احد منهم في زيارة . وقلبي يحدثني يا قوم . بانهم ما انتدبوا خالي في هذا اليوم . الا لخطبة ابنتي نوار . لبعض ساداتهم الكبار . فاذا تم هذا الامر . ماذا اقول لابن اخي الذي قد سار لياتي بالمهر . فقال لهُ بعض الرجال . وكان اسمهُ بشر بن المنهال . اعلم ايها السيد المهاب . ان صح لك هذا الحساب . نلت الشرف الاكبر . والحظ الاوفر . وارتفع قدرك بين سادات العرب . اصحاب المناصب والرتب . لان ابن اخيك مالك بن قادم . ان عاد الى الاطلال وهو سالم . ما يعود باكثر من فرس يركبها . او ناقة يكون قد غفل عنها صاحبها .

Digitized by Google

وهذا امر لا يكشف ضرّ ولا يبل ريق . ولا يغم عدو ولا يفرح صديق . والصواب انك تتصل بسادات بني بدر . وتدع هيبتنا باقية على مدى الدهر . ولا تدعنا ان نطرد عن ارض بني عبس بالتعس والنكس . لان ملككم قيسا ما هو راض بنزولنا في قطره . وقد عتب على عنتر كيف انه انزلنا في بلاده بدون امره . ومن الراي ان نرحل الى تلك الديار . بالهيبة والوقار . فقال واقد وانا ايضا قد سمعت بهذا الخبر . وان قيسا قد عتب على عنتر . فضاق صدري . وحرت في امري . ومن الصواب ايها السادة الانجاب ان نكتم هذا الامر عن باقي الرجال . حتى ينكشف لنا باطن هذا الحال .

قال الراوي ولم يزالوا يقطعون القفار حتى اشرفوا على تلك الديار * فتلقتهم الابطال والفرسان . وفي اوائلهم الشيخ سنان وحصن الى جانبه كانه السرحان . وهو لابس حلة حمرا . ومتعمم بعمامة صفرا . وراكب على حجرة ابيه الغبرا . ومن تحته سرج من الذهب الاحمر مرصعا بالجوهر . كانه شعل نار يدهش الابصار . فلما راته بنو كنانة على تلك الحال * وما فيه من الحسن والجمال والهيبة والكمال . والعظمة والجلال . ترجلوا اليه وخدموه . وبجلوا قدره وعظموه . وتقدم سنان الى واقد . وقال له اعلم ايها السيد الماجد . ان الملك حصن قد اشتاق اليكم . وهو عتبان عليكم لانكم من حين نزولكم في هذه الديار . ما زرتموه قط في ليل ولا

نهار . ومراده ان ينقلكم الى جواره . حتى تكونوا من جملة اعوانه وانصاره . لانهُ قد بلغهُ من بعض الفرسان . بانكم من اكابر العربان وقد غدر بكم الزمان

قال مجد بن هشام . فلما سمع واقد منهُ ذلك الكلام . قبل الارض بين يديه . وشكره واثنى عليه . ثم عادوا على ظهور الخيل وساروا الى ان وصلوا الى الخيام عند اقبال الليل . فابصرت بنو كنانة مضاربا وخياما . وراياتا واعلاما . وفي وسط الحي سرادق كبير * من خاص الحرير . ومن حوالهِ قباب من الديباج الاحمر والاسود والاخضر . مطرزة بالذهب الاصفر . فتعجبوا كل العجب وتمنوا ان يصير لهم في تلك الارض صلة ونسب

قال مجد بن هشام . وما استقر بهم المقام . حتى نقل اليهم الطعـــام . ووقفت امامهم العبيد والخدام . ودارت عليهم اقداح المدام . وباسطهم سنان بالحديث والكلام . ومرت عليهم ليلة في ذلك المقام . لم يروا مثلها في ساير الاعوام . وفي ثاني الايام * اكرمهم حصن غاية الاكرام . وزادهم في التوقير والاحترام . واراهم من فرط الاكرام . والانعام . ما لا يطاق ولا يحد . ويقصر عن بعضهِ العد . وفي اثنا الكلام . قال سنان لواقد وهم على المدام * اعلم يا وجه العرب الكرام . ان بني عبس اللئام . الذين يفضلون انفسهم على ساير الانام ويدعون بانهم فرسان المنايا والموت الزؤام قد اعتدوا على هذا الغلام . والملك الهمام . وقتلوا ابيه واعمامه وسلبوا

Digitized by Google

امواله وانعامه واقول انك سمعت طرفا من افعالهم وما ابدوه من شر اعمالهم . وقد كنا نفيناهم الى بلاد اليمن وابعدناهم الى تلك المعاهد والدمن * وما عادوا الى هذا المكان . الا في شفاعة الملك النعمان وهم الان تحت امرنا واحكامنا . وعهدنا وذمامنا . وقد نزلتم انتم في ارضهم بغير خبرة * وزدتموهم قوة وكثرة . فصعب ذلك على هذا الملك المفضال . واراد ان يرسل عسكرًا في الحال . ليطردكم من هذه الاطلال . فمنعته عن ذلك الشان . شفقة عليكم من الهلاك والقلعان * والتمست منه ان يطلبكم الى ديوانه . ويغمركم بفضله واحسانه * ويوهبكم ارضا في جواره . ويتخذكم من جملة جنوده وانصاره فلما سمع كلامي . اجابني الى قصدي ومرامي فاستدعيتكم اليه وقد تشرفتم بين يديه واكلتم طعامه واخذتم انعامه وشملكم فضله . وذمامه . وقد بلغه ايها البطل الغوار * من بعض النسا والزوار خبر ابنتك نوار . وما فيها من الحسن والجمال والبها والكمال . فالتهب بوصفها فواده . وطار من اجلها رقاده وهو يريد ان يخطبها منك حتى يصير بينك وبينه علقة ونسب ويحميك من كل من تعصب لك من العرب . وانا اعلم انه يكون لك في ذلك الحظ الاوفر . والجاه الاكبر . وبعد ذلك فالامر مردود اليك . وانت اعلم بما يعود نفعه عليك

قال الراوي فلما انتهى سنان من كلامه وتهديده عرف وافد غاية مقصوده * فخفق فواده من شدة الفرح . وزال عنه الهم والترح

وقال لسنان يامولاي ان هذا الامر لم يخطر على بالي * والا كنت بادرت الى خدمة هذا الملك بساير فرساني وابطالي . وقد علمت الان بان الاله المنان . قد نادى بسعادتي وجبر كسري . لانه لا يكون في الدنيا احدًا اسعد مني اذا اصبح الملك حصن صهري وابطال بني فزارة خلف ظهري

قال نجد بن هشام . ثم انهُ بعد هذا الكلام . نهض على قدميه . وشكر الملك حصن واثنى عليه . وقال لهُ يامولاي قد فوضت امري اليك . وجعلت اتكالي من بعد الله عليك . وعند الصباح ارسل في طلب قومي ليتمثلوا بين يديك . وها يدي لك بالوفا . وخلوص النية والصفا . ثم اعطاه يده وصافحه * وعاهده وناكحه . فقال حصن اعلم يابدر المحافل . وصدر الجحافل اني لا اريد ابنتك الا ليلة الزفاف * بعد ما ارسل لك من المهر ما تعجز عنهُ ملوك الاطراف * والتقيها انا واخوتي بفرسان الكفاح واجعل لها يوما يذكر ما اقبل الليل واتى الصباح * هذا وقد وقع في بني فزارة * الفرح والبشارة . وجددوا الولايم والدعوات واغتنموا اللهو واللذات . وعند المسا امتد سماط الطعام . واصطفت بواطي المدام * وادبرت الراح * وتعوطيت الاقداح وخامر النفوس الابتهاج والارتياح * ولما اصبح الصباح * واشرق بنوره ولاح * خلع حصن على القوم الخلع السنية * واكثر لهم من المواهب والعطية * وقدم لواقد خمسماية ناقة حجازية * وقال

Digitized by Google

لهُ هذا مهر ابنتك شمس النهار * السيدة نوار . سوى ما يصل اليك من عمود الجوهر * ونوادر البدو والحضر * فودعهُ واقد وسار * وهو في غاية الفرح والاستبشار * ولما وصل الى الديار حدث قومه بتلك الاشارة * وكيف انهُ زوج ابنته بجعص سيد بني فزارة * ثم انهُ فرق عليهم من تلك الاموال * وخلع على المقدمين والابطال * ففرحوا بذلك العز والجاه * وما فيهما الا من هناه

قال الراوي وكانت الصبية تحب ابن عمها مالك بن قادم الذي سار في طلب الاموال والغنايم * محبة الاهل والاقربا . لاجل ما بينها من الالفة في ايام الصبا * وكانت من اجل غيابهِ في غاية القلق والضجر * فلما بلغها هذا الخبر * ظنت انهُ مات وانقبر * فاخذت ترثيه بالاشعار في الخلوات * وتندب عليه في اكثر الاوقات * هذا ما جرى لهولاء من الاخبار * واما ما كان من مالك بن قادم ابن عم نوار * فانهُ كان قد رجع سالما في تلك الايام * ومعهُ قطعة من الجمال والانعام * وكان قد وصل في غارتهِ الى بلاد اليمن * وتلك المعاهد والدمن * فاغار على بعض قبايل العرب * ورجع بالغنايم والمكسب

فلما راته امه فرحت بهِ الفرح الشديد . الذي ما عليه من مزيد وكان ذلك النهار عندها يوم عيد لانها كانت قد ايست منهُ ولبست ثياب السواد . واكثرت من النوح والتعداد * ولما بلغ عمه

Digitized by Google

قدومه فما عن عليه . ولا التفت اليه . هذا والغلام اخذ يسال امه
عن لبسها ثياب الاحزان . وما جرى بعده في الاوطان * وقال
لها في اخر الكلام . اني رايت لعمي من الاموال والانعام .
والسرادقات والخيام . ما كنت اعهدها له قبل هذه الايام .
ورايتهُ وهو جالس في الصيوان . كانهُ كسرى انوشروان . ومن
حوله العبيد والغلمان . فلما راني . عبس في وجهي وازدراني . ولم
يلتفت اليَّ . ولم يعن عليَّ . فلما سمعت امهُ منهُ ذلك الكلام .
بكت بدمع سجام . وقالت لهُ اعلم ياولدي . ومهجة كبدي . بان
عمك قد نسي فضلك وخيرك . وزوج ابنته برجل غيرك . ثم
حدثتهُ بقصة حصن بن حذيفة . وما اعطاه من الخلع الثمينة
والعطايا النفيسة اللطيفة . وقد صار الان . في منزلة كبيرة بين
الفرسان . لان الغنا بعد الفقر يغير طبع الانسان . ويكسيه من
حال التكبر الوان . فلما سمع منها هذا الخطاب . غاب عن
الصواب . وزاد وجده وهواه . ووضع يده على احشاه . وهو
يقول واحسرتاه . كيف ضاع تعبي ولم ابلغ اربي . فيا ليتني كنت
قد مت في السفر . ولا سمعت بهذا الخبر . فوحق الركن والحجر .
والبيت العتيق المطهر . لا تركت ابنة عمي تخرج من يدي ابدا .
ولو مت وجدا وكمدا . فقالت لهُ امه وقد زاد بكاها . ما بقى في
الامر الا ان تسلاها . لانهُ ليس لك الى لقاها من سبيل . ما
دام قد زوجها ابوها بذاك الملك الجليل . فلا تغتر ياولدي

Digitized by Google

بالمحال . ودع عنك القيل والقال . لانك ان حركت ساكن قتلوك في بعض الاماكن . فقال لها لا بد لي عند الصباح . ان اقصد صديقي عنتر الفارس الجحجاح . واحدثهُ بهذه القصة . فهو يزيل عن قلبي هذه الغصة . وان لم ينصرني على ذلك الظالم الجبار . همت على وجهي في البراري والقفار . ثم انهُ بات تلك الليلة في اسوء حال . وهو يلج على امهِ في السوال . وهي تكرر عليهِ ما جرى في غيبته من الاحوال . وان الصبية غير طيبة القلب بتلك الفعال . فلما سمع منها ذلك المقال . زاد بهِ الطمع ووكف طرفهُ ودمع . ولما زاد عليه الحال . انشد وقال

علليني يا ســام بالتذكار   واطفي نار الهوى بذكر نوار
واذا الدمع خانني فاسعديني   بدموع من مقلتيك غزارِ
طال ليلي وقد تيقن قلبي   انني قد عدمت ضيا النهار
ليتني مت في ديار الاعادي   او قتيل بالسيف تحت الغبار
يا حمام الاراك كن لي معينا   مسعداً بالحنين في الاسحار
واسعيدي مني اذا نحت بالليل   على الفلك البعيد المذار
فدموعي تروي ظما وتطفي   ما بقلبي من لهيب النار
جار عمي ظلما وخيب ظني   كيف فعلي في الظالم الغدار
وتعدى وجار في الظلم حقا   وهو يودي الى خراب الديار

قال الراوي ولم يزل . على تلك الحال يقاسي العذاب والنكال الى ان اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح فعند ذلك ركب

Digitized by Google

الجواد. وقصد عنتر بن شداد . ولما اجتمع به سلم عليه . وقبل يديه واراد ان يشكو حاله اليه . فسبقه الدمع على خديه . فلما ابصره عنتر عرفه . فزاد له لهفه . وهناه بالسلامة . واكرمه بكل كرامة . وساله عن سفرته . فحدثه بقصته . وقال له في اخر الكلام اعلم ايها البطل الهمام. اني ما قصدت جنابك * وطرقت خيامك واطنابك . الا وقد اشرفت على الهلاك . ووقعت في سوء الارتباك . ولم يعد لي من قيد الهوى اذنى فكاك * فلما سمع عنتر كلامه . وفهم قصده ومرامه . ضاق صدره . وعيل صبره وشتم حصن بن حذيفة . وابنا بدر . ولعن ابو الجارية فوحق مال للغدر . طمعا بحطام الدهر . وقال له طب نفسا وقر عينا الذي الاله المتعال الذي قدر الارزاق والاجال لابد لي ان اتي بها اليك وازفها عليك . وان خالفني ابوها في ذلك . اسقيته كاس المهالك ثم انه بعد ذلك الكلام طيب قلب الغلام . وتخلق معه باخلاق الكرام واحضر له شيا من الطعام * وسقاه من صافي المدام ثم استدعى بقري الوحش فارس الشام . وعروة بن الورد البطل الهمام * وجماعة من الفرسان والابطال . الذي يعتمد عليهم في الاهوال فلما دخلوا عليه . وتمثلوا بين يديه . حدثهم بقصة الغلام . بالكمال والتمام . وقال لهم في اخر الكلام . اعلموا ايها السادة الكرام . اني قد هممت النية * على سبي تلك الصبية * واخذها قوة واقتدارا . والضرم في قلب ابيها نارا لانه نكث بعهده . ولم يوفي بوعده . فلما

Digitized by Google

سمع الامير شداد . منه ذلك الايراد . قال له والله يا ولدي ومهجة كبدي . ما هذه الا قصة مشكلة * وعاقبتها مذمومة معضلة لاننا ان احضرنا ابو الجارية وعاتبناه على ما صنعه * ضيعنا ما عملنا من الجميل معهُ . لانك كما تعلم انه رجلاً فقيراً . وقد وقع لابنتهِ ملكاً كبيراً . وربما انه يحتج علينا . و يعتذر الينا * ويقول ان ابن اخي قد طالت مدة غيبته * وقد ايست من قدومه ورجعته وليس للبنت الا الزواج ويحتج بذلك غاية الاحتجاج . وان نحن اخذناها منه غصبا اقمنا الغارة * واثرنا الفتن بين بني عبس وفزارة . وتقول الناس ان عنتر قد بغى . وتجبر وطغى

قال نجد بن هشام . . فلما سمع عنتر من ابيه هذا الكلام . زاد بهِ الوجد والهيام . وقال وحق من ارسى شوامخ الاعلام . واحصى عدد الليالي والايام . لاكسرت قلب هذا الغلام . ولابد لي ان اخذ لهُ ابنة عمه بحد الحسام . ولو سار بها ابوها الى مطلع الغمام وها انا صابر على هذا الحال . حتى تنتجز الاشغال . وتسير العروس الى بعلها ابن الانذال . وحينئذٍ اخطفها من وسط الطريق . وكل من مانع عنها اعدمته السعادة والتوفيق . ومتى صارت في خيامنا . تحت قبضة حسامنا . بلغنا غاية مرامنا . وما نعود نبالي بملوك الزمان . ولو اجتمعت علينا بفرسان الارض وطوايف الجان . اما كنت انا وانتم في دعوة ابى الجارية . وذكر لنا انهُ قد زوجها لهذا الغلام من ايام ماضية . وانهُ قد مضى لياتي بالمهر

Digitized by Google

والصداق الذي وقع عليه الاتفاق . فلاي سبب منعه عنها وقطع نصيبه منها . فقالت الحاضرون اي نعم . وحق البيت المعظم . قد سمعنا هذا الكلام . من مدة ايام . غير انه لا خفاك يا صاحب الاوصاف اللطيفة . والاخلاق الكريمة الظريفة . قد غدر به الان لما وقع له مثل حصن بن حذيفة . طمعا بالمال وعلو الجاه والتقلب بنعماه * وان يعيش بالعز تحت ظله ولواه . فقال عنتر اذا كان قصده المال . وكثرة النوق والجمال . فانا ابلغه غاية الامال . وان كان قصده الحماية ورفعة المقام . فانا احميه من كل بطال همام * وليث ضرغام * وان كان قد ظلم وغدر * فانا اعيده الى الحق اسرع من لمح البصر * بحد هذا الحسام الابتر وان تعصب له الملك قيس قاومته * وشاققته وخاصمته * واستقل بعد ذلك بحالي * وادوس رقاب الملوك بنعالي * ولا اخشى ولا ابالي

قال مجد بن هشام * ثم انه بعد هذا الكلام * قضي معهم بقية ذلك اليوم بشرب الراح * ولما كان عند الصباح * قال عنتر للغلام * عد انت الى المضارب والخيام * واكتم هذا الامر عن ساير الانام * ولا تخاصم عمك على افعاله ولا تلومه على سوء اعماله * ومتى حان وقت الزفاف * وانجز الامر بلا اخلاف * ورايت بنو عمك قد اشتغلوا في امورهم * اتركهم وهم منهمكون في افراحهم وسرورهم * واحضر مع امك الى هنا * وابشر ببلوغ

المنى * فقبل الغلام يديه * ومدحه واثنى عليه * وقال له
لا عدمتك من صديق * وحبيب ورفيق

قال محمد بن هشام وبعد ذلك بخمسة ايام * انجز امر
الصبية * وانفذ لها حصن الهودج والتحف السنية * واستدعى
الملك قيس واخوته * وسادات قومه وعشيرته * ان يحضروا
الى وليمته * فاجابوا مناديه * واستعدوا للمسير الى ناديه *
واعرض قيس على عنتر ان يسير في ركابه * مع من يلوذ بهِ من
اهله واصحابه * فابى وقال اعلم ايها السيد المفضال * انني
اخشى من الامور الحادثة . لان بغضتي ما تزول من قلب حصن
وسنان بن ابي حارثة . فعذره قيس وانطلت عليه تلك الحيلة *
وسار الى بني فزارة في سادات القبيلة . والكل بثياب الديباج
المطرزة بالذهب الوهاج . وبعد مسيرهم بساعة من الزمان اجتمع
عنتر مع من يلوذ بهِ من الاهل والخلان . والابطال والفرسان .
وقال لهم اعلموا ايها السادات الاماجيد . والفرسان الصناديد
اني قد عولت ان اكمن للقوم في الطريق . واخذ العروس
واكوي قلوبهم بنيران الحريق . ومتى فعلت ذلك الشان . لا
يعود لنا اقامة في الاوطان . ولا بد للملك قيس ان يغضب
علينا . ويجتهد ان يوصل الاذية الينا والراي عندي ان نرحل
من هذه الاطلال بالمال والعيال . ونامر العبيد والغلمان
ان تسير بالاموال والنسوان في جوانب الصحصحان . ونبقى نحن

Digitized by Google

على ظهور الخيل لقتال الفرسان. ومتى اخذنا العروس وابدلنا
سعودهم بالنحوس. لحقنا ظعننا في الحال. واذا تبعنا الفرسان
والابطال. انزلنا بها الذل والنكال. وبعد ان نبلغ الامال نقصد
بعض الروابي والتلال. ونزف العروس على ابن عمها مالك
بن قادم. وما نعود الى الاطلال والمعالم. حتى يقبل الملك
قيس عذرنا. ويعرف حقيقة امرنا. ويكون له حجة يحتج بها
المقوم * ويخلص من العتب واللوم. ويقول لحصن وسنان. اذا
عتبا عليه في هذا الشان. ان الذي فعل تلك الفعال. قد مرق
من تحت طاعتي وعصاني في كل الاحوال. فلما سمعوا منه
ذلك الخطاب. راوه غاية الصواب. ونهض شيبوب في الحال
واخذ معه مائة من الابطال. وسار بالحريم والعيال. والمواشي
والاموال. وجد في قطع الروابي والتلال * الحان وصل الى
ارض كثيرة الاشجار. والرياحين والازهار. مطرزة بالجداول
والانهار. يقال لها مسارح الظبا. ومروج الصبا. واقام
في ذلك المكان. بالحريم والنسوان. وتبقى عنتر في الاوطان.
وفي صحبته اربعماية من الفرسان. وعند الصباح قدم عليه ذلك
الغلام بابيه وماله. وما تحويه يمينه وشماله. فسأله عنتر عن
الزفاف. قال قد انتجز الامر بلا خلاف. وقد تركت القوم
على نية الرحيل * وسرعة الجد والتحويل. وقد وصل اليهم
سنان في مائة من الفرسان. وكلهم بالسلاح الكامل. والدروع

Digitized by Google

السوابل . فقال عنتر اي وابيك سوف ترى مني ما يسرك ويرضيك
فوالله لاخذن العروس . وابدل افراحهم بالعكوس . ثم انه صبر
حتى تضاحى النهار . وعلم ان القوم قد ابعدوا في القفار . فركب
في عاجل الحال . مع عروة بن الورد ومفرّي الوحش الاسد
الرئبال . وباقي الفرسان والابطال * ولما تبطنوا البر والفدفد
لبسوا دروع الزرد . وتسربلوا بالحديد المنضد . وركضوا على
ثار بني فزارة . وهم يريدون ان ياخذوا منهم العروس ويوقعوا
بهم الذل والخسارة . فادركوهم في وسط الطريق وكان سنان
سائر في مقدمتهم من غير تعويق . ومن خلفه الهوادج والنياق .
والرجال تلعب بالدرق الصفاق . والسيوف الرقاق . والرماح
الدقاق . وقد اقلبوا البر بالصياح والزعاق * هذا والعروس على
هودج مجلل بالديباج المدنر * وقوايمه من العرعر . موشح بوشائح
الحرير الاصفر والاحمر . مكلل بالدر والجوهر . على ناقة عالية
السنام . مليحة الخطام . والعروس تبكي من داخل الهودج على
ابن عمها * ومن حولها جماعة من اترابها وبني عمها . وهن
بالزينة الظاهرة . وعليهن الجواهر الفاخرة * هذا والفرسان
تطرد الخيل في تلك البطاح . وتهز في كفها قطع الرماح *
فلما نظر عنتر الى تلك الحال استبشر ببلوغ الامال . والتفت على
عشرة من الابطال . وقال لهم دوروا على هولاء العبيد من اليمين
والشمال . وافرشوهم على وجه الرمال . وبعد اهراق الدما .

Digitized by Google

وسوقوا العروس ومن معها من الاما . والحقوا اخي شيبوبا الى
مسارح الظبا . ودعونا نحن الى هذه الخيل حتى ننهبها نهبا .
فامتثلوا الى ما امر . وفعلوا كما ذكر . وحمل عروة على العبد
القايد بزمام ناقة نوار . وضربه على عاتقه بالسيف البتار القاه
قتيلا . وفي دمه جديلا . وقتلت اصحابه جماعة من العبيد .
وهربت الباقون في جوانب البيد . وتقدم مالك بن قادم في
الحال . واخذ بزمام ناقة ابنة عمه وقد فرح ببلوغ الامال . وتبعته
بقية الرجال الاخيار . وساقوا الاما والهوادج وما فيها من النسا
الاحرار . والبنات الابكار . وبلغ الخبر الى سنان . وكان قد
سمع صياح الاما والنسوان . فظن ان الذي فعل تلك الفعال
خيل غريبة عن الاطلال . فصاح على من حوله من الرجال .
وقال لهم دونكم وهولا الانذال . فلما سمعت منه ذلك المقال .
وابصروا تلك الحال هزوا في ايديهم السمر الطوال وحملوا مثل
موج البحر اذا زخر . وتقدموا ليكشفوا الخبر . وابصر سنان الى
عنتر بن شداد . وفرسان بني قراد . فخفق قلبهُ . وزاد رعبهُ .
فوقف وقال . ما هذه الفعال . هل انتم في منام . يا بني الاعمام .
او خالط عقلكم المدام . حتى جسرتم على هذا الامر العظيم
والخطب الجسيم . اتنهبوا مال حصن وتسبوا كريمته . وسادتكم
في ولايته . وانتم تعلمون ان النسا لحد الان . لم ينزعن عنهن
ثياب الاحزان . فقال عنتر انا قط ما سبينا حريم احد ابدا .

وما فعلنا هذه الفعال الا من اجل ابو الجارية الذي ظلم واعتدا . لانهُ قد زوج ابنته لابن اخيه مالك . واشهدنا عليه بذلك . ولما اتيت بهِ الى دياري وانزلتهُ في جواري * ذهب هذا الغلام في طلب المهر . من دون ان يعلمني بذلك الامر * وانتم انتم في الحال . وفعلتم هذه الفعال . وارغبتم ابو الجارية بالعطايا والاموال . وخطبها حصن وطلب بذلك ارغامي . واخراق قدري ومقامي . وانا لا ادع هذا الامر ان يتم على من اعطيتهُ ذمامي . ما دمت املك رمحي وحسامي . ولا بد لي ان ارد السيف الى قرابهِ . واعيد الحق الى اهلهِ واصحابهِ . ومن اراد ان يركب طريق البغي والاسراف . رديته بهذا الحسام الى طريق الحق والانصاف . فارجع ودع عنك كثرة الفضول * والا عدت وانت راغم الانف مذلول

قال مجد بن هشام * فلما سمع سنان منهُ هذا الكلام * الذي هو اشد من ضرب الحسام * تعجب غاية العجب * وخنق فوادهُ واضطرب * وخاف ان يثير الفتنة مع عنتر فيغلب * فقال لهُ اني ما تكلمت بهذا المقال * ايها السيد المفضال * الا خوفا من القيل والقال * وما دام الامر كذلك * فانت وشانك اخبرهم يا فارس المعارك * ولكنك سوف تندم غاية الندم * ويزل بك القدم وتصير مثلا في بلاد العرب والعجم * فقال لهُ عنتر وحق ذمة العرب * وشهر رجب * والرب الذي اذا طلب غلب *

ما يحل العدم الا بك وبقومك اجمع . اذا وقعتم في مخالب الاسد الاورع * فذلك ما شاهدت قتالي في بني فزارة . وكيف حولت رجهم الى خسارة * وكم اهلكت منهم من الفرسان * والابطال والشجعان . وما فيكم من قدر على بسيف ولا بسنان * ثم انه بعد هذا الكلام * اشهر في يده الحسام . وانحط على سنان انحطاط صاعقة الغمام * فلما شاهد سنان تلك الحال ايقن بالهلاك والوبال فالوى عنان جواده وطلب الهرب * خوفا من الهلاك والعطب وعادت فرسان بني فزارة من امام عنتر * وهي باذيال الخسارة تتعثر . ورجع عنتر وقد اشفى فواده . بالكلام . وبلغ القصد والمرام . وتقدم ابو الجارية الى امام عنتر وبكى . وان وشكى وقال له يا ابا الفوارس . ويا زين المجالس . لا تظن اني فعلت تلك الفعال . طمعا بالمال * والنوق والجمال * وانما غصبت على نفسي * من ابنا جنسي * لان حصين ارسل يقول لي ان لم تزوجني ابنتك اخذتها منك غصبا * وتركت اموالك لسائر عربان البر نهبا * لاني صاحب هذه الارض والوهاد . وحكمي نافذ في جميع البلاد .

وكان ابن اخي قد سافر وطالت مدة غيبته . فايست منه ومن رجعته . وخفت من اثارت الفتن . وحسبت حساب عواقب الزمن . فزوجته بابنتي . والان ابن اخي احق منه بما دمت [illegible] على حمايتي . فقتل عنتر عدوه وفعل فعل الرجال

Digitized by Google

الكريم . وقال له الحق انت وقومك بالهوادج والحريم . فعاد وهو
يركض خلف الهوادج والنوق . وقد راى من عنتر ما لم يراه قط
من مخلوق . هذا وعنتر يقول لابيه ولاعمامه . ما كان الصواب
الا القبض على سنان وقتله واعدامه . ثم انهم ساروا في تلك
الفدافد . وقد بلغوا المقاصد . وكان سنان لما فارق عنتر جد
في قطع البر الاقفر . فوصل الى الديار . عند نصف النهار .
فوجد حصنا خارج الابيات . ومن حوله الابطال والسادات .
وكان بانتظار العروس . وعليه افخر ملبوس . وكان الملك
قيس واخوته عن يمينه وشماله . ومن خلفه جماعة من عبيده
وابطاله . فلما رآهم سنان صاح وجلبب . وقال ادركونا يا سادات
العرب . فقد دهينا من وسط الامان . واعتدى علينا عنتر
الكنعان . وسبا العروس ونهب الاموال . وبلغ منا غاية الامال
فلما سمع حصن منه ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال
وعاد سروره بوسا . وانقلب ابتسامه عبوسا . وابصر الملك قيس
ما جرى على حصن فغاب عن الوجود . وبقي حاضرًا في صفة
مفقود . وقال الربيع بن زياد وقد زاد به الغضب . وخفق فواده
واضطرب . والله ما بقي لنا غنى . عن قتل هذا العبد ولد الزنا
ولو انتصر له الملك النعمان . او كسرى انوشروان . صاحب
التاج والايوان . ثم ان قيسا استشار الربيع فيما يفعل . فقال له
ما بقي في الامر ايها الملك المجل . الا اننا نعود الى الحلة في

العجل . ونكبس ذلك العبد في خيامه . ونقبض عليه وعلى اعمامه . ومن يلوز به من اهله واقوامه . ثم ناتي الى سادات بني كنانة معدن الغدر والخيانة * ونذبح منهم جماعة من الرجال . ونرد على حصن العروس وما معها من الاموال وبعد ذلك تكون انت الحاكم على ذلك العبد الغاشم فان شيت تركته عندك كالاسير يطحن الحنطة والشعير وان شيت نفيته عن الديار . وتركت قبايل العرب تقصده بكل ليث كرار . وبطل مغوار . لتاخذ منه بالثار . او انه يرجع اليك ويقبل يديك ورجليك . ويلزم ما كان فيه من رق العبودية ويتوب عن افعاله الردية . فلما سمع قيس من الربيع ذلك الخطاب . راه غاية الصواب . والتفت على حصن وطيب قلبه وخفف كربه * وارتد راجعا الى الاطلال بمن معه من الابطال ولما وصل اليها * واشرف عليها . وجدها خالية من عنترة الفرسان ومن له من الاحزاب والاعوان . فقال الربيع ها قد تغرب الفرتان . ورحل الى ابعد مكان . وحسب هذا الحساب . وقرا عنوان الكتاب * وما بقي في الامر الا اننا نرسل الى حصن ونعلمه بهذا الحال . وندعه يطلبه بالفرسان والابطال ثم انه ارسل الى حصن بعض الرجال . يعلمه بغيبة عنتر عن الاطلال ويقول له عن لسان قيس اعلم يا ابن العم * ازال الله عنك الهم والغم ان دم عنتر لك مباح فاتبعه بفرسانك الوقاح . ونحن نعينك عليه بالرجال والسلاح . لانه رحل قبل وصولنا الى الديار *

Digitized by Google

والا كنا ارسلناه اليك في حبال الذل والعار

قال محمد بن هشام . فلما بلغ حصن هذا الكلام . زاد بهِ الوجد والبلبال * وعظم عليهِ الحال . ولطم على وجههِ حتى جرى دمه وسال . وقال لسنان ماذا تفعل اليوم في حقي * والا انقطع من الدنيا اجلي ورزقي . لانها ان فاتتني هذه الصبية ذاب جسدي وتفتت كبدي . فقال سنان اعلم ياولدي . وياسندي وياعضدي ان في قلبي من لهيب النار . على ذلك العبد الغدار . اكثر مما في قلبك بامرار . وان لم اعمل على قتلهِ مت كمدا . ولا يعلم بموتي احدا . وقد رايتهُ في دون الخمساية من الابطال . واظن انهُ رحل الى مسارح الظبا وتلك الاطلال . وما تخلا عنهُ قيس بن زهير . الا خوفا من اسباب النكد والضير . وانا عند الصباح اسير خلفهُ بفرسان الكفاح . وما ارجع عنهُ . حتى اشفي غليل قلبي منهُ . ثم نادى على الفرسان والابطال . باخذ اهبة القتال فاستعدت الفرسان . وباتت تلك الليلة متاهبة للحرب والطعان

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح . ركب حصن ظهر الجواد . واعتد بالة الحرب والجلاد . وخرج الى خارج الخيام . وانفردت على راسهِ الرايات والاعلام . ودارت بهِ الابطال والسادات . وركبت الفرسان ظهور الصافنات . وارتجت البراري والفلوات . وسار حصن في مقدمة العساكر . كانهُ الليث الكاسر في ستة الاف مقاتل ما بين فارس وراجل

Digitized by Google

الى جانبه سنان . وقلبه يتلهب بالنيران . وهو يشكو اليه لوعة الهوى . وما بهِ من العشق والجوى . ولما تمادى بهِ الترحال انشد وقال

اسرني العشق ياسادات بدر ففكوا بالسيوف وثاق اسري
وعينوني ببيض مرهفات واطراف من الخطي سمر
اتسبى زوجتي وابي وجدي ولاة الامر من بر وبحر
فواعجبا كيف يذل مثلي خسيس الاصل عبد غير حر
ويملك ظبية رشقت فؤادي بسحر لواحظ عملت بسحر
فتات في الفؤاد لها لهيب يذوب لها الفؤاد بغير جمر
سأترك في ديار بني قراد عويلاد ابدا في كل فجر
على العبد الذي اضنى فؤادي واسهر مقلتي واطال فكري
فان منعتني الايام عنهُ وجال بسيفهِ في ال بدر
طلبت الموت بالسمر العوالي كما قد مات قبلي كل حر

قال الراوي فلما فرغ حصن من هذه الابيات جد في قطع البراري والفلوات . هذا ما كان من حصن وسنان . واما ما كان من عنترة الفرسان فانهُ لما ملك العروس كما سردنا وسلمها لابن عمها كما شرحنا واوردنا . سار بالهوادج والنسا . الى ان اشرف على اخيهِ شيبوب وقت المسا فنزلوا في مسارح الظبا وتلك المروج والربى . هذا وقد طابت قلوب بني كنانة . وعادوا الى ما كانوا عليه من العهود والامانة . وفرحت نوار بابن عمها .

Digitized by Google

وقد زال عنها همها وغمها . ولما قر قرارهم في تلك الدكادك
استشار ابو الجارية الامير عنتر فارس المعارك . في زفاف ابنته
على ابن عمها مالك . فقال عنتر ليس هذا مكان الاعراس والولايم
لاننا لا نقدر على الاقامة في هذه الاطلال والمعالم . ومن الراي
الصايب . والفكر الدقيق الثاقب . ان نبعد في جوانب القفار
وافعل بعد ذلك ما تحب وتختار . لانني من اعلم الناس في حماقة
الجاجة سنان الغدار . لانهما لا يغفلان عنا . ولا بد ان يتبعانا .
لياخذا بالثار منا . وانا اطلب من خالق البشر * ان يغرهما القدر .
و يتبعانا في هذا البر الاقفر * حتى اوثر فيهما اعظم اثر . فاستعدوا
للحرب . وتاهبوا للطعن والضرب

قال نجد بن هشام . ثم انه بعد هذا الكلام . رتب عروة بن
الورد على الحرس * ودخل الى عند ابنة عمه عبلة وجلس .
وكان قصده ان يستريح الى وقت الغلس . ولما انقضى الليل .
طلعت عليهم نواصي الخيول . وامتلات بهم الروابي والسهول .
ولمعت الاقطار ببريق السيوف والنصول . وارتجت الارض
من ضجيج الفحول . ووقع حوافر الخيول . فقال عنتر ها قد
صح الخبر . وبان الامر واشتهر . ثم انه ركب على ظهر مهره كوكب
بن الابجر . وقال لمن حوله من الرجال . وفرسان المعارك
والقتال . دونكم وهولاء الانذال . اطعنوهم باعقاب الرماح .
وعرفوهم قدرهم في محل الكفاح * لان دماهم علينا حرام . لاجل

Digitized by Google

ما بيننا وبينهم من حرمة النسب والذمام

قال محمد بن هشام. ثم انهُ بعد هذا الكلام * حمل على ظهر مهره كوكب * فاشتعل من تحتهِ والتهب . ودعس فيهم دعس النمر الاغاب * وتبعهُ مقري الوحش الاسد الرئبال * وحمل عروة بن الورد ومن معهُ من الرجال . وفي ساعة الحال اختلف الطعن واشتد القتال * وعظمت الاهوال * وتزلزلت الارض بالزلزال * وطاش العقل وزال * وتطوحت فرسان بني فزارة من اعقاب الرماح الطوال على وجه الرمال * وكان كوكب يهمز بعنتر تحت الغبار كما يهمز الغزال * ويبرم كانهُ الرحى عند الانفتال * وعنتر من فوق ظهره يطعن في جوانب الابطال * ويبددها في اليمين والشمال وهو يدمدم كالغول وينشد ويقول

انا البطل الندب يوم الكرب   اذا نسوة الحي اقمن الحرب
اشك السنان وسط النحور   واعمد الى الهام ببيض القضب
وارعى لجاري حق الجوار   واردي عدوي عفير الترب
ترومون ظلمي بافعالكم   وشر المظالم عنا مع تعب
انا فارس الحرب يوم الكفاح   فريد الزمان صحيح النسب

وما زال القوم في اشد قتال * وحرب ونزال * حتى ولى النهار * واقبل الليل بالاعتكار * فعند ذلك قصرت بنو فزارة وعادت تتعثر باذيال الذل والخسارة * وكان حصن قد آيس من العروس غاية الآياس * ومن شدة ما جرى عليه كاد ان

يهلك من دون الناس فهم ان يخرج من تحت الاعلام . ويطلب
معركة الصدام * فمنعه من ذلك سنان . خوفا عليه من الهلاك
والقلعان * وقال لهُ اعلم ايها السيد المنصان * اني قبل مسيري
من الاوطان * ارسلت الى ابن عمي هاشم بن فينان * وطلبت
منهُ ان يتبعنا بالابطال والفرسان * واقول انهُ يدركنا عند
الصباح * بابطال الكفاح * ويعيننا على هولاء القوم الوقاح *
فالزم انت ناموس الملك واقم تحت الاعلام * ودعنا نبذل
المجهود في هولاء اللئام

قال نجد بن هشام . ولما انتهى سنان من هذا الكلام . قال لهُ
بعض الرجال . وكان يقال حامد بن بلال . من يقدر ان يثبت
الى الصباح . فوحق الكريم الفتاح . ان اقمنا الى النهار . ما
يبقى منا ديار . ولا نافخ نار . لان قدامنا فحلا لا كالفحول . ولا
يثبت بين يديهِ الا كل اسير ومقتول والصواب ان نطلب منه
الامان * ونعود الى الاوطان * ونترك لهُ العروس ونخلص من
نحسها * والا ذبحنا كلنا في وليمة عرسها * فلما سمع سنان
كلامهُ * وفهم قصده ومرامهُ * استشاط غضبا * واضطرم
فواده لهبا * وقال لهُ اذلك الله يا حامد * ولا اوقاك من
الشدايد * فوحق الاله الواحد * لا رجعنا عن هذا الامر حتى
نبلغ المقاصد * وانت ترى بعينيك وتشاهد * ثم انهُ بعد هذا
المقال * صاح في الرجال * وحثهم على الحرب والقتال * فقاتلوا

Digitized by Google

الكتاب السادس والخمسون

من سيرة عنتر بن شداد العبسي

حتى اغسق الظلام وبعد ذلك طلبوا الانهزام . وتفرقوا في البراري والاكام . وقد الهبهم عنتر بضرب الحسام . وطعن الرمح اللهدام . ونجى حصن على فرس ابيهِ الغبرا . وغاص في جوانب الصحرا . وطالب الاهل والديار . وفي قلبهِ لهيب النار . ورجع عنتر بالعز والاقبال . وبين يديه السبايا والاموال وهو ينشد ويقول

الاحي عبلى في الخليط المفارق   والمم بها ان جد بين الحرايق
وما خفت منها البين حتى رايتها   علا عيرها في الصبح اصوات سابق
تجنبن ضروبا وهن جوازع   على طية يعدلن رمل الصعافق
سنلقاك يوما والركاب ذواقن   بنعمان او يلقاك يوم التحالق
وتشفي فوادي نظرةً من لقايها   وقلت متاعا من لبانة عاشق
الا ان عبلى قد رمتني بسهمها   وكيف استباالقلب من لم يناطق
تراآت لنا بجيد آادم شادن   ومنسجر وحف اثيث المفارق
وتبسم عن ثغر الثنايا مفلج   كنور الاقاحي في دمان الشقايق
وما روضةٌ وسميةٌ وجبيةٌ   ولتها غيوث المدجنات البوارق
حمتها رماح الحرب حتى تهولت   بزاهر لون مثل وشي النمارق

Digitized by Google

باحسن من عبلٍ غداة لقيتها ... بمندفع الميثا من روض مادق
كان ثناياها اعطين مدامةً ... من الخمر سنا فوقها ما بارق
ولو سالت عنا عبيلة لخبرت ... اذا الحجرات زينت بالمغالق
بانّا نعين المستعين على الندى ... ونحفظ عهد المقدم المتضايقِ
وجارٍ غريبٍ حل فينا فلم نكن ... لهُ غير غيث ينبت البقل وادق
نكون لهُ من حولهِ وورايهِ ... ونؤمنهُ من طارقات البوايق
ومستلحم قد انفذتهُ رماحنا ... وكان يظن انهُ غير لاحق
هنانا فلم نمنن عليهِ طعامنا ... اذا ما نبا عنه قريب الاصادق
فظال يباري ظل راس مرجل ... وقد ازرا لجرجار زهر الحدايق
وعان كبيل قد فككنا قيوده ... وعلا نبيلا بين خدٍ وعاتق
ويا سلم ما ادراك رب فتية ... ذوي نيقة في صالحات الخلايق
اذا نزلت حمرًا لتجار تباشروا ... وراحوا بفتيان العشيّ المخارق
فامسوا يجرون الرقاق وبزها ... بشفع القلاص والعاض النوافق
وقد علمت ابنا يعرب اننا ... رعاة قواصيها وحاموا الحقايق
وانّا اولوا احكامها وذوو النهى ... وفرسان غارات الحروب الدوالق
وانّا المقري حين نحمد بالقرى ... بقايا شحوم الابيات المفارق
ونضرب راس الكبش في حومة الوغى ... ونحمدنا اشياعنا في المشارق
ومستهني ذي قرونين مدفع ... برنة بوارمن سنين عوارق
فزارة قد هيجتم ليث غابة ... يثير عجاج العارض المتلاحق
منعت الكرى ان لم اقدكم اذاة ... بطعن يسلي حره كل عاشق

Digitized by Google

فقولوا لحصن ان تعانى عداوتي   فيضحى قتيلا تحت ظل البيارق

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها الابطال والسادات . وباتوا تلك الليلة في تلك البطاح . وهم في غاية السرور والافراح . ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح جمع عنتر الفرسان والابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . واستشارهم في الرحيل من تلك الاطلال . وان يتحصنوا ببعض الجبال . فقال شيبوب اذا كنتم على هذه النية . فعليكم بجبال غزية . لانها شامخة علية . وهي من اجود المساكن . واخصب الاماكن ويكون جاركم دريد بن الصمة سيد بني جشم وهوازن ومتى علم يا اخي انك رحلت عن قومك وانت غضبان . ونزلت في ذلك المكان . ياتي اليك بالابطال والفرسان . ويسالك ان ترحل معهُ الى دياره . فيكون ذلك اعظم لجاهك اذا نزلت في جواره . فلما سمع عنتر من شيبوب ذلك الخطاب . راه غاية الصواب . ثم انهُ ازوج الغلام بنوار . وارسل بنو كنانة الى اوطانهم وتلك الديار . وقال لهم انتم في ذمامي واماني . ما دمت املك حسامي وسناني . وبعد ذلك ودعهم وسار . وجد في قطع القفار . وشيبوب على اثره بالحريم والعيال . وتتابعت من خلفهِ الفرسان والابطال . وقد قطعوا الامال . من ديارهم والاطلال ولما توطنوا الروابي . والتلال . تذكر عنتر ارض الشربة والعلم السعدي . وما جرى عليهِ من قومهِ من الجور والتعدي . فزاد

Digitized by Google

بهِ القلق . والغيظ والحنق وانشد وقال

لا تقتضِ الدين الا بالقنا الذبل ولا تحكم سوى الاسياف في القلل
ولا تجاور لياما ذل جارهم وخلهم في عراص الدار وارتحلِ
ولا تفر اذا ما خضت معركة فما يزيد فرار المرء في الاجلِ
يا عبل انت سواد القلب فاحتكمي في مهجتي واعدلي يا غاية الاملِ
سلي فزارة عن فعلي وقد نفرت في جحفل حافل كالعارض الهطلِ
تهز سمر القنا حقدا عليَّ وقد رات لهيب حسامي ساطع الشعلِ
قاتلت فرسانهم حتى مضوا فرقا والطعن في اثرهم امضى من الاجلِ
وكم جيوش لقد فرقتها فرقا بالضرب والطعن بين البيض والاسلِ
ماذا اريد بقوم يندرون دمي السمت اولاهم بالقول والعملِ
لا يشرب الخمر الا من له ذمم ولا يبيت له جار على وجلِ

قال نجد بن هشام . فلما فرغ عنتر من هذا الشعر والنظام . رقت الفرسان لارتجاله . وما ابداه من حسن مقاله . وقال له مفرّج الوحش لله درك يا ليث الميدان . على هذه الابيات الحسان التي تشجع الجبان . وتبهج الالباب والاذهان . ثم جدوا في قطع القفار . وعنتر يحرسهم في الليل والنهار . حتى خرجوا من احيا بني عدنان . ودخلوا في ارض بني قحطان . واشرفوا على بعض حلل العربان . فراوا نعما لا تحصى . وخيراتا لا تستقصى . والحي يضج بساكنيه . ويرتج بقاطنيه . وفي ذلك الحي قباب مضروبة وخيام منصوبة . وخيول مجنوبة ورماح شارعة . وسيوف لامعة .

Digitized by Google

فلما شاهد عنتر تلك المناظر . قال لاخيه شيبوب من يكونوا
هولا القوم من العشاير . قال يقال لهم بنو الجريش . وهم حلفا بني
عامر . اصحاب المآثر والمفاخر . ولهم حامية رفيع القدر عالي الذكر
قد اتصف بالفضل والفخر . يقال له معاوية بن شكر . وهم من
قوم كرام . ولهم حرمة وذمام . فقال عنتر يا ابا رياح . انزل بنا
في هذه البطاح . فامتثل الى ما امر . وفعل كما ذكر * وفي اقل
من لمح البصر ضربوا الخيام والقباب . في تلك الرحاب وسرحوا
المواشي والجمال . في تلك الاطلال فانكرت عبيد بني الجريش عبيد
بني عبس ورعاتهم * لما ابصروا صفاتهم . وقالوا في انفسهم يا ترى من انزل
هولا القوم في اطلالنا بدون اذن ساداتنا وابطالنا وتقدم اليهم بعض
الغلمان وكان يقال له سعيد بن صفوان . وقال حياكم الله يا وجوه العربان
من انتم ومن انزلكم في هذا المكان * فقال له بعض عبيد عنتر
لما سمع منه ذلك الكلام المنكر . نحن من بني عبس الاجواد *
الكاشفون الشدايد عن العباد والمقدم علينا فارس الطراد
وحية بطن الواد . القادح النار من غير زناد الامير عنتر بن
شداد التي تكف الامطار من فيض راحته . وتتشرف الاقطار
بحلول ساحته . وهذا ظعنه وامواله . وهذه فرسانه وابطاله . فلما
سمع العبيد بقدوم عنتر اليهم . ونزوله عليهم . اسرعوا الى ساداتهم
وابطالهم . واعلموهم بنزول بني عبس في اطلالهم . فنهضت المشايخ
والاعيان . واستقبلت بنو عبس وعدنان . واكرموهم غاية الاكرام

Digitized by Google

وقدموا لهم الطعام والمدام . وتحالفوا على حفظ العهود والذمام *
واقامت بنو عبس في ذلك المكان . برهة من الزمان

قال الراوي هذا ما كان من امر عنتر وانصاره . واما ما كان من امر الملك قيس واخباره . فانه لما بلغته الاخبار . بنزول عنتر في بني الجريش وتلك الديار . استشاط غضبا . واضطرم فؤاده لهبا . وندم على فراق عنتره وتاسف وتحسر . واما الربيع بن زياد . واخيه عمارة القواد . فانهما فرحا برحيل عنتر وآل قراد وقال عمارة للربيع اني قد سررت بابعاد ذلك العبد الغدار . عن هذه الاقطار . فهل يمكنك ان تطرده عن تلك الجوار . فقال اي نعم . وحق البيت المعظم . ولما انتهى من كلامه . وثب في الحال على اقدامه . وجاء بكيس من الحرير الاحمر واخرج منه نافجة من المسك الاذفر . ومايتين دينارًا من الذهب الاصفر وخمس طبلات من العنبر . ووضع الجميع في كيس رقيق . وختمها من بعد ما شدها الشد الوثيق وكتب كتابا الى نابغة بني ذبيان . يقول له اعلم ايها السيد المنصان . اني كثير الشوق اليك . وقد اتكلت في امر عرض لي عليك . وهو ان تقبل مني هذه الهدية . على سبيل المودة والمحبة الاخوية . واريد من افضالك ان تهجو لي عبلة بنت مالك . وتذكرها بالقبح والخنا . وتتهمها بالعشق والزنا . وتنظم عن لسانها بعض ابيات من الشعر . في مراسلة معاوية بن شكر . وانها تكره ابن عمها عنتر بن شداد .

وترغب في معاوية دون كل احد من العباد . وذلك لما فيه من الحسن والجمال . والبها والكمال . الذي لا يوجد في غيره من الرجال

قال نجد بن هشام . ولما انتهى الربيع من هذا الكلام . استدعى ببعض عبيده اللئام . وكان يثق به في جميع اموره . ولا يعتمد الا عليه في فرحه وسروره . وقال له خذ هذا الكيس والكتاب . واقصد نابغة بني ذبيان شاعر الاعراب وسلمها اليه . بعد ان تسلم لي عليه . فامتثل العبد امر مولاه . واخذ الكيس والكتاب وجد في قطع الفلاه حتى وصل الى ديار بني ذبيان فدخل على النابغة وهو في الصيوان . وسلمه الامانة ووقف مع جملة الغلمان ففتح النابغة الكتاب وقراه . ولما وقف على حقيقة معناه * وشاهد تحفه وعطاياه . ازداد سرورا . وفرحا وحبورا * وطيب قلب العبد وامره بالانصراف . وقال له اشكر لي مولاك وقل له اني رهين امره بلا خلاف * وبعد انصراف العبد من مجلسه * اختلا بنفسه * ونظم عن لسان عبلة كتابا من النثر وذيله بابيات من الشعر الى معاوية بن شكر * تستديم به عهده * وتوكد حبه ووده وتشكو اليه كثرة عشقها وغرامها وشدة وجدها وهيامها . وتكلم في حق ابي الفوارس عنتر بما لا ينبغي ذكره بين البشر . وهذه صورة الكتاب من عبلة العاشقة والحبيبة الصادقة الى معاوية بن شكر صاحب الحسن الفايق . والجمال الرايق *

Digitized by Google

والوجه الاقمر والجبين الازهر . هذا كتابي الى من حبه اذاب جسمي ومزق جلدي وعظمي . اعلم ايها الحبيب . والسيد الاديب * انني قد عيل صبري . وتحيرت في امري واقلقني الوجد والغرام وجفاني الصبر والمنام * حتى صرت عبرة لمن يراني . بعد ما كنت فريدة زماني . ووحيدة دهري واواني . اخناس القلوب وازيل الهموم والكروب فقد اصبحت اسيرة ودك وغرامك . ورهينة امرك واحكامك فالروح تفديك * والله تعالى يحفظك ويبقيك ومن كل سوء يوقيك . ثم بعد هذه السجعات * كتب عن لسانها هذه الابيات

معاوي ياذا الفضل والفخر والمجد و ياذا الندى واللطف والحلم والرشد
احن اليكم كل وقت وساعة واشتاقكم شوق العطاش الى الورد
وعندكم سمعي وقلبي وناظري وتذكاركم عندي الذ من الشهد
متى الملتقى ياغاية القلب والمنى الى الروضة الغناء ذي الخبا العد

وكتب ايضا عن لسانها هذه الابيات

الى متى وايادي الوجد تلعب بي فارحم متيمة بالشوق تلتهب
طورا بفكر وطورا اشتكي لهبا في مهجتي ان ذا يامنيتي عجب
يا لائمي خل لومي والشمس هربا من الهوى فدموع العين تنسكب
كم صحت وجدا من الهجران واحربا لم يغنني بذاك الويل والحرب
امرضتني بصدود لست احمله انت الطبيب فاسعفني بما يجب
ياعاذلي كف عن عذلي محاذرة كيلا يصيدك من هذا الهوى عطب

Digitized by Google

قال نجد بن هشام . ولما فرغ النابغة من هذا الكلام . سلم
الرقعة الى بعض الخدام . وامره ان يجد في قطع الوهاد . ويقصد
حي بني الجريش وتلك البلاد . ويلقيها با لقرب من مضارب
عنتر بن شداد . بحيث لا يراه احد من العباد . فامتثل الي ما
امره . وفعل كما ذكر . والقاها بقرب خيام عنتره واتفق من القضا
والقدر . الذي ليس للعبد منهُ مفر . ان رجلا من اهل تلك
الاطلال . التقي بتالك الرقعة تحت ارجل الابطال . فالتقطها
ولم يكن يعرف يقراها . فقصد عنترًا واعطاهُ اياها . وقال لهُ قد
وجدت هذه الرقعة بين الخيام . ولا اعلم ما فيها من الكلام .
فاخذها منهُ وقراها . ولما اطلع على فحواها . وراى ان عبلة تراسل
معاوية سيد بني الجريش . وانها تحبهُ ولا تكاد من شدة عشقها لهُ
ان تعيش * اخذته الحمية * والنخوة العربية * وثار ثورة الاسد
الغضنفر * واحمرت عيناهُ حتي صارت كالجمر الاحمر * وجرد
حسامهُ الضامي الابتر * وضرب الرجل الذي اتاه با لرقعة على
عاتقهِ * اخرج السيف يلمع من علايقهِ * فعند ذلك اضطربت
الفرسان * وتغيرت الالوان * وصرخ كل من كان حاضرًا من
بني الجريش في ذلك المكان * وبلغ الخبر الى فارسها المذكور .
وبطلها المشهور * معاوية بن شكر * صاحب الصيت والذكر .
فاستشاط غضبا * واضطرم فواده لهبا * ونهض في عاجل
الحال * كانهُ الاسد الريبال * واعتد بالة حربه وجلاده *

Digitized by Google

وركب ظهر جواده * وساق نحو عنتر * ليكشف حقيقة الخبر . وسيفهُ في يدهِ مشهر * ولما وصل اليه * وجد فرسان بني عبس حواليه * والكل بالدروع والمغافر * والسيوف البواتر * وعنتر امامهم كانهُ الاسد الكاسر * وهو يهدر كالبحر الزاخر * فزعق معاوية على عنتر بصوت عظيم . وقال لهُ ويلك يا اسود يا ذميم اين العهد الذي عاهدتمونا عليه * والاتفاق الذي اتفقنا كلنا عليه * فوحق ذمة العرب * وشهر رجب * لقد صدق الذي وصفكم بالغدر * واثارت الفتن واقامة الشر * فلم يجبهُ عنتر بجواب * ولا رد عليهِ بخطاب * بل اشار اليه يقول

ابشر معاوي بالاعدام عن عجل ولا مرد لما ياتي بهِ القدرُ
تروم عبلة يا نسل اللئام وقد نادى بك الناعيان الشيب والكبر
فكم همام شجاع رام ينظرها فابصر الموت من ذا السيف ينهدرُ
نحن الفوارس من عبس وسطوتنا كالاسد ليس لنا الا القنا ظفرُ
من كل اروع وضاح عمامته ابطال يوم الوغى والانجم الزهر
كانهم في جبين المجد اذ ركبوا مصممين الى اعدائهم غررُ

قال مجد بن هشام . ثم انهُ بعد هذا الكلام . هجم عليه هجمت الليث الضرغام : وضربهُ بالسيف على عاتقهِ فاطلع السيف يلمع من علايقهِ . فلما نظرت رجالهُ ما حل بهِ من سيف عنتر حملوا مثل موج البحر اذا زخر * فتلقاهم بقلب اصلب من الحجر . وسنان يسابق القضا والقدر . وحسام لا يبقي ولا يذر فعند

Digitized by Google

ذالك حاث الخيل على الخيل * وعقد عليهم الغبار مثل سواد الليل . هذا وقد قام الحرب على ساق وقدم . وجرى الدم وانسجم وثبت الشجاع واقتحم وولى الجبان وانهزم . وارتفع الصياح . وارتجت اقطار البطاح * وعظم الويل والبلا * واضحت الرجال قتلا . ولبست من الدما حللا . وصار السهل في اعينهم جبلا * وصالت الابطال والفرسان وانعقد الغبار الى العنان وكثر الخوف وقل الامان وقدحت سنابك الخيل حوافر النيران واحاط الموت من كل مكان هذا وعنتر يهدر كانه الاسد الكاسر . ويجول على الميامن والمياسر ويطعن فيهم طعنا يذهل البصاير . ويعمي النواظر * ولم يزال على تلك الحال * وهو يطعن في صدور الرجال * ويطرحها على وجه الرمال . حتى فرق اعداه في المجال * وشردها الى اليمين والشمال . وملكت بنو عبس اطلالهم * ونهبت اموالهم . وسبت حريمهم وعيالهم . ورجع عنتر مثل ثوب الارجوان مما سال عليه من دما الفرسان * وهو ينشد ويقول

حي الديار كانها لم تعمر   بين الكراع وبين برقة محجر
دار لعبلة اذ تحل بقربها   والدهر يجمع بين فرق الاشهر
يا عبل حبك سالب البابنا   وعقولنا فتعطفي لا تهجري
زرنا قبايل عامر ومشاجعا   وشققت كل تنوفة لم تعمر
ودهمت دار بني الجريش باسمر   وقتلت منهم كل قرم اكبر
تركوا اللبوس مع السلاح هزيمة   يتناوون عنه ولا يجدن لمنصر

ونشرت رايات الفخار عليهم   وقسمت سلبهم لكل مظفر
وطعنت شكرا طعنة فقتلته   بمهند ماضي الحديدة اخضر
تعسا ليومك اي يوم زرتنه   ولرب صبحك اي صبح اغبر
حاشى لعبلة ان تخون حليلها   ابدا على صرف الزمان الاغبر
اني امرؤ من خير عبس منصبا   حزت السيادة اكبرا عن اكبر
اني لاصبر عند كل عظيمة   واذا ظلمت مجاهرا لم اصبر
ولقد صدقت بما اقول وانني   عند اللقا كفوًا لكل غضنفر
واذا رايت القوم اقبل جمعهم   يبغو السلام ذبحت ابكم اعقر
واذا وهبت فكنت اكرم واهب   واذا نطقت فكنت اصدق مخبر
واذا تنكرت الاحبة فالرضي   مني الجزا ولست بالمتنكر
والسعد ينشر فوق راسي راية   تبقى مع العليا بقاء الادهر

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات * طربت لها الابطال والسادات * وتعجبت من تلك المعاني والاشارات * واخذتهم الافراح والمسرات ثم انهم جمعوا الغنيمة فكان لها قدر وقيمة * وكانت بنو الجريش بعد هزيمتها من امام عنتر تجمعت من جوانب البر الاقفر وقصدت عامر بن الطفيل * تحت ظلام الليل * ودخلوا عليه * وتمثلوا بين يديه * وحدثوه بواقعة حالهم * فاوعدهم برد اموالهم * وعند الصباح كتب لهم كتابا الى عنتر فارس البدو والحضر يمدحه ويثني عليه ويصف شدة شوقه اليه. وساله في رد اموالهم. ونوقهم وجمالهم. فاخذوه اليه وساروا

ولو كان لهم اجنحة لطاروا ولما تمثلوا بحضرة الجناب * اوقفوه على ذالك الخطاب * فامتثل واجاب * ورد عليهم الاموال والاسلاب * واعطاهم الذمام * واقام عندهم ثلاثة ايام * وفي اليوم الرابع امر اصحابه بالرحيل . والجد في سرعة التحويل . فرحلوا من ذالك المكان . بالعيال والنسوان . طالبين جبل غزية . وقد بنى لهم عنتر بالسيف منازلا علية * ولما تمادى بهم السير والترحال * تذكر عنتر الاوطان والاطلال . فجاش الشعر في خاطره فانشد وقال

لا اصرمت من عبل الذماما	ولم تجد لما يبغي قواما
وفاجاني فراق الحي لما	اشط نواهم الا لماما
باحسن من عبيل اذ تراءت	اذا ما ريع من سدف فقاما
لها سحق ومنها دانيات	جوانح يزدحمن بها ازدحاما
فاما تعرضي يا عبل عني	واصبح لا اكلمكم كلاما
فرب نجيبة اعملت حتى	تقوم اذا لويت لها الذماما
وحتى تتبع الغربان منها	ندوب الرحل لا تعدي سناما
فتوردني لربع او لخمس	مياة القيظ طامية جماما
قليلا من عليها غير اني	اثور من مدارجها الحماما
ذعرت الذئب يحفر كل حوض	ويقضم من معاطنها العظاما
ويوم قد شهدت به صحابي	يبغي القوم غنما واقتساما
تخال ركابهم في كل فج	اذا قامت محطمة نعاما

Digitized by Google

اقاموا للكتايب كل يوم سيوف المشرفية والسهاما

قال الراوي وما زالوا يقطعون البراري الواسعة . والمفاوز المقفرة الشاسعة * حتى اشرفوا على جبال يقظان * وهي ارض كثيرة الرمال والكثبان . فبينما هم قد عولوا على النزول في تلك المنازل والطلول * اذا هم بخيول تنطرد * وصياح منعقد * وفرسان متكافحة * واسنة رماح متخالفه . ولمعان سيوف مثل البروق الخاطفة * وضجيج فرسان . وزعقات شجعان * وامور تدل على حرب عوان . فلما شاهد عنتر تلك الحال . اعتراه الانذهال . ووقف في مكانه . مع ابطاله وفرسانه . ومن يلوذ به من اهله وخلانه . والتفت على اخيه شيبوب * وقال له اذهب يافارج الكروب . واكشف لنا خبر هذه الحروب * والنصر الغالب من المغلوب * فامتثل امره وسار . وغاص في جوانب القفار * ولم تكن الا ساعة من النهار حتى رجع على الاثر . واعلمه بحقيقة الخبر . وقال له اعلم يافارس ربيعة ومضر * ان هذا صديقك دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة * وقد احاطت به بنو الحارث من اليمين والشمال وهو في نفر قليل من الرجال . وقد ضاق عليه المجال . واشرف على الهلاك والوبال وان لم تدركوه . والا اهلكوه

قال محمد بن هشام . فلما سمع عنتر . منه ذلك الكلام . تلهب للحرب واستعد للطعن والضرب . وطلب معركة الطعان *

Digitized by Google

وقد تعجب من انفراد دريد في ذلك المكان . وتبعهُ جماعة من الفرسان * وتخلف الباقون لحفظ المال والنسوان . ولما اقترب من الخيل . وراى دريدًا في حالة العدم والويل . وهو يكابد الاهوال ويصادم الابطال . عدل اليه . وفرق الفرسان من حواليه * وصار يطعن في صدور الرجال ويتكس ابطال المجال ويددهم على الرمال . وشيبوب يحمي ظهره بالنبال . ولم تكن الا ساعة من النهار . حتى استظهر عليهم غاية الاستظهار . وشتتهم في البراري والقفار . وقد اهلك منهم جمعا كثيرًا . وعددًا غفيرًا . ولما خمدت نيران الحرب وبطل الطعن والضرب . دنا عنتر من دريد وسلم عليه . فترجل لهُ دريد وقبل عارضيه ولم يعلم كيف وصل اليه غير انهُ راى العيال والاموال سايرة بين يديه . فقال لهُ يا ابا الفوارس ويا زين المجالس كانك غضبت على بني عبس وعدنان ورحلت عنهم وانت حردان . قال اي نعم وحق البيت المعظم . فقال والى اين انت قاصد . في هذه البراري والفدافد . قال الى ديار بني مازن وتلك المنازل والاماكن . فقال وحق الاله الجبار * الذي فرق بين الليل والنهار * ما تنزل الا في جواري . حتى تتشرف بقدومك دياري فمن يكون الفخر مني في جميع عربان البراري اذا اصبح مثلك رفيقي وجاري . فقال عنتر لا والله يا ابا النظار . اني لا اجيبك الى هذا السوال خوفا من القيل والقال . لاني اعلم انهُ يتعب فوادك اذا زلت

في بلادك فقال دريد وحق البيت الحرام وزمزم والمقام ما ادعك ترحل الى غير ديارنا ولا امكنك ان تنزل في غير جوارنا حتى تشرفنا اهالينا بابنة عمك عبلة . وناخذ حظنا منك بالجملة . وان لم تطاوعني على ذلك . نزلت عن جوادي يافارس المعارك . واخذت بزمام ناقة عبلة بنت مالك . واني لا اقبل عذرك . ولا اخضع في هذا المعنا الى امرك * واعلم بان صهري ذو الخمار . ليس هو في الديار . وقد رحل الى قومه من مدة ايام . فدع عنك هذا الكلام . يا ابن الكرام . واجبني الى هذا المرام . فلما سمع عنتر كلامه . وفهم قصده ومرامه . اجابه الى ما طلب . خوفا من الملام والعتب . ثم انهم جمعوا الاموال والاسلاب . وباتوا في تلك الهضاب . وهم في احسن حال . وانعم بال . ودريد يحدث عنتر بما جرى لهُ مع القوم . في ذلك اليوم

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . ان دريد بن الصمة كان قد ربى غلاما في تلك الايام . يقال لهُ دثار بن روق بن الصمصام . واهتم بهِ غاية الاهتمام . فخرج نارًا محرقة . وصاعقة مبرقة . ولما بلغ مبلغ الرجال صار يشن الغارات ويلاقي السادات والابطال . ويقهرها في ساحة المجال . فشاع ذكره في ساير البلاد . وهابتهُ العظما والقواد . وكان يحب الخيل الحسان وينفلها على الاصدقا والخلان . فبلغهُ في بعض الايام . من بعض الانام . انهُ يوجد في بني الريان . جوادا لسيدهم حماد بن

Digitized by Google

حسان . لا نظير له في خيل جميع العربان . حتى ولا عند كسرى انوشروان . فلما بلغه ذلك الخبر . تلهف قلبه على ذلك الجواد وتحسر . وقصد تلك الاوطان . وسرق ذلك الحصان . ولما رجع الى الاطلال . ساله بعض الرجال . عن قصة ذلك الجواد فقال له دعني من هذا الايراد . فقد ذاب مني الفواد . وتركته في تلك البلاد . قال وكيف ذلك . يا فارس المعارك . فقال لما اقتربت من تلك البيد . صبغت حالي حتى صرت مثل بعض العبيد . وغيرت سيقاني وجرحت صدري . ومزقت ثيابي ونفشت شعري . وقلبت جفوني . الى فوق عيوني * وقصدت الخيام والمضارب * وانا مثل الغول الهارب . وكان وصولي الى الحي في اول الليل . فصرت اراقب الجواد فلم اراه . بين الخيل وما زلت ادور من مكان الى مكان . حتى وصلت الى مضرب حماد بن حسان . واذا بابنة قد خرجت من باب الصيوان * وهي تتمايل كالغصن المايل . فلما راتني ظنت انني سايل . فقالت اهلا بك ومرحبا * وبعد ان رات صورتي هربت الى داخل الخبا . وهي تقول يا للبشر . اعوذ برب البيت والحجر . من هذا المنظر . الذي لم ارى اوحش منه ولا اذعر * فلما سمعت امها ذلك الحديث والايراد . خفق منها الفواد * وقالت لها ما بالك يا سعاد . فقالت من هذا الانسان . الذي كانه [illegible] وكانت الصبية تحدث امها بهذا المقال . وانا قد حرت من فرط حسنها

والجبال * وغرقت في بحر الوجد والبلبال * ثم اني تركت ذلك المكان وقلبي يتوقد بالنيران . وصبرت ساعة من الزمان . حتى نام كل يقظان وبعد ذلك سرقت الجواد * وبلغت غاية المراد * واتيت به الى الديار . وفي قلبي من حب الصبية لهيب النار . ومن كثرة عشقي والغرام لم اذق طعم المنام * ومالي داب * غير البكا والانتحاب . وانشاد الاشعار * بالليل والنهار . ومرادي ان ابادر الى خطبتها . واسرع الى طلبتها . واعطي اباها كلما طلب * من الفضة والذهب . والا ذاب جسدي * وقتلت نفسي بيدي ثم افاض العبرات . وانشد هذه الابيات

ابعد سعاد لذاتي تطيب   وتلك الخود مسكنها القلوب
دم العشاق اهون ما عليها   وفيها مهجة المضنى تذوب
اغار عليها من نظري وفكري   فمن بعضي على بعضي رقيب
واجفان لها ترمي سهاما   فواتك في القلوب لنا تصيب
فهل لي ان اراها قبل موتي   اذا ما كان في الدنيا نصيب
واكتم حبها فينم دمعي   بما عندي ويعلمه الرقيب
قريب وصلها مني بعيد   بعيد ذكرها مني قريب

وقال ايضا

عدمت فوادي في الهوى ان سلاها   فان فوادي لا يحب سواها
وان نظرت عيني الى غير حسنها   فلا سرها بعد البعاد لقاها
حلفت يمينا لست اسلو جمالها   وقلبي حزين مغرم بهواها

Digitized by Google

سقاني الهوى كاسا من الحب صافيا فيا ليته لما سقاني سقاها
خذوا رمقي حيث استقرت بكم نوى وأين حللتم فادفنوني حذاها
وان تذكروا اسمي عند قبري يجيبكم انين عظامي عند رفع نداها
فلو قيل لي ماذا على الله تشتهي لقلت رضا الرحمن ثم رضاها

قال محمد بن هشام . فلما سمع اصحابه منه هذا الكلام . تعجبوا غاية العجب وقالوا له يا صاحب العقل والادب . لقد كملت خصالك . وبانت لنا افضالك . ومن الصواب . والامر الذي لا يعاب . أن تستشير في هذه القصة من رباك . ولا تلقي نفسك في الهلاك . فهو يخطبها لك من ابيها . ويبلغ نفسك امانيها . فلما سمع كلامهم زاد بكاه . وهاجت نيران جواه . ودخل على دريد من ساعته . واعلمه بقصته . فتبسم دريد من كلامه . واوعده ببلوغ مرامه . وارسل من وقته رجلا من الاعيان . الى جواد بن حسان . يخطب له سعاد الى دثار . ويصف له ما هو فيه من الحسن والوقار . وشدة الباس والاقتدار . ويضمن له رد الجواد . اذا انعم بابنته سعاد . ويعطيه من المهر مهما اراد فلما وصل الرسول الى تلك الاطلال . وحدث ابو الصبية بذلك المقال . فرح واستبشر . وزال عنه القلق والضجر . واجابه الى ذلك الشان . لانه كان حزين القلب على فقد الحصان . ودخل على زوجته وحدثها بخبر الزواج . وبرد جواده اليه من غير احتجاج

Digitized by Google

قال الراوي فلما انتهى من هذا الخطاب . حتى ضجت الصبية
من خلف الحجاب . واخذت في البكا والانتحاب . ومزقت ما
عليها من الثياب . وقالت يا ابتاه كانني عندك مستعارة . حتى
تزوجني ببعض العفار مع الطيارة . فوحق البيت الحرام . وزمزم
والمقام . اني من ليلة رايته بين المضارب والخيام . طار من راسي
المنام . واعترتني المخاوف والاوهام . فلما سمع خطابها . وراى
حزنها واكتيابها . قال لها قد بلغني من رسول دريد بن الصمة
صاحب العزيمة والهمة . انه من اجمل اهل زمانه . واوحد
عصره واوانه . لا يوجد له من نظير . بين الفرسان المغاوير .
واراك الان تذميه . فكانك لا تعرفيه . فقالت وحق البيت
المعظم . لقد كذب الرسول فيما تكلم . وقد رايت له وجها اشنع
من وجه الغول . وسمعت له كلاما يذهل العقول . وان
اغصبتموني على ارادتي . قتلت نفسي من وقتي وساعتي . او اني
اهج في جوانب القفار * لاني لا اقدر على معاشرة العار * ثم ان
اباها ارسل الى دريد يقول . صحبة ذلك الرسول . قد اجبتك
الى ما تريد * ايها السيد السعيد * والفارس الصنديد * غير
انه لا يخفاك * حفظك الله وابقاك * ان الجارية وقع في قلبها
من وحشة دثار * خوفا لا يزول على مدى الادهار * واريد
من فضلك * وحلمك وعدلك * ان تنفذ الينا الغلام * مع
جماعة من الرجال الكرام * اصحاب الفضل والاحترام * حتى

Digitized by Google

نشاهده ونراه * ونتامل في روياه * فان كان كما ذكرت امتثلنا
الى ما امرت * والا فعذرنا واضح بين الانام * يا زينة الليالي
والايام

قال الراوي ولما وقف دريد على هذه الرسالة * وبلغهُ هذه
المقالة صعب عليه * وكبر لديه * وقامت في ام راسه مقل عينيه
واستدعى بدثار اليه * وقص ذلك الحديث عليه * فلما سمع
منهُ ذلك الكلام * ابدى الضحك والابتسام * وحدثهُ بالقصة
من اولها الى اخرها * واوقفهُ على باطنها وظاهرها * فقال دريد
وحق ذمة العرب . وشهر رجب * ان الصبية في ذلك معذورة
لانها راتك في اقبح صورة . وما دام الامر كذلك خذ اهبتك
للمسير . وانا اسير معك في جماعة من الابطال المغاوير . ففرح
دثار واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر . وقوي قلبهُ . وانفرج عنهُ
همهُ وكربهُ

قال جهينة اليماني . وفي اليوم الثاني . ركب دريد في جماعة
من الانفار . من كل بطل مغوار . وليث كرار . والى جانبه الامير
دثار . وجدوا في قطع البراري والقفار . ولما تنصف النهار . اذا
هم باسد اغبر . قد ظهر عليهم من صدر البر الاقفر . فلما
شمت رايحته الخيل نفرت . وعادت الى وراها وتقهقرت . واراد
دريد ان يحمل عليه . فسبقهُ دثار وترجل اليه . وجرد سيفهُ
وضربهُ بين عينيه . خرج السيف من بين فخذيه . فقطعهُ نصفين

Digitized by Google

ووقع على الارض قطعتين . ثم انه عاد الى ظهر الجواد كانه طود
من الاطواد . فعظم في عيني دريد من تلك الساعة . وعلم انه
قد بلغ منزلة الفروسية والشجاعة . وبعد ذلك ساروا على عجل
واذا هم بمايتين بطل . وبين ايديهم غنيمة عظيمة . لها قدر وقيمة
فلما ابصر دريد الرجال التفت على دثار وقال . اريد منك ايها
السيد المفضال * ان تامرني بالهجوم على هولا الانذال * حتى
اخذ منهم النوق والجمال * واجعلها غنيمتي . واستعين بها على
وليمتي * فقال دريد هولاء من بني الحارث * وما فيهم الا كل
خاين وناكث * وبيننا وبينهم ادمية قديمة * وامور غير مستقيمة
ثم صاح فيهم وحمل * وتلقاهم بقلب اقوى من الجبل * وفعل
دثار مثلما فعل * وتبعتهما الفرسان الذين معهما مثل الغيث اذا
هطل * وفي اقل من ساعة * قتلوا منهم جماعة * وهرب
الباقون * خوفا من شرب كاس المنون * وعاد دريد باموال
القوم * وفرح بما شاهد من دثار في ذلك اليوم * ثم انهم جدوا
السير * وسابقوا بمسيرهم الطير * ولما اقتربوا من تلك الاطلال
خلعوا عنهم ثياب الحرب والقتال * ولبسوا ثياب الحسن
والجمال * ولبس دثار حلة مطرزة بالذهب * لا يلبسها الا
الاكابر اهل الرتب * او ملك من ملوك العرب * وتقلد بسيف
محلى مشطب * وكان بديع الجمال معتدل القوام * كانه بدر
التمام * فاشرق وجهه من تحت اللثام * وبلغ حماد بن حسان

Digitized by Google

قدومهم الى الاوطان * ففرح بذلك الشان . وخرج الى ملتقاهم في جماعة من الفرسان . ولما التقوا ترجلوا الى الارض . وسلموا على بعضهم البعض . وكان دثار الى جانب دريد وعليه ذلك الملبوس الذي ذكرناه . والبرقد اشرق من نور وجهه وضياه . فاستحسنتهُ النسا والشجعان . ولم يبق لهم فرجة الا عليه دون الفرسان . وكانت سعاد بجانب ابيها وهي في زي الرجال . وهي تنظر الى الابطال . فلم ترى احسن من دثار . في حسن الهيبة والوقار . فاشتعل قلبها بلهيب النار . وخفق فوادها وطار . وقالت لابيها ان كان هذا بعلي فاهلا بهِ وسهلا . وان كان غيره فانا لا اريد لي بعلا . فتقدم ابيها في الحال . الى دريد وقال ايها السيد المفضال . اين دثار من هولا الفرسان * فان شئت امره ان يظهر للعيان . حتى يتضح البرهان . لان النسا قليلات العقول . ونظرهن بخلاف نظر الرجال الفحول .

قال نجد بن هشام * فما انتهى حماد من هذا الكلام * حتى خرج دثار من بين الرجال * كانهُ الغزال . اذا نفر من بين التلال ووقف في مقام العرض * واطرق راسهُ الى الارض ونادى ايها السيد الفاضل * والماجد الكامل . ها انا عبدك الخاطب * وفي كريمتك راغب . فان رضيتني لها بعلا . وهي لي اهلا . كنت عبدا الى هذا البيت . وان ابعدتني رجعت من حيث اتيت * فقال حسان . اعلم يا ابن تروق * اننا لا نقدر على احتمال الصبابة

Digitized by Google

والشوق . ولا نريد احد سواك . ولا نقبل الا اياك . فقدم لهُ دثار
تلك الغنايم . برسم الافراح والولايم * وقال لهُ اطلب من المهر
ما شيت . فانا ابلغك ما هويت

قال نجد بن هشام . ثم ان حمادًا بعد ذلك الكلام . انزلهم في
المضارب والخيام . وذبح لهم النوق والاغنام . وقدم لهم الطعـام
والمدام . واكرمهم غاية الاكرام * . واقام الفرح سبعة ايام . وبعد
ذلك زفت الصبية على دثار * وزالت الهموم والاكدار . واقام
دريد في تلك الاطلال . تسعة ايام مع الليال . وفي اليوم العاشر
رحل دريد بمن معه من الانفار . طالب الاهل والديار

قال نجد بن هشام . ولم يزالوا سايرين ثلاثة ايام . وهم
يقطعون البراري والكثبان . الى ان وصلوا الى رمال ينظان *
فالتقاهم من بني الحارث ثلاثة الاف بطل . كانوا قد اكمنوا
لهم في لحف ذلك الجبل . فلما راوهم صاحوا فيهم وزعقوا وحملوا
عليهم وانطبقوا * وهم ينادون الثار الثار . البدار البدار

قال الراوي وكان هولا الفرسان * بانتظار دريد في ذلك
المكان . لياخذوا منهُ بثار من قتل لهم من الشجعان . لاننا قد
ذكرنا قبل الان . بان دريدا عند مسيرهِ الى تلك الاطلال *
التقى بجماعة من الابطال . فقتل منهم مقتلة عظيمة . واخذ منهم
تلك الغنيمة . وكان الذين سلموا منهم قصدوا الديار . وحدثوا
قومهم بما جرى عليهم من دريد ودثار * فلما سمع مقدمهم ذلك

Digitized by Google

الخبر . استشاط غضبا وتكدر * وسار في ثلاثة . الاف نفر وأكمن لدريد في ذلك البر الاقفر . فالتقاهم دريد بمن معهُ من الرجال . واشتد بينهم الحرب والقتال . وكثر على دريد العدد وزاد عليهِ المدد . حتى اشرف على الهلاك * ووقع في سوء الارتباك ولم يبقَ لهُ مناص ولا فكاك * وفي تلك الساعة وصل الامير عنتر . وفرق عنهُ تلك الزمر . كما تقدم الخبر

قال نجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام * وبات القوم في تلك البطاح . في سرورٍ وانشراح . ولما اصبح الصباح * واشرق بنوره ولاح . رحل دريد بعنتر ومن معهُ من الرجال * الى المنازل والاطلال . وانزلهم في المضارب والخيام . ونحر لهم النوق والاغنام . وقدم لهم الطعام والمدام . واكرمهم غاية الاكرام . وغمرهم بجزيل الجود والانعام . وفرح دريد بعنتر الفرح الشديد الذي ما عليهِ من مزيد . واظهر من السرور والابتهاج * ما استغرق بهِ نفوس الناس

قال الراوي وكان لدريد ميدان . تقصده الابطال والشجعان لاجل الادمان . على الضرب والطعان * وكان دريد يركب في كل يوم الى ذلك المكان . وياخذ في صحبته عنترة الفرسان . ومن يلوز بهِ من الاصدقا والخلان . ويصرفون النهار في شرب العقار * ومناشدة الاشعار * وذكر الوقايع والاخبار . والفرجة على طعن الرمح وضرب السيف البتار ويرجعون عند المسا . الى الاحيا

قال نجد بن هشام . واتفق في بعض الايام . بينما هم في ذلك

Digitized by Google

المكان . ياكلون الطعام * ويشربون خمر الدنان . واذا بغلام اسود قد برز الى الميدان . وهو راكب على حصان . يسبق البرق في اللمعان * وكان صافي السواد عريض الاكتاف * شديد الباع والاعطاف . معتدل القوام فصيح الكلام * وعليه حلة من الديباج المدنر * وعلى راسهِ عمامة مطرزة بالذهب الاحمر * ولما صار في وسط الميدان * ومحل الطعن والجولان . اظهر شطارته دون كل انسان . وعلم على الابطال والفرسان * ولم ياخذ شيا من اصحاب الرهان . بل انهُ التفت على من حولهِ من الرجال وصناديد الابطال . وقال لهم ايها الفرسان المشاهير . والابطال المغاوير . انهُ لا يجوز لي ان اسلبكم رماحكم العوالي . لاني انا العبد وانتم الموالي . واني ما فعلت هذه الفعال . لاجل الافتخار في ساحة المجال . وانما فعلت ذلك على سبيل اللعب والادمان * ليس على نية المكسب والرهان * ثم انهُ بعد ذلك المقال * قصد طايفة اخرى من الرجال وكانوا قد اطلقوا الاعنة * وقلعوا من رماحهم الاسنة * وهم يبارزون بعضهم البعض * في تلك الارض * ولما اقترب اليهم هجم عليهم . وجال معهم في الميدان . ساعة من الزمان فلم يترك بطلا الا وعلم عليه * ولا فارسا الا واوصل سنان رمحه اليه حتى قرت لهُ جميع الابطال بالغلبة * وشهدت لهُ بعلو المنزلة والمرتبة

ثم انهُ تقدم الى نحو عنتر بن شداد . وسلم عليه بحسن عقل ورشاد

Digitized by Google

وقال له لا تواخذني يا ابا الابطال . وزينة الايام والليال . على هذه الفعال . فقد اسات الادب بين يديك . وتعديت عليك لانك سيد الفرسان . وحاوي قصب الرهان . وفريد العصر والاوان . وانسان عين هذا الزمان . فالسيوف البتر لكنفك طبعت . ولو ضرب بها غيرك ما قطعت . والفصاحة من غير الفاظك ما سمعت . فباذا اصفك وقد شاع ذكرك وانتشر . وبدا فضلك كالصبح اذا اشتهر . وبماذا احليك وعنك تقصر الحلى . وبك يتزين الدهر ويتحلى . فمن يقدران يسل بين يديك الحسام . واي بطل يثبت امامك في مجال الصدام . ومن يقدران يخالفك في كلام . فلقد شرفت ديارنا . وانرت باشراقك اقطارنا . ورفعت روسنا وقدرنا . وانتشر بين القبايل ذكرنا فلا زلت مخدوما بايدي الاقدار . معصوما من عوادي الليل والنهار . بعناية الملك الجبار . واريد من احسانك . وجميل فضلك وامتنانك . ان تنقل اقدامك مع عبدك الى خيامه . وتجبر قلبه باكل زاده وطعامه لان اخلاقك الحسنة تعلم الناس مكارم الاخلاق . وذلك بسماع صفاتك الشايعة في الافاق . وهي التي تجسرني ان اطلب منك ما ليس لي باستحقاق . ثم انه بعد ذلك الخطاب . تقدم الى نحو عنتر حتى يقبل اقدامه في الركاب . فمنعه عنتر عن مراده . وترجل له عن ظهر جواده . وقد سلب قلبه بعذوبة الفاظه وحسن وداده . وتقدم اليه . واعتنقه وقبله

Digitized by Google

بين عينيه . وشكره واثنى عليه . وقال لهُ ياوجه العرب . ونخبة الادب . ما انت الا السيد والمولى وكلما ذكرتهُ من جميل الصفات انت بهِ احق واولى . لانك عين هذا الزمان . وفريد العصر والاوان . وقد علمتنا حقيقة الضرب والطعان . ومدحتنا بين السادات والفرسان . وانت احقُّ بالمديح والشكران . واما من جهة اكرامك لنا فما نهمله . بل اننا نبادر اليه ونتشله . ثم انهُ رده الى ظهر مهره . بعد ما اطنب في مدحهِ وشكره . ثم عاد الى ظهر الجواد . وهو مسلوب الفواد . واستشار دريد في المسير . الى دعوة ذلك الفارس النحرير . فقال الامر لك يا ابا الفوارس . لان مثلك من يزين المجالس . ثم التفت على الغلام . وقد ابدى الابتسام . وقال لهُ سر ياخفاف ودبر امرك . فها نحن سايرون على اثرك * فقبل الغلام يد دريد وعنتر بن شداد * وساروهو مسرور الفواد * وبعد ذلك سار دريد وعنتر في نفر قليل * وردوا باقي الفرسان خوفا من التثقيل . هذا وعنتر يسال دريد عن ذلك الغلام الذي دعاه . لانه كان قد اعجبهُ ادبه وشعياه * فقال ان هذا الغلام لنا من جملة الاحباب . وهو من بني عمنا الانجاب واسمهُ خفاف بن ندبه . جميل الخلق لطيف الصحبة * وقد خرج فارسا شجاعا * وقرما مناعا والحق نفسهُ بالنسب وصار يعد من شجعان العرب . فلما سمع عنتر من دريد هذا الكلام تعلق قلبه في حب ذلك الغلام . وقال والله ان صفته مثل صفتي

Digitized by Google

وقصته مثل قصتي * فتبسم دريد من كلام عنتر . وقال وحق الركن والحجر * والبيت العتيق المطهر * انت ليس لك شبيه بين البشر * فمن ذا يضاهيك . او يفتخر عليك و يباهيك اتقيس الثريا بالثرى . او النهر بالبحر ولو جرى * فما انت الا فارس البيدآء وشاعر الشعرآء * وحبة العين السودآء ثم انهُ بعد ذلك المقال انشد وقال

لله درك من كريم ماجد حزت السيادة اكبرًا عن اكبر
ليث الحروب ونخبة الفرسان في يوم الهياج وعمدتي في العسكر
شرفت ارض بلادنا بزيارةٍ فتنورت اقطارها كالجوهر
من لم يرد علياك لم يرد العلى من لم يلذ بجنابكم لم ينصر
لا زلت تبقى للخلايق مقصدًا ابدا على طول المدى والاعصر

فشكره عنتر على هذا الكلام وبعد ذلك ساروا طالبين الخيام

قال نجد بن هشام وكان حديث ذلك الغلام مثل حديث عنتر الا ان عنترًا كان اسعد واجبر لانهُ كان ابن امة . وقد الحق نفسه بالنسب ونال كل فضيلة ومكرمة . وكان بينهُ و بين العباس بن مرداس . اهاج مقذعة . واقوال مستبشعة . وكان العباس يبغضه ويتوقع لهُ الضرر ويشتمه ان غاب او حضر . ويتمنى لهُ الموت الاحمر . كما كان الربيع بن زياد . يفعل في حق ابي الفوارس عنتر وكان كلما شتمه وهجاهُ * يصبر خناف على جورهُ وبلاه * وكان العباس * من اكابر الناس . صاحب شجاعة و باس * وهو

Digitized by Google

فارس عظيم وحامية بني سليم وكانت العرب تهابه وتحسب حسابه
الا خفاف فانه كان لا يخاف منه * ولا يسال عنه الى ان كان في
ذلك اليوم الذي برز الى الميدان . وعلا على الابطال والفرسان
وجرى منه ما جرى وكان

قال مجد بن هشام . ولما وصل عنتر ودريد الى ابيات ذلك
الغلام . تلقاهم بالترحيب والاكرام . وقدم لهم الطعام والمدام .
ووقف في خدمتهم على الاقدام . ولما عملت الكووس في
الرووس . وطابت منهم النفوس . قام عنتر على قدميه واعتنق
خفاف وقبله بين عينيه . وحلف عليه . واجلسه الى جانبه . بين
اهله واقاربه . وجرى بينهما من الثنا والمدح . ما يقصر عن بعضه
الشرح . ولم يزال القوم في ابتهاج وارتياح . وشرب راح . الى
ان اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح . فعند ذلك طلبوا العودة
والرواح . فقدم لهم خفاف الخيول الملاح . وما يملك من السيوف
والرماح . والة الحرب والكفاح . وسالهم في قبولها وان يعذروه .
فابوا من ذلك وشكروه . وقد صار له في قلوبهم محبة عظيمة :
ورتبة جسيمة . لاجل شجاعته وفعاله . وادبه ورقة مقاله . ثم
انهم ساروا طالبين الخيام . وهم فراحا بما نالهم من الاكرام . ولما
وصل دريد الى ابياته . وجد صهره ذو الخمار عند حماته . وكان
قد اتى من عند قومه بني حمير . طالبا براز الامير عنتر . لاننا قد
ذكرنا قبل هذا الكلام . ما جرى له معه من الحروب والصدام .

وكيف اسره عنتر وابلاه بالهموم وكيف انه لما عول على برازه في ثاني
الايام اصبح وهو محموم . ورجع ذو الخمار بالخيبة الى الديار . وفي قلبه
من عنتر لهيب النار . الى ان سمع به في هذه الايام . انه في ارض بني
هوازن الكرام فقصد اليه . حتى يطرح شره عليه . فلما راه دريد سالهُ
عن حاله وسبب قدومه الى اطلاله . فقال انت تعلم يا ابا النظران
شرفي قد لوي وانكسر . وانحطت منزلتي عند سادات البدو
والحضر . من حينما اسرني ذلك العبد الاقشر . المدعو بعنتر .
وقد بلغني الان . انه في هذه الاوطان . فاتيت لابارزه امام الابطال
والفرسان . لانك كما تعلم . ايها السيد المعظم . انهُ ما اسرني الا
ولنا تعبان . بعد ما كسرت قومه بني عبس وعدنان . وهم في
اربعة الاف عنان . وانزلت بهم العطب . وفرقتهم في كل قطر
وسبب . وكان جوادي قد مل . وضعف عزمهُ وانحل . فوقع
من تحتي عند لقاه * وبلغ مني بسعادته غاية مناه * وكنت قد
عولت في هذه الايام * ان اعلق لي قصيدة على البيت الحرام .
وانال بها الفخر والمقام * عند سادات العرب الكرام * فانكسرت
عزيمتي عن ذلك السبب * وخفت ان لا تطاوعني على ذلك
سادات العرب * ويقولون لي كيف نسجد لشعرك يا ذو الخمار
وقد اسرك عبد بني عبس الجبار * فقصدتهُ الى هذه الديار *
حتى ابارزهُ امام الكبار والصغار * واجعل ذلك على سبيل
الاختبار * فان رايته قد قهرني امام الحضار * اعترفت بفضله

Digitized by Google

واشهدت عليّ السادة الاخيار * وان انا قهرته * واستظهرت عليه واسرته * عظم شاني * وارتفع قدري ومكاني * ورجعت منزلتي عند العرب كما كانت * وصحت اموري وهانت

قال نجد بن هشام * فلما سمع دريد منه هذا الكلام . استشاط غضبا واضطرم فواده لهبا . وقال له اني لا اترك هذا الامر ان يتم في دياري . ما دام انه ضيفي وجاري . والراي عندي ان تجعل هذا الكلام حجة لك عند الفرسان . اذا سالوك تقول لهم ما اسرني الا وانا تعبان . ولا تلج في برازه فتندم * ويحل بك العدم * وربما ينصر عليك مرة ثانية . فتصير فضيحة بين فرسان القاصية والدانية * لانه فارس الزمان . ووحيد العصر والاوان * وما ترجع تلد مثله النسوان . ولا يوجد اخبر منه بين الفرسان . في وقايع الحرب والطعان * ومداراة الاقران * وله مع فروسيته سعادة ولرب السما فيه مشية وارادة . فارجع الى ديارك واطلب اهالك ولا تخبا الفنى فتهلك . فلما سمع ذو الخمار . من دريد هذا الكلام زاد به الغيظ والالام . وعاد من وقته وساعته * الى اهله وعشيرته ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح * ركبت السادات والابطال الاشاوس واتوا لزيارة دريد وعنترة الفوارس وجلسوا معهما نحو ساعة من الزمان . ثم ساروا معهما الى الميدان وكان اول من برز صبيان الحلة واولاد الفرسان * وبعد ذلك برزت الشجعان ووقع الطعان على الرهان .

Digitized by Google

قال سعيد بن مالك فبينما هم كذلك * واذا قد اقبل
عليهم من صدر البر فارس غريب . بزي عجيب . ذو هيبة ووقار
وثياب جميلة تدهش النظار . وكان عليه ديباجة رومية . وعمامة
خز كوفية * وهو مضيق اللثام * كانهُ قطعة من غمام . ومن تحتهِ
جواد حسن القد . خفيف لحم الخد * طويل اليدين * قوي
الرجلين * سريع الجري والخبب . شديد العصب * اذا طلب
لحق * واذا طلب سبق . ولما صار في الميدان . اطلق العنان
ولعب بالسنان . حتى حير عقول الفرسان * واخذ في القراع
والصدام . ثم انهُ جرد في يده الحسام * وحذفهُ في الهوى وطرد
من تحتهِ الحصان * وعاد اسرع من البرق وقت اللمعان . وتلقاه
بيدهِ . ورده الى غمده . وبعد ذلك نادى على الابطال والفرسان
دونكم وساحة الميدان . فلم يتم كلامه حتى برز اليه فارس على
جواد ابرش . لايلم بهِ تعب ولا رعش * ولا يلحقه في الحرب
ادنى دهش * ولما اقترب منهُ هجم عليه كالاسد الريبال * ولعب
معهُ وصال . فانطبق عليهِ ذلك الفارس ومال * وقرع راسهُ
بالرمح ثلاث مرات * وعفى عنهُ في القتال . ثم نادى وقال ابرزوا
ايها الفرسان والابطال . الى محل الطعان . وان عجزتم عن الثبات
في الميدان . فلينتدب لي منكم عشرة من الفرسان * ويجربون
قتالي * وحربي ونزالي * فلم ينتهي من تلك الخطبة . برز اليه
خفاف بن ندبة * واراد ان يجول معهُ في مقام الضراب والصدام

Digitized by Google

فشتمه بالكلام . وقال لهُ ارجع يا ابن السودا المنتنة الاباطين الواسعة الشدقين * فانَّا ما فرغنا من براز السادات الاماجيد . حتى تبرز الينا العبيد * فاستشاط خفاف غضباً . واضطرم فواده لهباً وانطبق عليه وحمل . بقلب اقوى من الجبل وفعل ذلك الفارس مثلما فعل . فلما شاهد دريد تلك الحال خرج عن دايرة الاعتدال . وخاف من عواقب الامور فنهض كالليث الجسور . وجرد سيفهُ الابتر . وقصد مقام الخطر . وتبعهُ دثار والامير عنتر . ومقري الوحش الاسد الغضنفر . وزعق فيهما وصاح . وقال لهما ما هذه الفعال القباح . بعد اللعب والمزاح . فقال خفاف وحق الاله المنان . اني ما برزت اليه الالاجل الفرجة بين الفرسان . وما علمت بان قلبهُ عليَّ ملان . الى ان جرى منهُ ما جرى وكان . وتكلم بحقي ما سمعتهُ هولاء العربان

قال الراوي وكان يقال لذلك الفارس العباس بن مرداس صاحب الشجاعة والباس . وقد ذكرنا انهُ كان يبغض خفاف دون باقي الناس * فقال دريد ياخفاف عليك باحتمال ابنا الاعمام . وان لجو عليك في الخصام . فلا تغضب احداً بالكلام فانهُ عار لا تمحوه الايام ثم انهُ التفت على العباس . ولامهُ على تلك الفعال * وقال لهُ عليك بالصبر والاحتمال . اذا كنت تعد نفسك من كرام الرجال . وصناديد الابطال . ثم قال لهُ في اخر

Digitized by Google

الكلام . اعلم يا ابن الكرام . ان زينة المرء بين الانام * اكرام الضيوف . واعانة الملهوف . وجبر قلب الفقير . ببذل الدراهم والدنانير . وما زال دريد وعنتر بن شداد يتحدثان معهما بمثل هذا الايراد . حتى اصلحا بينهما صلحا على فساد . وبعد ذلك رجعوا الى الخيام . وعاد خفاف وفي قلبه نار الاضطرام . وقد اسودت الدنيا في عينيه . وصعب ذلك الامر عليه

قال محمد بن هشام . واتفق في بعض الايام . بينما كان عنتر جالسا مع دريد على سفرة المدام . واذا بخيل قد اقبلت من جانب البطاح . وهي تهز في اكفها قطع الرماح . وقد اقلبت البر بالضجيج والصياح . ولما اقتربوا من المضارب . نزلوا عن ظهور الجنايب . وتقدموا الى دريد وسلموا عليه . وتمثلوا بين يديه . وقالوا له ادرك يا ابا النظر العباس وخفاف . فقد وقع بينهما الشقاق والخلاف . وانقسمت القبيلة الى قسمين . وعمل السيف بين الفريقين وان لم تدرك القوم بفرسان الصدام . تفانوا بالحسام . وصاروا مثلا بين الانام

قال الراوي فلما سمع دريد ذلك الخبر . طار من عينيه الشرر . وركب في عاجل الحال . وركبت معه الفرسان والابطال وركب ايضا عنتر بن شداد . وعروة بن الورد ومقري الوحش فارس الجلاد . وطلبوا منازل بني سليم . وفي قلب دريد من ذلك الامر نار الجحيم . وكان وصولهم الى تلك الديار عند نصف

Digitized by Google

النهار . واذا بالصياح مرتفع . والغبار مندفع . فقال دريد
واحرباه هلكت الرجال . وحلت بهم نازلة الاجال . ثم انهُ اقتحم
معركة القتال . بمن معهُ من الابطال . وشق بين الصفوف .
وجال بين الرماح والسيوف . واعلم القوم بنفسهِ فهابوه وانفصلوا
عن بعضهم لما عرفوه . ثم انهُ جمع فرسان العشيرتين . ووجوه
الطايفتين . ووبخهم على تلك الفعال . وشتم منهم الشبان
والجهال * وقال لهم ياويلكم ما الذي غير صوابكم . ورماكم بسهم
الحسد فاصابكم * فوحق ذمة العرب * وشهر رجب * او لم
ادركم الان * كنتم فنيتم بشفار السيوف اليمان * وصرتم عبرة
في قبايل العربان * على مدى الزمان * اما كان يوجد بينكم
رجلا عاقلا * وسيدا حازما فاضلا * يرد الرجل الجاهل * اما
اعتبرتم بما جري على من كان قبلكم من الاوايل

قال نجد بن هشام * فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام * تقدموا
اليه * وقصوا حديثهم عليه

قال سعيد بن مالك * وكان السبب في ذلك * حديث
عجيب * وامر غريب * وهو ان خفافا بعد رجوعهِ من الميدان
دخل على امهِ وهو غضبان * وحدثها بما جرى وكان * وكيف
قد شتمهُ العباس * واستخف بهِ بين الناس * فقالت والله
ياولدي * ومهجة كبدي * ما ذكرك بالاقوال الشنيعة * الا
حسدا منهُ على مناقبك الرفيعة * واوصافك السامية البديعة *

Digitized by Google

الكتاب السابع والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

لانك اقوى منهُ باسا * واعظم مراسا * واطول باعا * واشد امتناعا * ولكني اشور عليك بامر اذا فعلته قهرتهُ * ونغصت عيشه ومرمرتهُ * وذلك انهُ يوجد صبية في بني النضير كانها البدر المنير يقال لها امامة بنت همام. اذا راها العابد افتتن وهام. وان العباس يحبها ويهواها. ولا ينام الليل من هواها * ومن شدة تكبره على ابناء جنسهِ. لا يرى ان يخطبها لنفسهِ * وهو ينتظر ابو الجارية ان ياتي اليه. ويعرض ابنته عليه. وهذا امر ما سبقهُ عليه احد من الناس. فان انت خطبتها انفطرت مرارة العباس

قال نجد بن هشام. فلما سمع خفاف من امهِ ذلك الكلام. خف عنهُ بعض الاشتعال والاضطرام. وصبر حتى انجلا غسق الظلام وطلع النهار بالابتسام. فاجتمع بمشايخ قومه الكرام. وحدثهم بما في قلبهِ من المرام. وطلب منهم ان يسيروا معهُ الى عند همام. حتى يخطب منهُ ابنته. وينال بغيته. فاجابوه الى ما ندبهم اليه وساروا معهُ حتى وصلوا الى همام ونزلوا عليه. فاكرمهم غاية الاكرام. وذبح لهم النوق والاغنام. وقدم لهم الطعام والمدام.

Digitized by Google

وبعد ان اكلوا وشربوا . ولذوا وطربوا . نهض خفاف على الاقدام . والتفت على ابي الصبية همام . وقال لهُ اعلم ايها البطل الهمام . والسيد القمقام . قد اتيتك خاطبا . وفي كريمتك راغبا فلا ترد من رغب فيك . ولا تخيب قاصديك . وانا احمل اليك من المهر الف ناقة حجازية . وعشرة روس من اطايب الخيول العربية . ثم ارغبهُ في المال وزاد لهُ في العطية

قال نجد بن هشام . فبينا خفاف في الحديث والكلام . واذا بالعباس قد دخل وسلم . وجلس بين تلك الامم . ولما علم بواقعة الحال . التفت على ابي الصبية وقال . لا تزوج ابنتك بخفاف بن ندبة . فقد اتاك من هو اشرف منه وارفع رتبة . واجل بين الناس قدرا . وانفذ نهيا وامرا . وهو العبد الفقير . الذي افتخر على كل سيد وامير . وقهر كل فارس نحرير . فلما سمع الحاضرون منهُ ذلك المقال . اغتاظوا من تلك الفعال . وكان خفاف قد تألم من مقالهِ . وزادت لواعج بلبالهِ . واضطرمت نيران اشتعالهِ . وتغيرت جميع احوالهِ . والتفت عليهِ دون الناس . وقال لهُ بسك تتكلم يا عباس فقد سبقك اليها من هو احق منك واولى فقال العباس ومن يكون ذلك المولى قال هو خفاف بن ندبة غيث الندى . وليث العدى . معلي همم الاعيان وفارس الزمان . فقال عباس اسكت يا قرنان . ويا انذل العربان . قاتلك الله . ولا بلغك ما تتمناه . فمن انت يا عديم

Digitized by Google

النسب . حتى تخطب بنات سادات العرب . قال نسبي ما وراه منتسب . ولا مثله حسب . واني احمي الجار . واكشف العار . وقد شاع فضلي واشتهر . في قبايل البدو والحضر . فقال العباس ما انت مثلي . ولا شكلك كشكلي . فدع عنك هذه الدعوة . يا قليل المروة والنخوة . وتكلم على قدر مقامك . قبل ان اسقيك كاس حمامك . واختار بعض جوار الحي لنفسك . وتزوج من ابنا جنسك . فهن لك اوفق . واسواد جلدك اليق * فقال خفاف وقد صار الضيا في عينيه كالظلام * وهان عليه شرب كاس الحمام * والله يا عباس ما تكلمت بهذا الكلام * الا لما عجزت عن ادراكي في ضرب السيف وطعن الرمح اللهدام

قال مجد بن هشام . ثم اشتد بينهما الخصام . وخرجا من الخيام وركبا ظهور خيولهما . وتقلدا بنصولهما * وتاهبا للقتال . والحرب والنزال . ووصل الخبر الى الفرسان والابطال * فتبادرت الرجال من اليمين والشمال . وانقسمت قسمان وتفرقت فرقتان . واقتتلوا ساعة من الزمان * وكان قد وصل الخبر * الى الامير دريد وعنتر . بما جرى بين العباس وخفاف بن ندبة . بسبب تلك الخطبة . فركبا في جماعة من الرجال . ولما شاهدوا تلك الحال اوقفوهما عن الحرب والصدام . ورجعنا الان الى سياق الكلام * وكان دريد قد عول على قبض العباس وخفاف . وبوثقهما بالكتاف * فنهاه عنترة الفرسان * عن ذلك الشان . بعد ما

Digitized by Google

حمده على فعاله. وشكره على اعماله * وقال له ايها السيد المفضال
لا تزعج نفسك بهذا الجدال. فان فوضتني امرهما . كفيتك
شرهما * فقال افعل ما بدا لك فما فينا من يخالف مقالك . فعند
ذلك التفت عنتر على سادات القبيلة . واعيانها الجليلة . وقال
لهم اعلموا يا وجوه العرب * وارباب المناصب والرتب . ان اللسان
يقصر في مدحكم . ويعجز في وصف شرحكم * وكيف لا يكون
ذلك ايها السادات * والفرسان والقادات . وقد بلغت همتكم
السما . وجلت اسرتكم الظلما . واشتهرتم بالجود والكرم * والفروسية
وعلو الهمم . واشتهر فضلكم بين العرب والعجم . كاشتهار العلم *
فنيلكم مبذول . وحسامكم مسلول . وعدوكم مذلول . واسيركم لا
يفدى الا بالنصول . ولا خفاكم حفظكم الله وابقاكم اني ما قصدت
ديار سيدكم دريد بن الصمة . الا لعلمي انه من اجل الناس
قدرا واعلاهم همة . على ان لساني في وصفه يقصر * ومناقبه اشهر
من ان تذكر * لانه اوحد العصر * ونتيجة الدهر . فكفوا عن
الجدال . والحرب والقتال . لانه لا يليق بكم ايها السادة الكرام
ان يقع بينكم الشر والخصام * فتشمت بكم ساير الانام . وبادروا
الى طاعة اميركم * وسيدكم ومشيركم * وصاحب تدبيركم . السيد
الخطير . والفارس الشهير . صاحب العزيمة والهمة الامير دريد
بن الصمة . ابقاه الله وحفظه ووقاه * وقد استاذنت من حضرته
امام الناس . بان افصل هذه الخلفة الواقعة بين خفاف والعباس

فان رضيتموني حكمت بينهما على احسن حال. وازلت من بينكم القيل والقال

قال مجد بن هشام . فلما انتهى عنتر من هذا الكلام . ضجت بنو سليم بالثنا عليه . وعلى قومهِ ومن يلوز اليه . وقالوا له يا ابا الفوارس ويا زين المجالس . جميع ما ذكرتهُ فينا من لطافة الذات وحسن الصفات * انت بهِ احق واولى * لانك انت السيد والمولى . ولا يخالفك احد منا اصلا * فشكرهم عنتر على ذلك الكلام وقال لهم اذهبوا بسلام . وانا احكم بينكم في ثاني الايام . فامتثلوا الى ما امر * وبعد ذلك رجع دريد وعنتر

قال جهينة اليماني * وفي صباح اليوم الثاني * حضر عباس وخفاف في جمهور من السادات والاشراف حتى يسمعوا كلام عنتر بن شداد * وما يبديه من الايراد * فتلقاهم عنتر بالاكرام والترحيب . واجلسهم منهُ بمكان قريب . ولما انتصب الديوان * واجتمعت الابطال والفرسان * سال عنتر خفافا عن سبب تلك الفتنة . وما الذي اوجب وقوع الشر والمحنة . فقال اعلم يا حامية عبس وعدنان . ونتيجة الدهر والاوان . اني خطبت بنت هذا السيد المهاب * فلما انعم واجاب * حضر العباس بن مرداس واعتدى عليَّ بين الناس . وعيرني بسواد جلدي * وشتم ابي وجدي * حتى بلغ الامر الى هذا الحال . وجرى ما جرى من الحرب والقتال فلما سمع عنتر منهُ ذلك الكلام ابدى الضحك والابتسام

Digitized by Google

وقال له لقد نطقت بالصدق . وتكلم بكلام الحق . ويجب عليك ان تعذره . لان سوادك ظاهر ولا تقدران تستره وان كانوا قد عيروك بالسواد مرة واحدة . فانا قد عيرت قبلك مرارًا متعاددة . وانا مع ذلك لم اغضب ولم احرد . لاني اعلم ان الله الواحد الاحد قد خلقني كالليل الاسود * ولما كثرت في الاقاويل نظمت في شرح حالي هذين البيتين

لئن اكُ اسودًا فالمسك لوني ... وما لسواد جلدي من دواء
ولكن تبعد الفحشاء عني ... كبعد الارض من جو السماء

فتعجب دريد من كلام عنتر . وقال هيهات يافارس البدو والحضر . ان تقيس نفسك بغيرك من البشر لانه لا يتبعك احد في معناك . ولا يبلغ درجة علاك . لانك والله شامة الزمان . ونتيجة العصر والاوان . وما يقول هذا الكلام . الا الاعدا اللئام * ثم ان العباس التفت على عنتر وقال اعلم ايها السيد المفضال . انك لا تقاس بغيرك من الرجال * ولكن لا خفاك يا ابا الابطال . بان خفافا لا يقاس بي * ولا ابوه كابي حتى يخطب ما خطبت ويطلب ما طلبت فقال عنتر لا تتكلم بهذا الكلام ياعباس . ولا تتكبر على احد من الناس . ولا تجعل التكبر لك ثيابا * ولا تفتخر بالامهات والابا . لان السيوف واسنة الرماح العوالي . تفرق بين العبيد والموالي . واعلم ايها البطل الاوحد . والسيد الامجد انه لا يزري بالرجل الا خصلتان . البخل والفزع في الحرب والطعان

Digitized by Google

وهما من خفاف معزولتان . فاعذر ابن عمك الامير خفاف *
واترك عنك الجور والاسراف

ثم التفت عنتر على ابي الصبية وقال لهُ امام الحضار . اي شخص من هذين الفارسين تريد لابنتك وتختار . حتى نزوجهُ بها في الحال . وننهي هذا النزاع والجدال . وينصرف الاخر ويتوقع لهُ على زوجة اخرى . لان بنات العرب اكثر من نبات الصحرا . فقال اعلم ايها الفارس الصنديد . لو تركاني من الاول ان افعل ما اشتهي واريد . كنت نهيت هذا الامر بالراي السديد . والفكر الرشيد . والان فقد ظهر واشتهر . وشاع في قبايل البدو والحضر . وانا وحق خالق البشر . ما افضل رجلا منهما على الاخر . وانا رجل مدمى بالجراح . ولي ثار ما انساه ما امسا المسا واصبح الصباح . وهو عند رجل من ملوك اليمن يقال لهُ المتعنجر ابن فايز . سيد بني قضاعة وتلك المنازل والمفاوز . فايا منهما اخذ لي ثاري . وكشف عاري . زوجتهُ بابنتي . وشاركتهُ في مالي ونعمتي . والا وحق من انبع الماء من الحجر . ما ازوجها لاحد من البشر . فلما سمع القوم كلامهُ . وفهموا قصده ومرامهُ . قالوا لهُ والله لقد انصفت . وما تعديت ولا اسرفت . لان الذي يطلب البنات الابكار . ويشتهي الحسان الاحرار . لابد لهُ ان يركب الاخطار . ثم انهم بعد ذلك المقال نهض العباس وخفاف في عاجل الحال . ووقفا في ساحة المجال . والتفتا على السادات

Digitized by Google

والابطال . وقالا اعلما ياوجوه العرب . واصحاب المناصب والرتب اننا قد اجبنا ابي الجارية الى ماطلب فالذي يظفر منا ويسود ينال المقصود * فقال دريد ليس هذا بصواب . ايها السادة الانجاب . فقال عنتر ولما ذلك * يافارس المعارك * قال لان بينهما عداوه متزايدة * واذا سار الاثنان على طريق واحدة . يقع بينهما الجدال * والحرب والقتال * ومن الراي الاجمل * ان نقارع بينهما فايهما وقعت قرعته في الاول . يسير قبل صاحبه على عجل . وفي ذلك الوقت يبان الظالم من المظلوم . والمرزوق من المحروم . على اني اعلم ان الاثنان يكونا على خطر * اذا سلكا ذلك البر الاقفر ولا فيهما من ينال المراد . الا ان يكون اسعد العباد لان المتعنجر رجلا قويا . وجبارا عتيا * ذو عشيرة كبيرة * وجموع غفيرة * ولا سيما اخته غمرة * التي لم تلد مثلها امة ولا حرة * لانها قد قهرت فرسان العرب بوقاحتها * وسبت السادات بملاحتها * والراي عندي ان يقصر العباس وخفاف عن هذا اللجاج * ويتركان الخصام والزواج * لان فيه الهلاك والعطب . وقد اكثر الله من بنات العرب

قال مجد بن هشام . فلما سمع العباس منه ذلك الكلام قال له والله يادريد ما اجعل روحي في حالة الاذلال . ولو تصورت لي المنايا في صور الرجال * فلما سمع دريد لجاج العباس * ضاقت منه الانفاس * وامر بالقا القرعة بينهما في حضور السادات *

Digitized by Google

فوقعت القرعة على العباس ثلاث مرات ‌. فتيقنت العرب انهُ يظفر بمراده . لما يعرفون من حربهِ وجلاده . واجتمع عليه من كان يوده من الاخوان . وكان ذو الخمار لهُ من جملة المحبين والاعوان وما كان العباس قوي القلب الا بهِ دون كل انسان . ومن يومهِ جمع بنو عمهِ وخلانهِ ومن كان يعتمد عليه من اهلهِ وفرسانهِ وطاب بهم ديار بني حمير . ونزل على ذي الخمار الاسد الغضنفر . ففرح بهِ وبقومهِ وسالهُ عن سبب قدومهِ . فاخبره بما جرى لهُ مع خفاف وما وقع بينهما من الشقاق والخلاف . وقال لهُ في اخر الكلام . اعلم ايها البطل الهمام * اني ما قصدت اليك دون كل العباد الا لعلمي ان خفافا يطرح نفسهُ على عنتر بن شداد . فيعاونهُ على بلوغ المراد . والان قد اتيت اليك وجعلت اتكالي بعد الله عليك فتعجب سبيع من تلك القصة وحار . واشتعل قلبه بلهيب النار . وقال وحق الاله المتعال * ان في قلبي من عنتر ما لا تحمله الجبال * ولولاهُ كنت بلغت بسيفي ما لا تبلغهُ الرجال * ثم قال لهُ ابشر بما يسرك . ودفع الملك وضرك * فانا ابلغك المنا . وازيل عنك التعب والعنا * واسير معك الى ديار بني قضاعة . واترك ارضهم خرابا الى ان تقوم الساعة . ثم انهُ تجهز في عشرة فوارس كانهم الابالس . وساروا طالبين ديار القوم * من ذلك اليوم . وكانوا قد لبسوا الحديد . وتسربلوا بالزرد النضيد * واعتقلوا بالرماح المقومه * وتقلدوا بالسيوف المخذمه

Digitized by Google

وركبوا الخيول المسومه * وما فيهم الا كل بطل جاسر على خيول ضوامر * واستعدوا بالمزاود والقرب واخذوا جميع ما يحتاجون اليه في قطع ذلك البر والسبسب . لانه كان قدامهم برية تسمى برية السبروت . لا يوجد فيها منهل ولا قوت . وهي وعرة المسالك كثيرة الافات والمهالك . ماوها محموم . وهاوها مسموم . ما فيها مرتع لنايل . ولا ماء لناهل

قال نجد بن هشام . وكانت بنو قضاعة في تلك الايام . اكثر العرب عددا . واوفاهـــا مددا . واشدها قوة وجلدًا وكانت منازلها في ارض يقال لها شريف . وملكها هو فايز بن منيف * وهو ابو المتعنجر . الفارس المقتدر . الذي سار القوم في طلب اخذ راسه واخماد انفاسه . وكانت المسافة من بني هوازن الى تلك المنازل والاماكن . عشرة ايام على ظهور الخيل . للفارس المجد في النهار والليل . واما الجمال . والكدش والبغال . لا تقطعها الا بالجد . والتعب والكد * نظرًا لبراريها المقفرة . ومفاوزها المخطرة

قال نجد بن هشام . وما زال القوم يقطعون البراري والاكام مدة عشر ايام . وفي اليوم الحادي عشر . اتسع عليهم البر الاقفر وقصرت خيلهم عن المسير . من شدة الحر والهجير * فايقنوا بالهلاك والعطب * وفتحوا المزاود والقرب * فوجدوها ناشفة من المـــا فاخذهم العطش والظما * واشتد عليهم الحر * وتلهبت اقطـار البر * واشتغل كل واحد بنفسه عما يليه * حتى لم يعد الاخ يلتفت

Digitized by Google

على اخيه * ولا الوالد على ابيه * فعند ذلك كشفوا روسهم * وخففوا ملبوسهم * والقوا من ايديهم السيوف والرماح * وتمنوا النجاة بسلامة الارواح . وبان لهم شخص الموت ولاح . وتمنى الشجاع لو انهُ مات واستراح . ومن شدة ما اصابهم . وجرى عليهم ونابهم صار كل واحد منهم يودع صاحبه بعينيه . وقد هانت المنيه عليه وقال العباس وحق ذمة العرب وشهر رجب لقد اشرفنا على الهلاك ووقعنا في سوء الارتباك . وكل ذلك من معادات خفاف بن ندبة . ولولاه ما كنا وقعنا في هذه النكبة . ولا لاقيناه هذه الامور الصعبة وانا اعلم ان عبد . شداد نسل الاوغاد . يعاونهُ على بلوغ مراده ويطفي نار فواده

قال سعيد بن مالك . وما زالوا كذلك . حتى مالت الشمس الى الغروب . فخفت عنهم الكروب . وانطرحوا على الارض كالاموات . من شدة ما قاسوا من الشدايد والبليات . ورقدوا في تلك الصحرا . وما فيهم من يسمع ولا يرى . ولما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح . نهضوا يطلبون الرحيل . فلم يروا من الخيل لا كثير ولا قليل . فقال سبيع وقد صاح وجلبب . من شدة الغضب . وقال دهينا والله يا وجوه العرب . وسرقت منا الخيل . في هذا الليل . وهذا اشد ما يكون من العار . والذل والشنار ان توخذ خيولنا الجياد . ونبقى حيارى في هذه البلاد . فقال الدليل وقد اخذه الخجل . وايقن بحلول الاجل . اعلموا

Digitized by Google

ايها الابطال . انهُ ما فعل بنا هذه الفعال . الا بعض اعدانا وحسادنا . وقد تبعونا من ارضنا وبلادنا . والذي يغلب على ظني انهُ خفاف . او بعض متعصبيه من الاهل والاحلاف . قد تبعونا الى هذه النواحي والاطراف . وسرقوا الخيل . تحت ظلام الليل . حتى لا يصح امرنا ولا نسود . ولا نبلغ المقصود لان افعال الاعادي والاضداد . لا تخفى من افعال العواذل والحساد فلو كان الذين وقعوا بنا في هذه البيدا * من جملة الاعدا * كانوا نهبوا اسلابنا * وقطعوا رقابنا * ثم انهم جدوا في قطع القفار . والسهول والاوعار

قال سعيد بن مالك * ولم يزالوا كذلك * حتى حمي الحر . وهو جر البر . ونفرت الافاع وهمهمت السباع وظهرت ام غيلان وتقلصت الشفتان . وتورمت القدمان . فايقنوا بالهلاك والحرمان ولما زاد عليهم الامر * وايس زيد بن عمرو * ودعوا بعضهم البعض * ووقعوا على وجه الارض * فقال لهم الدليل يا بني الاعمام * ابشروا ببلوغ المرام * فان الغدير من هنا قريب . وها هو خلف ذلك الكثيب * فلما سمعوا كلامه طابت قلوبهم . وزالت كروبهم . وجدوا في المسير * حتى اشرفوا على الغدير . واذا هم بمضارب وخيام * ورايات واعلام * وفرسان كانها قطع الغمام * فلما راتهم الخيل * انصبت عليهم مثل السيل * واكثروا من حولهم الصياح * ومدوا اليهم قطع الرماح * وقالوا لهم

Digitized by Google

ويلكم يا انذال * من انتم ومن تكونوا من الرجال . فقالوا نحن من بني سليم . اصحاب الفضل والخير العميم * وقد خرجنا في طلب الغزو والمكسب * كما جرت عوايد العرب * فاهلك البر خيولنا * وطير العطش عقولنا . فمكنونا من ورود الما . حتى نروي اكبادنا من الظما * قال وكانت هذه الجماعة * من بني قضاعة . والمقدم عليها المتعنجر بن فايز . صاحب تلك المنازل والمفاوز * وهو الذي جاء العباس في طلبه * وخاطر في نفسه بسببه * ومعه اختة غمرة صدامة الخيل وخايضة الليل * وكان قد خرج من بلاد شريف وتلك الاوطان * في جماعة من الفرسان * لاجل الغزو والمكسب من قبايل العرب

قال نجد بن هشام . فلما سمعت الابطال منهم ذلك الكلام . شفقوا عليهم ورثوا لحالهم . وارسلوا الى غمرة واخيها بعض رجالهم . يقولون لهما انهُ لا خفاكما . حفظكما الله وابقاكما . قد وقعنا على نحو خمسين من الابطال . وهم من صعاليك الرجال . قد هلكت خيلهم . وبان عليهم ذلهم وويلهم . واشرفوا على الهلاك من شدة العطش والظما . وقد سالونا في ورود الماء . وها نحن بانتظار امركما الشريف . وخطابكما العالي المنيف . فانطلق الرسول . ثم عاد وهو يقول اسقوهم الما وكتفوهم . وعند الصباح الى عندنا احضروهم . حتى نسالهم عن مصابهم . ونسمع ما يكون من جوابهم ففعلت فرسان بني قضاعة . ما امروا بهِ من تلك

Digitized by Google

الساعة واسقوهم الما . وزال مابهم من العطش والظما وتوكلوا بهم الى
ان ذهب غسق الظلام . وبعد ذلك ساقوهم الى الخيام . لان
غمرة واخيها كانت خيامهما مضروبة على العيون والمناهل .
كما جرت عادة امرا القبايل . فلما وصلوا الى الخيام وعبروها .
احضروهم قدام غمرة واخوها . فلما نظر العباس الى غمرة .
وجدها مايلة الى السواد والحمرة . الا انها عريضة الاكتاف .
صلبة الاطراف . بكفوف ثقال . وسواعد طوال وعيون مثل
عيون الغزال . وخلقتها كخلقة الاسود . وعلى اعطافها للفروسية
دلايل وشهود . فتعجب العباس من خلقتها . وهول رويتها
فكان يستتر بين اصحابه حتى لا يعرفوه . وهو خايف ان يعرف
فيقتلوه . وكذلك جرى على ذي الخمار . فانهُ انذهل وحار .
وايقن بالهلاك والبوار . وهو يقول في نفسهِ يا ليتني كنت هلكت
في البر بالعطش والجوع . ولا كنت لقيت هذا الذل والقطوع
فلما ابصرتهم غمرة على تلك الحال . قالت لهم من اي العرب
انتم يا انذال . وما هو سبب قدومكم الى هذه البلاد والاطلال
فقالت لها العقلا نحن من صعاليك العرب . وقد خرجنا في
طلب المال والمكسب . فوقعنا في برية موعرة وارض مقفرة .
فماتت فيها خيلنا . وقل من شدة العطش قوانا وحيلنا . ووصلنا
الى ارضكم في هذه الحالة التي بها ترونا . وقد وقعنا في ارضكم
وظفرتم بنا . فافعلوا بنا ما شيتم . واحكموا فينا كيف ما هويتم

Digitized by Google

فلما سمعت مقالهم . ورات خضوعهم واذلالهم . قالت لهم اعلموا
ياوجوه العرب . اننا ما نطلب منكم لا فضة ولا ذهب . وما
نريد منكم غير النوق والجمال . الذي يتفق عليها الحال . وبعد
ذلك نقابل سيدكم دريد على هذه الفعال . لاننا كنا نعف
عن دياره واوطانه . نظرًا لرفعة قدره وعلو شانه . والان مادام
قد اوصل الينا شره فعن قليل يلاقي منا ما لا يسره . واما انتم
اقطعوا على انفسكم الفدا . والا حل بكم الردا

فلما سمع العباس من غمرة ذلك المقال * ايقن بالخلاص
من الاعتقال . وقال لها يا بنت الملوك . وكل مقدم فتوك * اما
الفدى فنحن نحمله اليك . ويصل الى بين يديك * ولكن يكون
على قدر مالنا . وما يحتمله حالنا . واما الامير دريد فلا تظلميه
ولا ترميه بما ليس فيه . لان ذلك السيد المفضال ليس له علم
بسيرنا الى هذه الاطلال ولا نحن ممن يخالطه بين الرجال *
ولا يخطر له على بال * لانه من الامرا المشاهير . ونحن ما فينا
الا كل صعلوك وفقير فلما انتهى العباس من هذا المقال . التفت
عليهم المتعنجر وقال . اعلموا ياوجوه الرجال * ان من عادة
الابطال . اذا وقعت في الاسر والاعتقال . تقول مثل هذا المقال
وتنكر مالها . ونوقها وجمالها . وبعد ذلك نحن ما نبغي عليكم
لاجل انكم من اهل الفقر والفاقة * وما نطلب من كل واحد
منكم اكثر من ماية ناقة . فابعثوا رجلا منكم الى اهلكم ودعوه

Digitized by Google

ياتي بالفدا · والا حل بكم الهلاك والردا . فاسرعوا في هذا الامر من قريب وابشروا بالخلاص من الاسر والتعذيب * لانهُ ليس بيننا وبينكم دم حتى نستوفيه * ولا دين حتى نستقضيه . فلما سمعوا منهُ هذا المقال · اجابه العباس في عاجل الحال . وارسل من يومهِ رسولا يعلم قومه واصدقاه بما جرى عليهِ وعلى رفقاه * وان يبادروا الى خلاصه وفداه . فجد الرسول في قطع القفار · حتى وصل الى الديار * هذا وقد ايقنت الاسارى بالخلاص بعد ما كانوا ايسوا من انفسهم حد الاياس . واما ذو الخمار * فانهُ اشتعل قلبه بنار . وابصر الذل والهوان · لانهُ اسر بدون ضرب ولا طعان * قال وكانت غمرة واخوها قد اشرطا على الرسول * اياما معدودة · واوقات محدودة وقالا لهُ ويلك ان مضى هذا الاجل وطال غيابك * ضربنا رقاب اصحابك . وبني عملك واحبابك . ثم ان غمرة بعد ذلك اقرنت الاسارى في الحبال . وعولت على الرجوع الى الاطلال * واقبلت على اخيها وقالت لهُ عد بنا الى الاوطان من قريب فقد استرحنا من السفر والتعذيب * لانه اذا اتانا هذا المال . واطلقنا هولا الرجال * من الاعتقال فنحن قادرون على العودة الى ديار بني عدنان * او اننا نغير على بعض قبايل العربان . قال فلما سمع اخوها منها هذا المقال اجابها الى ذلك السوال وعادوا طالبين الديار والاطلال . وبنو قضاعة تسوق العباس ورفقته . وما منهم

Digitized by Google

احد الا وهو فرحان بسرعة عودته

قال محمد بن هشام . وكانت المسافة * بينهم وبين بلادهم ثلاثة ايام * فقطعوها في نصف نهار * ولما اشرفوا على الديار * وابصرت اهل الحي ذلك الغبار . وقد اسودت منهُ البراري والمفاوز . انكروه واعلموا بذلك سيدهم الامير فايز * فركب في جماعة من خواص ابطالهِ . وعمد رجالهِ . وقصد الغبار . بهمة واقتدار . حتى وصل اليه * واشرف عليه . فابصر فايز اولاده * وفرسانه واجناده . فانكر حالهم . وسالهم عن حقيقة احوالهم . فاعرضوا عليهِ الاسارى * واعلموه بما تم وجرى * وكيف انهم قطعوا عليهم المال . وانفذوا من ياتيهم بالنوق والجمال . وقصوا عليهِ تلك القصة المهمة . وذكروا لهُ بان القوم من عرب دريد بن الصمة . فلما سمع فايز هذا الخطاب . خرج عن دايرة الصواب وقال وحق الاله القدير . لقد اساتم التدبير * فلما سمعت غمرة من ابيها ذلك المقال * قالت لهُ وكيف ذلك الحال * فقال انا اعلم ان هولا الانذال . خدعوكم بالمحال . وقد انفذوا الى قومهم يعلمونهم بهذا الاتفاق . وانهم وقعوا في الاسر والوثاق * وغدا والله ترون الشيخ دريد ياتيكم الى هذه الديار بجيش كثير المقدار لانهُ مسموع الكلام . رفيع المقام . ولهُ الفضل التام . على ساير الانام . ولا سيما صهره سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار * الذي يعد بسبعة الاف فارسا تحت الغبار * وهذه والله نوبة

مشكله . وعواقبها معضله . ومن الصواب والامر الذي لا يعاب .
انكم لا تقيمون في الخيام اكثر من ثلاثة ايام * وبعد ذلك تعودوا
الى المكان الذي كنتم فيه . وتمسكوا جوانبه ونواحيه * والا دهينا
في الاوطان وبلينا بالخوف بعد الامان * فلما سمعت غمرة من
ابيها ذلك الكلام . ابدت الضحك والابتسام . وقالت لهُ والله
يا ابتاه لقد غير عقالك الكبر * مما عليك من الايام والسنين قد
عبر لاننا كنا نعرفك انك لا تفزع ولا تخاف * من ساير ملوك
الاطراف . ولا تحسب حساب . ملك الشام الحارث الوهاب *
وبعد ذلك فان عساكرنا في عدد التراب . وما كنت اشتهي ايها
السيد المهاب . الان يصح لنا ما حسبتهُ من الحساب . في مجي دريد
وذو الخمار . الى هذه الديار . حتى انزل بهم الهلاك والدمار *
وبعد ذلك نمتثل امرك . حتى لا يضيق لاجلنا صدرك ثم انهم
نزلوا في الخيام والقباب . وشدوا جميع الاسارى ودارت بهم
المشايخ والشباب واخذوا في الفرجة عليهم . الى وقت الغياب *
قال سعيد بن مالك . ثم ان غمرة بعد ذلك . اوثقتهم
باغلال الحديد . ووكلت بهم جبابرة العبيد . وكان قد اظلم
الظلام * ورقد كل من في الحي ونام * وباتت غمرة * وهي من
مقال ابيها في فكرة . وكانت تدعوا الى الله ان يصح حسابه فيما
قال * حتى تريه ما تفعل بالابطال . وكيف يكون قتالها
الرجال

Digitized by Google

قال الراوي وكانت هذه غمرة * معتلة النسب . في مذهب العرب . وكان ابوها قد عشق امها سعدى * وكانت امة سودا وما زال يظهر لها فرط محبته حتى رزق منها غمرة ابنته فلما راها تشبه امها انكرها . ولم يكترث بها ولم يذكرها . فلما كبرت ركبت الخيل مع اندادها . وتفرست على ظهور جيادها . فافنت الابطال وقهرت صناديد الرجال . فتعجب ابوها منها وقربها اليه . وصارت عنده اعز من روحه التي بين جنبيه . لانه ابصر من شجاعتها وقتالها * وعذوبة الفاظها وفصاحة مقالها * ما تستحق به التقدم على امثالها فتغلب بها على بلاد السودان . وفتح بسيفها الاقاليم والبلدان

قال محمد بن هشام * ولما شدت الاسارى كما تقدم الكلام باتت في هموم وفكر * الى وقت السحر . واذا بصياح قد ارتفع وصراخ قد علا واتسع . فداخلها من ذلك الخوف والفزع * فقامت من منامها . وسلت الى حسامها * وبادرت الى اطراف خيامها * وقصدت مكان الصياح * فرات العبيد الذين وكلتهم بالاسارى . في افتضاح . وهم ينادون عن فرد لسان ادركينا يا فارسة الزمان . وساعدينا على هذه المصيبة العظيمه والداهية الجسيمه . فقد تخلصت الاسارى من الشد والكتاف . وبذلوا فينا سيوف التلاف . وركبوا على ظهور الخيل * وطلبوا الهزيمة تحت ظلام الليل . فالعجل العجل قبل خيبة الامل . فلما سمعت هذا المقال * خرجت عن دايرة الاعتدال . وصاحت في

Digitized by Google

الفرسان والابطال . وركبت في عاجل الحال * وخرجت من الخيام كانها اللبوة الفاقدة الاشبال * وركب ابوها واخوها الفارس المجحاج . وانقلبت الارض بالضجيج والصياح . هذا وقد ركبت الفرسان ظهور الجنايب . واشهروا القواضب وانكر القريب القرايب . وصاحت النسا الكواعب . وخرجن من المضارب * وقد اخذهن القلق والضجر . وهن لم يعرفن حقيقة الخبر

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . ذو الخمار الليث الكرار . والبطل المغوار . والصارم البتار . لانه كان من شدة ما قاسى من الذل والهوان . ايقن بالهلاك والقلعان . وبات تلك الليلة وهو فزعان . خوفا من ان يعرفوه . فيقتلوه ويعدموه . ومن عظم ما جرى عليه . صبر حتى نامت العبيد الذين حواليه . ثم نهض كالاسد الغضنفر . وعيناه تقدح بالشرر . وتمطى في الكتاف فقطعه . وقد زال خوفه وفزعه . وحل اصحابه في اقل من ساعة . واخذوا سيوف عبيد بني قضاعة . وقتلوا منهم جماعة وهرب من بقي منهم في الحال . ونادوا على الفرسان والابطال . فانتبهت الرجال . وتبادرت الاقيال . وركبوا ظهور الخيل وطلبوا الاسارى تحت ظلام الليل . فاظهر ذو الخمار في ذلك الوقت شجاعته . وقوته وبراعته . لانه كان من اشد فرسان الجاهلية . ومن طبقة عنتر في الشجاعة والفروسية . وانما عنتر

Digitized by Google

كان ذو سعد واقبال . عديم المثال بين الرجال . لان الفارس الكرار . والبطل المغوار . ان لم تخدمهُ السعادة . ويبلغهُ ربه الارادة . لا يفلح . ولا يسود ولا ينجح . ولو تناول الثريا بيديه . وسحق الحصا بقدميه . وكان ذو الخمار . قد فتك فيهم فتكة جبار . وقتل منهم اوفى من عشرة انفار . ففروا من بين يديه . ولم يعد احدا يقدر ان يقرب اليه . ثم انـهُ وثب على بعض الجنايب . واستلب رمحا طويلا من بين المضارب . وطلب البراري والدكادك . وفعلت اصحابه مثل ذالك

قال نجد بن هشام . الا انهم ما ابعدوا عن الخيام . حتى تبعتهم الفرسان مثل السلاهب . وقصدوهم بالقنا والقواضب واحاطوا بهم من اليمين والشمال . واشتد بينهم القتال . وبادرهم ذو الخمار بصارمهِ البتار . وصدم بصدره الفرسان . ومدد الاقران . على بساط الصحصحان . وكان قد وقع في بني قضاعة النفير . فركبت الابطال المغاوير . وفي اوايلها الاميرة غمرة . صاحبة الشجاعة والقدرة . فلما بصر ذو الخمار تلك الحال . وكثرة الفرسان والابطال . تكني باسمه وصاح . وهجم بمن معهُ من الرجال الوقاح هجمة ليوث البطاح . واشرعوا الى صدور القوم اسنة الرماح . ووقع الحرب والكفاح . وجرى الدم وساح . واشتد الصياح . وغلب الفساد على الصلاح . وعملت السيوف في الاعدا والاصدقا حتى لاح الفجر مشرقا . وعرف الرفيق الرفقا . واصبحت الرجاز

Digitized by Google

في الدما غرقا . وفي تلك الساعة وصل الملك فايز . صاحب
تلك المنازل والمفاوز . ومن حوله خمسه الاف من الابطال .
كانها اسود الدحال . فابصر ذو الخمار وهو يصول ويجول .
ويفرق الفرسان في العرض والطول . وينادي يالحمير
يالحمير . انا ذو الخمار فارس البدو والحضر . فلما سمع منهُ ذلك
المقال . اعتراه الانذهال . وقال وحق ذمة العرب . وشهر رجب
هذا الحساب الذي كنت حسبتهُ وخفتهُ . وهذا هو الفارس الذي
كنت ذكرته ووصفتهُ . وقد وقع في ايدينا وما عرفناه . حتى
بلغ منا ما يتمناه . ولكن هذا جزا من يملك الشي ولا يعرف قدره
حتى يفقده ويخسره . ويبلغ العدو منهُ ما يسره . فعند ذلك صاح
في المواكب والكتايب . وقد خاف من العواقب . فحملوا على
ذي الخمار . وطلبوه من اليمين واليسار . هذا وهو يطعن فيهم
الطعن الخارق . ويضرب فيهم ضربا اشد من نزول الصواعق
وكانت الرجال تنفر من بين يديه كما ينفر القطا من امام الباشق
وابصرت غمرة قتاله . وحربه ونزاله . فعلمت انهُ شديد الباس
قوي المراس . فحملت عليه بحصانها . وطلبتهُ بقوة جنانها . وحمل
اخيها المتعنجر على العباس . وانطبق عليه انطباق قابض الانفاس
والتقت الرجال بالرجال . والابطال بالابطال . وتقطعت
الاوصال . وجرى الدم وسال . وعظم الامر وزاد . وعثرت
الخيول الجياد . وعملت السيوف الحداد . في الضلوع والاجساد

Digitized by Google

وذوابل الصعاد · في الصدور والاكباد · وما زال السيف يعمل · والدم يبذل · والرجال تقتل · حتى كلت السواعد من القتال · وانقهرت ابطال بني سليم وضاق عليها المجال · وكان ذو الخمار يسمع صياحها بين العدى · ويطلب ان يخلصها من الردي فيجد غمرة امامه كانها داهية لا ترتد · ومصيبة عظيمة لا تحد فيعود معها الى الجد والكد · هذا وهي تحمل عليه وتصادمهُ · وكيفما مال تميل معهُ وتلازمهُ · وكان العباس بن مرداس · قد وقع مع المتعنجر في ضيق الانفاس · ولذلك ارتبكت بنو سليم · ووقعت في امر عظيم · وخطب جسيم · وما تضاحي النهار · حتى قل منها الاصطبار · وملت من ضرب السيف البتار · ولطمتها مواكب بني قضاعة من اليمين واليسار · واستظهرت عليها غاية الاستظهار · وقتلوا منها جماعة من الانفار · واخذوا الباقون اسارى · وقادوهم اذلا حيارى · وبقي المتعنجر مع العباس وغمرة مع ذي الخمار الفارس الدعاس · وهم في قتال شديد · وحرب ما عليه من مزيد · وكان ذو الخمار قد كره الحياة والبقا وتعجب من قتال غمرة وصبرها على الشقا · وكان يقاتل ويحارب · ويحترز على نفسه من كل جانب · خوفا من حلول النوايب · ووقوع المصايب

قال الراوي وكان المتعنجر قد جاول العباس في الميدان * نحو ساعة من الزمان · حتى اضجره واكربه * وطعنه بعقب الرمح

فاقلبهُ * فانقضت عليهِ الرجال واخذوه اسيرًا * وساقوه امامهم ذليلاً حقيرًا . وبقي ذو الخمار في حالة الانفراد . وهو مع غمرة في اشد كفاح وجهاد . حتى اشرف على العطب * وهو لا يرى على نفسهِ الهرب . وكانت قد قصدته الابطال والفرسان . فردتهم غمرة عن ذلك الشان * وكان جل قصدها ان تظفر بهِ وحدها حتى تفتخر على اقرانها . وصناديد فرسانها . وما زالت معهُ في اشد قتال وحرب ونزال وهي تحاربه وتضاربه وتباعده وتقاربه الى ان تعالى النهار . وحميت الشمس على الاقطار . وتعجبت من قتالهما النظار فعند ذلك صاح ابو غمرة في ابطاله * وصناديد رجاله * وقال لهم دونكم يا بني عمي الاخيار * هذا الجبار . والبطل المغوار * فان الليل قد اقترب وهو لا يرى ان يسلم نفسه ولو لاح لهُ لائح العطب . لاجل ما لهُ من الهيبة والوقار . عند ملوك الاقطار ولو لم تشغلهُ ابنتي غمرة بالقتال كان اهلك منا جماعة من الرجال والراي عندي ان تقتلوا الى جوادهِ . وتتمكنوا منهُ قبل دخول الليل بسوادهِ * فانهُ يمنع الطالب عن مرادهِ

قال نجد بن هشام . فلما سمعوا منهُ ذلك الكلام . حملوا عليهِ من كل جانب * وطلبوه باسنة الرماح القواضب * وضيقوا عليه الطرق والمذاهب . فالتقاهم بقلب اقوى من الجبل * وقاتل قتال الجبابرة الاول * فما طعن ضلعًا الا ودقهُ * ولا ضرب راسهُ الا وشقهُ واذ لم يبلغوا منهُ المراد . قتلوا من تحتهِ الجواد . فصار

Digitized by Google

يقاتل وهو راجل * ويصدم بصدره المواكب والجحافل . حتى
كثرت فيهِ الجراح . وسال دمهُ على اسنة الرماح . ولم يسلم
نفسهُ لاحد من البشر . الا بعد التعب والضجر . ثم انهم اوثقوا
كتافهُ * وشدوا سواعده واطرافهُ . ولما بلغوا الامال رجعوا
طالبين الاطلال وقد تعجبت الفرسان والابطال من ذي الخمار وشدة
ساعده في المجال وصبره على الحرب في القتال هذا والملك فايز يقول
لابنته وولده * ومن معهُ من قومه وجنده . احترزوا على هولا
الاسارى الليالي . الى ان يطلع النهار بالابتسام . حتى نضرب
رقابهم بين خيامنا واطلالنا وناخذ بثار من قتل لنا من رجالنا
وابطالنا * ونبلغ بقتلهم غاية الامال . لانهم قتلوا منا جماعة من
الرجال * يساوي الواحد منهم جموع بني هوازن وسليم * ولاسيما
هذا الشيطان الرجيم . فلا بد لي من ضرب رقبته * وقتل جميع
من بقي من رفقته

قال نجد بن هشام . فلما سمع ذو الخمار منهُ ذلك الكلام *
ايقن بشرب كاس الحمام . وصاح على فايز بصوتٍ يصدع الحجر *
ويصم اذان الدب الذكر . وقال لهُ ويلك يا كلب الاعارب *
اني بعد ما شفيت قلبي منكم بضرب السيف القاضب . لا ابالي
بما يجرى عليَّ من المصايب . لاني قد اخذت بثاري . واخمدت
لهيب ناري * ولولا هذه السودا تربية الاما . كنت تركت ارضكم
تفيض بالدما ولكن الذليل الجبان بالكثرة يغلب الشجعان

Digitized by Google

على انني اولم اكن خالي من الزرد وانا وحيد وجوعان . ما كانت
هذه العاهرة وقفت بين يدي ساعة من الزمان . ولكن سباع البر
تغلب بالمكاثرة * وكواسر العقبان تصيبها الافات وهي في
الجو طايرة . فلما سمعت غمرة كلامهُ . وفهمت قصده ومرامهُ صعب
عليها وكبر لديها وقالت لابيها وحق رب البرية . ما بقيت امكنك
من قتله بالكلية ما دام انهُ ذكرها لهُ بالفروسيه . وفضل نفسه على
فرسان الجاهليه * ولا بد لي ما اتركهُ مدة ايام في المضارب
والخيام . حتى يستريح ويشبع من الزاد . وبعد ذلك اعطيه آلة
الحرب والجلاد . وابارزه امام الفرسان والقواد . فان هو قهرني
اطلقتهُ وان انا قهرتهُ قطعت ناصيتهُ واعنقتهُ * فقال لها وقد
تذهل واخذتهُ الحيرة * اذا كان ولا بد لك من ذلك ايتها
الاميرة * فابقيه في سجنك تحت الترسيم * يقاسي العذاب الاليم
حتى اسيرانا واخوك في خمسة الاف من الفرسان ونمسك
روس المناهل والغدران . خوفا من قدوم دريد الى هذه البلاد
بالعساكر والاجناد . لاني اعلم ان الاسارى قد خدعوك
بالمقال واحتالوا عليك غاية الاحتيال ولا بد لدريد ان
يطرق هذه الاطلال . بالفرسان والابطال . ويخلصهم من الاسر
والاعتقال . وان نحن اهملنا هذا الامر وصلت الينا المضرة وكانت
عاقبته علينا مرة ثم انهُ سلم ذو الخمار الى ابنته غمرة و بلت وهو يوصي
الابطال والفرسان * باخذ اهبة الحرب والطعان

Digitized by Google

قال الراوي هذا ما كان لهولاء من الاخبار . واما ما كان من الرسول الذي انفذه العباس وذو الخمار * لياتي بالفدا من الديار فانهُ كان قد جد في قطع البراري والتلال حتى وصل الى الاطلال ودخل على دريد وحدثهُ بواقعة الحال . وكان دريد قد علم بمسير ذو الخمار مع العباس . فاطمن قلبه وطابت منهُ الانفاس * الى ان اتاه الرسول وحدثهُ بالخبر * فتنغص عيشه وتمرمر * وقال وحق رب الارباب * لقد حسبت لهم هذا الحساب ثم انهُ استدعى بعنتر وخفاف * ومن لهُ من الاصحاب والاحلاف واوقفهم على تلك الاخبار . وماجرى للقوم في تلك الديار * وما يقاسوه من الشدايد والاهوال ويعانوه من الذل والنكال فلما سمع عنتر ذاك الخطاب . اظهر الحزن والاكتياب . وقال مقري الوحش باهل ترى من قدم على هذه السرية . وسوف خيلها من تلك البرية . وفيها مثل ذي الخمار * الاسد الكرار . والبطل المغوار * فقال دريد يافارس الاقطار ومن يكون ذو الخمار عند نزول الاقدار . وطوارق الليل والنهار . فوحق رب الكاينات . ليس تحت السموات . الا من هو هدفا لسهام البلايا والافات * علي ان هذه النوبة . ما جات الا على ما يريده خفاف بن ندبة . لانهُ قد اضطرنا الامر ان نسير في صحبته . ونخلص العباس ومن معهُ في رفقته . وربما ظفرنا بالمتعجرمع ابيه . فيكون خفاف قد صبر ونال ما يشتهيه . فقال عنتر لا يصلح لمثلك ان

يسير وينعنى . بل اسيرانا مع خفاف في هذا المعني . ويكون في صحبتنا ماية فارس . من الابطال الاشاوس . واقضي هذه الاشغال . واخاص الاسارى من الاعتقال ولا اعود الا ببلوغ الامال * فقال دريد والله ياابا الابطال . اني لا اطاوعك على هذا المقال * ولا ادعك ان تخاطر بنفسك الى تلك الاطلال . بل اننا نسير جميعنا بالسوية * في خمساية فارس من اصحاب النخوة والحمية * وما نعود من تلك الديار . حتى نقلع من بني قضاعة الاثار * ونجعلهم مثلا لعرب القفار . على مدي الايام والاعصار . فقال عنتر الامر اليك . وها نحن بين يديك

قال محمد بن هشام * ثم انهم بعد ذلك الكلام . تفرقوا الي المضارب والخيام . واخذوا يتاهبون للسفر . وكان خفاف من افرح البشر * لانهُ ايقن بنوال القصد وبلوغ الوطر .

قال الراوي وكان الذي سرق خيل القوم من برية السبروت . الامير شيبوب البطل البهموت . وذلك لما سار العباس الى ديار بني قضاعة . مع من يلوذ بهِ من الجماعة . احترق قلب خفاف بنار الاشتعال . وخابت منهُ الامال لاسيما عند ما بلغته الاخبار . بمسير ذو الخمار . مع العباس الى تلك الديار . فقصد ابو الفوارس عنتر . وقص عليهِ ذلك الخبر * فقال لهُ عنتر وكيف يكون العمل . ودريد قد اشهد عليكما كل

Digitized by Google

سيد وبطل . واجل لكنا اياما معدودة * واوقات محدودة * حتى اذا غاب احد منا عن الخيام * وجرى على العباس امرًا من الامور والاحكام . اتهمه دريد دون كل احد من الانام . ونبقى نحن تحت العتب والملام . على مدى الايام . ولكن اذا عاد العباس بالفشل . ولم يبلغ الامل * فحينيذٍ ترى ماذا افعل فقال لهُ خفاف جزاك الله كل خير . ووقاك من كل بوس وضير * وما بقي في الامر الا انتظار العرضيات . والامور المقضيات . لان تلك الصبية اذا كانت من رزقي استدت في وجه العباس ساير الابواب وفتحها في وجهي مسبب الاسباب ثم انهم ان يعودوهو متبول الفواد مكمود . فرحمهُ الامير شيبوب . وقال له ازل عنك هذه الهموم والكروب . فانا ابلغك غاية المطلوب . واسد لك في وجه العباس ومن معه المسالك * واتركهم في البراذل من كلاب بني مالك . فارجع الى خيامك وعيالك * واخلي من هذا الحديث بالك فلما سمع منهُ ذلك الكلام . نهض قايمًا على الاقدام وشكره على ذلك الاهتمام * وطلب المضارب والخيام * وقد امل ببلوغ المرام

قال نجد بن هشام وبعد مسيرهِ الى خيامهِ وبخ عنتر شيبوبا على كلامه . وقال له وقد تالم من وعده . ولم يعلم بفكره وقصده ماذا تريد ان تفعل * من غريب العمل . اتريد ان تنتصر جهارًا لخفاف بن ندبة . وتجعل لنا حديثا ذميما في بلاد الغربة

Digitized by Google

فقال شيبوب . لا تغضب . ولا تلوم ولا تعتب * فوحق ذمة العرب وشهر رجب . لابد لي من عمل لايفطن بهِ احد * لا ابيض ولا اسود . قال عنتر وكيف ذلك . حدثني بما خطر ببالك . فقال اني اعلم ان الطريق الذي سار عليها العباس * ومن معه من الناس . وعرة المسالك . كثيرة الافات والمهالك براريها مقفرة . ومفاوزها موحشة موعرة . ومن جملتها برية السبروت . وهي ارض عديمة الما والقوت * اذا وقع فيها الانسان هلك ومات . من كثرت المخاوف والافات * لايسمع فيها غير صفير الجان وزمجرة الاسود وبربرة الغيلان . ونعيق البوم والغربان وهي تبعد عن هذه الاطلال * لمن يعرفها من الرجال . ثلاثة ايام مع الليال . وخمسة عشر يوما لغير عارفها . والجاهل يهلك فيها من كثرة مخاوفها * وقد عزمت الان ان اتبعهم الى ذلك المكان . واسرق ما معهم من الخيل تحت ظلام الليل * وافرقها في جوانب فلواتها * واتركهم رجالة في مفاوزها وربواتها حتى اذا سلموا من مهالكها وافاتها . ووصلوا الى غدير الما لايبقى منهم من يعي على نفسهِ من شدة الظما * وان كنت تريد لهم الهلاك والوبال * ايها السيد المفضال * فانا اذبحهم على بعضهم البعض . ولا ادع احدا منهم ينجو من تلك الارض

قال نجد بن هشام . فلما سمع عنتر من اخيهِ ذلك الكلام . ابدى الضحك والابتسام . وايقن ببلوغ المرام . وقال لهُ يا ابن

Digitized by Google

الكرام. اما هلاكهم في تلك الهضاب. فليس ذلك بصواب. لانهم
ربما يهلكون في ذلك البر الاقفر ويسلم بعضهم فينكشف الخبر.
ويقع علينا العتب والملام. من دريد وسادات العرب الكرام.
مابقيت الليالي والايام. واما اخذ خيولهم وتذريتها في جوانب
الفدافد. يكون لنا فيها جملة فوايد. لانهُ يلم بهم التعب والملل
وتدهمهم الامراض والعلل. وهم كالطيور بدون اجنحة. في تلك
البراري المكلحة عاجزون عن لقا الاخصام. لايفرقون بين النور
والظلام. فيرجع الى الديار من بقي. ويهلك من شقي. لانهم بغوا
على الاهل والاقارب. وادعوا بانهم اصحاب المراتب وارباب
المناصب. وفرسان المشارق والمغارب. غير ملتفتين للعواقب
ونبلغ نحن بعد ذلك القصد والمارب.

قال نجد بن هشام. فلما انتهى عنتر من هذا الكلام * نهض
شيبوب في عاجل الحال. كانهُ الثعلب المحتال واخذ اخاه جريرا
وسار وجد في قطع القفار * تحت ستور الاعتكار. حتى ادرك
العباس وذو الخمار ومن معهما من الاعوان والانصار

فلما ابصرهم عرج مع اخيه جرير. وانتظرهم بجانب الغدير * ولم تكن
الاساعة من الزمان * حتى وصلوا الى ذلك المكان. فنزلوا عن
الخيول. وسرحوها في تلك السهول. وتقدموا الى نحو الما وهم
كالموتى في صورة الاحيا. فشربوا وانطرحوا على وجه الارض
لا يعي بعضهم على بعض * فلما راهم شيبوب على تلك الحال.

Digitized by Google

ايقن ببلوغ الامال . وقال لاخيه جرير وحق رب الارباب .
لقد صح الحساب * فاسرع بنا حتى نسوق
الخيل . ونقطع هذه الارض قبل
ذهاب الليل * فاجابه الى
ما طلب . ونهض
كانه الثعلب

الى هنا انتهى الكتاب السابع والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد وسياتي
تمام الحديث عن
هذه الواقعة في
الكتاب الذي
يليه
م

Digitized by Google

الكتاب الثامن والخمسون

من سيرة عنتر بن شداد العبسي

وساقا الخيل عن اصحابها . وابعداها عن ركابها . وبعد ذلك جدا في قطع القفار . حتى وصلا الى الديار . وحدث شيبوب اخاه الامير عنتر . بما جرى وتدبر . ففرح بذلك واستبشر . واستدعى بخفاف بن ندبة وقص عليه ذلك الخبر . فزال عنهُ القلق والضجر . وايقن بنوال القصد وبلوغ الوطر . وتقدم الى عنتر وقبل يديه . وشكره واثنى عليه وقال لهُ والله يا ابا الفوارس ويا زين المجالس . قد جرى ذلك بسعدك ؟ وشمول نظرك على عبدك فقد خاب من عاداك واطال الله عمرك وبقاك

قال نجد بن هشام . فشكره عنتر على هذا الكلام . وابقاه ذلك اليوم عنده في خيامهِ . وزاد في اكرامهِ . وسقاه من صافي مدامهِ . وقد فرح ببلوغ مرامهِ . وتعجب من فعل شيبوب وحسن اهتمامهِ . وبعد ايام قليلة وصل رسول العباس الى الاطلال واعلم دريدا بواقعة الحال . وطلب منهُ الفدا من النوق والجمال فلما سمع منهُ ذلك المقال . صعب عليه . وكبر لديه . واحضر عنتر حسبما سردنا . وحدثهُ بالخبر كما اوردنا . واتفق رايهم على المسير

Digitized by Google

في ستماية فارس من الابطال المغاوير

قال مجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . وكانت الابطال المنتخبة من اشد الفرسان . منها ثلاثماية من بني هوازن وثلاثماية من بني عبس وعدنان . وباتوا تلك الليلة على اهبة السفر . ولما صار وقت السحر . خرجوا من الخيام . مثل اسود الاجام . وهم قد غاصوا في الحلق . وتنكبوا بالدرق . وركبوا الخيول السبق . وركب دريد بن الصمة وعنتر وابوه شداد . وخفاف بن ندبة ودثار بن روق وعروة بن الورد ومقري الوحش فارس الطراد . وساروا وهم يقطعون الفلوات . وعنتر قدامهم كانه سبع الغابات . وهو يترنم بهذه الابيات

رُبّ هيجاء قد ركبت اليها . قاصدا ما اردت عنها ازورارا
البس الدرع والحسام بكفي . وجوادي يعاود التكرارا
وسناني مركب في قناتي . حين يبدو يخلل في الكمي نارا
والحرب اذا اصطلاها بنوها . واثاروا بحربهن الغبارا
يصدق القول في اللقاء بضرب . مستبينٍ عندهن الديارا
رُبّ خيل لقيتها لا ابالي . حيث القى كماتها مغوارا
اننا معشرٌ اذا ما غضبنا . ضاقت الارض ثم عفن الديارا
فلنا الشرق والمغارب طرا . ولنا الارض تقتفي الاثارا
ان اقمنا خامت الناس طوعا . او اردنا الحروب سرنا جهارا
فاسالوا خثعما وكندة عنا . واخا الملك يوم سرنا وسارا

Digitized by Google

وبني مازن وعمروا وعكا اذ مررنا بهم نبيح الذمارا
كيف القوا جيادنا مسرعات اذ تبادرتهم هناك ابتدارا
وبني يشكر غداة اتونا مضوا حين ابصرونا فرارا
قرت العين من لجيم بن صعب ثم ذهل وقد سقيت مرارا
وشفينا النفوس من قوم طي واسرنا كماتهم سعدا وحارا

قال الراوي فلما انتهى عنتر من هذه الابيات . طربت لها الابطال والسادات . وهاجت في روسها النخوات * فعند ذلك تذكر دريد بن الصمة ماله من الوقايع والغارات . فجاش الشعر في خاطره فباح بما اكتم في ضمايره . فانشد وقال

هجرتك سلمة واستبد بدارها وعدت عوادي الحرب دون مزارها
دفعتك اركان العدو فاصبحت اجاء وجبة من قرار ديارها
ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء تطلعني على اسرارها
عبق المسك والعبير بجيبها وكان نضح دم على اضفارها
ولقد شهدت الخيل وهي مغيرة وشهدتها تعدو على اثارها
وحويت مغنمها امام جيادها وكررت اذ طردت على ادبارها
ولقد شفيت من الركاب ومشيها وزفيفها نفسي ومن اكوارها
نحن الاشاوس عند كل عظيمة اعيا على الاعدا حد شفارها
المنعمين على العفاة اذا رشوا والناهضين على العدى اوتارها
ضربوا سرادق باسهم في امة وحلوا معالم ارضها ومنارها
لبسوا الدروع على القلوب فدوخوا ارض العدى واستاصلوا اقطارها

قال الراوي ولما انتهى دريد من هذا المقال . انشد خفاف بن ندبة وقال

الا طرقت اسما من غير مطرق وانى اذا حلت بنجران ناشق
سرت كل واد دون رهوة دافع فجلدان او كرم بلية مغدق
تجاوزت الاعراض حتى توسدت وسادي لدى باب من الدور مغلق
بغر الثنايا خيف الظلم بينه وسنة ريم بالجنينة موثق
ولم ارها الا تبية ساعة على ساجر او نظرة بالمشرق
ويوم الجميع الحابسون براكس وكان المحاق موعدا للتفرق
بوج وما بالي بوج وبالها ومن يلق يوماجدة الحب يخلق
وابدى بشمس الحج منها معاصما ونحرا متى يحال بو الطيب يشرق
فاما تريني اليوم اقصر باطلي ولاح بياض الشيب في كل مفرق
وزايلني زين الشباب ولينه وبدلت منه جرد اخر مخلق
فعترة مولى قد نعشت باسرة كرام على الضرا في كل مصدق
وغمرة مخمور نفشت بشربة وقد ذم قبلي ليل اخر مطرق
ونهب كجماع الثريا حوينه غشاشا بمجتاب الصفاقين خيفق
ومعشوقة طلقتها بمرشة لها سنن كالاتحمي المخرق
فابت سليبا من اناس تحبهم كيبا ولولا طلعتي لم تطلق
بخيل تنادي لا هوادة بينها شهدت بمذلول المعاقم محنق
عظيم طويل غير جاف نما به سليم الشظا في مكربات المطبق
عريض اطراف العظام مشرف شديد مشك الجنب نعم المندلق

Digitized by Google

من الكاتمات الربو ينزع مقدما ... سبوق الى الغايات غير مسبق
اذا ما استحمت ارضهُ من سمايه ... جرى وهو مودوع وواعد مصدق
وباص الشمال طعنهُ في عنانهِ ... وباع كبوع الخاضب المتطلق
وعتهُ جواد لايباع جنينها ... لمنسوبة اعرافها غير محمق
بصير باطراف الحداب ترى لهُ ... سراة تساوي بالطراف المروق
ومرقبة يزل عنها قتامها ... يمامتها منا بضاح مذاق
تبيض عناق الطير في قذفاتهِ ... كطرة باب الفارسي المغلق
ربات وحرجوج جهدت رواحها ... على لاحب مثل الحصير المنمق
نبيت الى عد تقاوم عهده ... برود انقا حر النهار بغلفاق
كان محافير السباع حياضهُ ... لتعريسها جنب الازار المخرق
معرس ركب قافلين بضرة ... صراد اذا ما نارهم لم تحرق
فدع ذا ولكن هل ترى ضو بارق ... يضي حيا في ذراتي مالق
على الاتم منهُ وابل بعد وابل ... فقد رهقت قيعانه كل مرهق
وجر باكناف البحار الى الصلا ... ربابا لهُ مثل النعام المعلق
فابلي سقا يعلو العضلة غشاوه ... يصفق منها الوحش كل مصفق
فجاد شروري فالستار فاصبحت ... تعارلهُ فالواديان بمودق
كان الضباب بالصحارى غدية ... رجال دعاءم مستضيف لموثق
لهُ حدب يستخرج الذيب كارها ... يهز القنا عند غان بمطاق
يخرجها راس خسيف كانهُ ... تخامر طلع في ذراع ومرفق
كان الحداة والمشايع وسطهُ ... وعوذا مطافيلا بامعز مصدق

Digitized by Google

قال نجد بن هشام . ولم يزالوا سايرين ثلاثة ايام . وهم يقطعون الفيافي والاكام . وفي اليوم الرابع عند طلوع النهار . وصل بهم شيبوب الى برية السبروت وتلك الديار . فانزلهم في بعض الاكام . الى ان اظلم الظلام ثم رحل بهم تحت جنح الليل . على ظهور النجب والخيل ولم يزال يسير بهم على تلك الحال مدة خمسة ايام مع الليال حتى اقتربوا من تلك الديار وبانت لهم الرسوم والاثار فقال لهم شيبوب خذوا اهبتكم للحرب . واستعدوا للطعن والضرب . فقال عنتر هذا امل بعيد ونحن لا نلبس الحديد الا حتى نصل الى ديار العدا . وننزل بهم الردا . فقال شيبوب قد قلت لكم ايها الابطال المغاوير * ان تحترصوا على انفسكم وتقبلوا ما به اشير . وقلبي يحدثني ان بني قضاعة * مكمنين لنا في هذه الساعة . وقد حسبوا حسابنا * وعلموا بسيرنا وذهابنا وانا اقول انهم ماسكين علينا روس الغدران والمنابع حتى نخرج من هذه الارض والمصانع . ويصطادونا صيد الوحوش الروائع * فقال دريد وحق خالق البشر . لقد نظرت ياشيبوب موضع النظر . وكل من لا يمشي على حذر . لا يامن صروف القضا والقدر

قال نجد بن هشام . فلما سمعوا من شيبوب هذا الكلام . استعدوا الاستعداد التام . وباتوا تلك الليلة في ذلك المكان . وكان حساب شيبوب ممن اختبر الزمان . لان الملك فايزابو

Digitized by Google

غمرة . كان قد سار في هذه المرة . في ستة الالاف فارس من
اهل الشجاعة والقدرة . ونزل بهم بقرب تلك الهضاب . لانه
كان قد حسب ذلك الحساب . وقرا عنوان الكتاب . وعلم ان
العباس وذو الخمار . ما ارسلا في طلب الفدا من الديار . الالجي
دريد بالابطال . حتى يخلص الاسارى من الاعتقال . ولما وصل
الى الغدران . اقام هناك بمن معهُ من الابطال والفرسان .
وكان ولده المتعنجر . الفارس المقتدر . ياخذ في كل يوم الف نفر
من الابطال . ويدخل بهم في البراري الخوال . حتى يصل الى
ثنية الغزال . ثم يرتد راجعا عند اخر النهار بمن معهُ من الانفار
وكان ابوه قد قال لهُ انك متى رايت الخيل قد ظهرت
والفرسان قد نفرت . احمل عليهم في الحال . وبادرهم بالحرب
والقتال . وارسل اعلمني بالخبر حتى ادركك بالعسكر . ونقلع
منهم الاثر

قال سعيد بن مالك . وما زال على مثل ذلك مدة ثلاثة
ايام على التمام . وفي اليوم الرابع عند طلوع الشمس . اشرفت
عليهم فرسان بني هوازن وعبس . وهم يجرون من خلفهم سمر
الرماح . ويهزون في اكفهم مضارب البيض الصفاح . وفي اوايلهم
البطل الجواد . الامير عنتر بن شداد . ولما وقعت العين على
العين . هجمت على بعضها الطايفتين . فلما ابصر المتعنجر تلك
الحال . تضعضعت منهُ الاحوال . والتفت على من حوله

من الفرسان وقال . هذه والله طليعة دريد قد ظهرت . والخيل
الذين نحن بانتظارها قد حضرت . فدونكم واياهم . ما دام انهم
على اثر ظلامهم . ثم انهُ ارسل رجلا يعلم اباه بذلك الخبر . وصاح
في جوشه فحملت على الاثر . ولما اختلطوا ببعضهم البعض .
ارتجت من وقع حوافر خيولهم جوانب الارض . والتقت الرجال
بالرجال والابطال بالابطال وجرى الدم وسال . وعظمت الاهوال
ولم تكن الا ساعة . حتى استظهرت بنو عبس على بني قضاعة .
وطعنت فيهم طعنا بقوة وشجاعة . وكان الامير عنتر . عند حملته
على ذلك العسكر . اشار لدريد بالوقوف تحت الاعلام . واراد
بذلك تعظيما لقدره بين فرسان الانام . فلم يمتثل الى ذلك
الكلام . بل انهُ هجم هجمة الاسد الريبال . في جملة الابطال .
وسطى عليهم واستطال . واما عنتر بن شداد . فانهُ نهب الارواح
من الاجساد . وبدل صلاح القوم بفساد . وما زال يضرب
فيهم بالحسام . ويطعن بالرمح اللهذام . حتى وصل الى المتعنجر
وهو تحت الاعلام . وكان قد ابصرهُ ينخي الابطال . ويهيج في
الحرب مثل غول الجبال . فصال معهُ وجال . وصدمهُ صدمة
تزعزع الجبال . وما زال يحاربهُ . ويطاعنهُ ويضاربهُ . حتى
اتعبهُ . واضجرهُ واكربهُ . وطعنهُ بالرمح في جنبهِ فاقلبهُ . فوقع
عن ظهر الجواد . كانهُ طود من الاطواد . فادركهُ شيبوب وشده
بالكتاف . وقوى منهُ السواعد والاطراف . وقوم من بعدهِ في

Digitized by Google

بني قضاعه التلاف وزعق فيهم البوم والغراب . وتمدد اكثرهم
على وجه التراب . وما تنصف النهار . حتى قتل منهم خمسماية
فارس كرار . وهرب من بقي الى الدياز . ونزلت بنو عبس وهوازن
في ثنية الغزال . واخذت لانفسها الراحه من الحرب والقتال .
وقال دريد لمن حوله من الرجال . قدموا لنا الاسرا حتى نسالهم
عن اصحابنا وما تم لهم وجرى . فامتثلوا الى ما امر . وفعلوا كما
ذكر . وفي اقل من لمح البصر . احضروهم الى قدام دريد وعنتر .
وكان من جملتهم المتعنجر بن فايز . صاحب تلك الارض والمفاوز
فسالهم دريد عن ذي الخمار والعباس . ومن في صحبتها من الناس
فحدثهُ المتعنجر بواقعة الحال . وما جرى لهما في القتال . ومن قتل
لهما من الابطال . وانهما عند اخته غمرة في الاسر والاعتقال .
واعلمهُ بان اباه الامير فايز نازل على الغدران والمناهل . في ستة
الاف من فرسان قومهِ الافاضل . فلما سمع دريد وعنتر منهُ ذلك
المقال . صعب عليهما قتل الرجال . وكان دريد قد فرح
واستبشر . وايقن ببلوغ الوطر . لما علم ان المتعنجر . قد اسر .
وانهُ هو ذلك الرجل المقتدر . الذين جالوا في طلبهِ . وجرت
تلك الامور بسببهِ . فالتفت على عنتر وقال . ها قد انقضت
الاشغال . وبلغ خفاف غاية الامال . وما بقي في الامر الا الحرب
والقتال . وخلاص اصحابنا من الاسر والاعتقال . فقال عنتر
لقد صدقت . وصوابا نطقت . لان الضعيف يدرك بسعادته .

Digitized by Google

راوهم تركوا المنهل وتقدموا على عجل فقال دريد يا ابا الفوارس
ويازين المجالس . ان القوم قد ملكوا علينا الما . ويريدون ان
يضعفونا بالعطش والظما . والصواب ان نبادرهم بالقتال . والحرب
والنزال . فان البدرة لمن بدر . وان لم نكشفهم عن الما بالسيف
الابتر . وصل الينا منهم الضرر . فقال عنتر وحق خالق البشر
الذي لا يعرف له مكان ولا مستقر ولا يدرك بقياس العقل
والنظر . لو ان على الما امة ربيعة ومضر . لاحرمتهم ان يبلوا من
الما اكبادهم . ولا بد لي ان اطير جماجمهم من اجسادهم * فاحمل
انت اليوم يا ابا النظر وابصر مني العجب والعبر

قال مجد بن هشام . ولما انتهى عنتر من هذا الكلام . صاح
وحمل . بقلب اقوى من الجبل * وفعل دريد مثلما فعل *
وتجارت من خلفها الرجال . مثل ليوث الدحال * والتقت
الابطال بالابطال * وجرى الدم وسال . وعظمت الاهوال .
وتزلزلت الارض بالزلزال . وهجم عنتر على الاعدا واستطال *
وكذلك فعل مقري الوحش الاسد الريبال . وخفاف بن ندبة
ودثار . وعروة بن الورد البطل المغوار . واظهر ما عنده من
شدة الباس والاقتدار

قال الراوي وكان للقوم ساعة يالها من ساعة اقشعرت منها
الجلود . ولانت من شدة حرارتها الحجر الجلمود . وبيعت فيها
الارواح بلا ثمن * وسالت الدما على الاطلال والدمن وكثرت

Digitized by Google

المخاوف والفتن . وصار الدرع لصاحبه كفن * وبطلت في ذلك
اليوم الفرائض والسنن . واجتهدت بنو قضاعة ان ترد اعاديها
عن الماء فما قدرت * وقد اهالها ما رات وابصرت . وانحلت عزايمها
وتاخرت . واشتد عليها الحصر * وخاب املها من النصر . فعادت
على الاعقاب . وانقلبت ايشم انقلاب * وتفرقت بين الروابي
والهضاب . وعاد فايز وقد راى حلول الانتقام . وهو يذم اصحابهُ
على الانهزام . ويقول لهم وحق البيت الحرام . وزمزم والمقام . لقد
افتضحنا بين الانام . وصرنا مثلا على مدى السنين والاعوام *
ومن الصواب * والامر الذي لا يعاب . ان نرجع الى الاطلال
وندافع عن الحريم والعيال * فقال لهُ بعض الرجال . اعلم ايها
السيد المفضال * انهُ لا يقدر على قتال دريد بن الصمة وكشف هذه
الغمة . الا ابنتك غمرة . صاحبة الشجاعة والقدرة * لانك قد شاهدت
ما جرى وكان في هذا اليوم العظيم الشان * وكيف قد هلكت الابطال
والفرسان . بين الضرب والطعان * فقال لهم وحق ذمة العرب
وشهر رجب اني ما رجعت من معركة الحرب * ومقام الطعن
والضرب * خوفا من دريد واحتسابا منهُ . وما رجعت عنهُ
الا فزعا من ذلك الفارس الاسود . والبطل الاوحد . الذي نارهُ
في الحرب لا تخمد * لاني انذعرت من حملاتهِ * وانبهرت من
شدة طعناتهِ فعلمت ان امرنا ال الى النفاد . وان صدقني حذري
فهو عنتر بن شداد فارس الطراد * التي كانت تصل الينا اخبارهُ

Digitized by Google

وتنشدنا العرب اشعاره وان كان ذلك صحيح من دون ريب ولا تلويح فانها والله مصيبه ظاهرة. لا نقدر على دفعها الا بالمكاثرة ومتى وصلت الى اوطاني * انفذت الى جميع جيراني * واصدقائي وخلاني وكاتبت بنو كندة . واستعنت بهم علي دفع هذه الشدة

قال نجد بن هشام * ثم انهُ بعد هذا الكلام . جد في قطع البراري والاكام . تحت جنح الظلام * وكان عنتر قد عول ان يتبع المنهزمين * ويهلكهم اجمعين * فما مكنهُ دريد من ذلك وقال لهُ اعلم يافارس المعارك اننا في طايفة قليلة من الرجال . وهذه الارض بين ايدينا كثيرة البراري والتلال . ومن الصواب ان لا نسير في هذه القفار الا عند طلوع النهار ثم انهم نزلوا على المناهل والغدران . وافتقدوا من قتل لهم من الفرسان . فوجدوا قد فقد منهم احد عشر . ستة من اصحاب ابي الفوارس عنتر . وخمسة من اصحاب دريد البطل القسور . وكان من جملة المفقودين عمرو اخو عبله . فضاق صدر عنتر وتكدر عيشه بالجمله * فقال لهُ مفرّي الوحش لا تضيق صدرك ايها السيد الخطير . فكلنا الى هذا المصير . لان الانسان لا يعلم ان كان عمره طويل او قصير لان الذي يلاقي كل يوم بصدره شفار السيوف القواضب . واسنة الرماح الكواعب . لا يمكن ان يكون طول الدهر سالم غير عاطب وانت اخبر في العواقب . وعندنا من اسارى بنو قضاعة ما ناخذ لهُ بالثار . ونمحي بقتلهِ العار . فقال عنتر اعلم يافارس النياق

Digitized by Google

اواتيت الى عمي بكل من في ارض الحجاز والعراق . وقلت لهُ
خذ هولا بثارك واسقهم كاس المهالك . ما كان يرضى بذلك .
فقال شيبوب يا اخي ان كنت خايف على عمرو فانا اسير في هذه
الساعة خلف المنهزمين من بني قضاعة . واختلط بهم . واقيم
مختفيا بين مضاربهم . حتى اذا نفرت اليكم الفرسان والابطال .
دخلت انا بين الخيام واخلص عمرو من الاعتقال ومن اقدر عليهِ
من الرجال . فقال عنتر هذه ولله عادتك ياشيبوب . وان
قدرت على هذا الامر ازلت عنا الهموم والكروب . ثم ان شيبوب
بعد هذا الخطاب . جد في قطع الهضاب

قال الراوي هذا ما كان من شيبوب المحتال . واما ما كان
من فايز ابو غمرة ومن معهُ من الرجال . فانهُ ما زال في هزيمتهِ
حتى اشرف على الاطلال . فنظر اهل الحي خارج المضارب . وهم
محدقون بفارسين من كل جانب . وبين ذينك الفارسين
طعنا يذهل النظر . وضربا لا يبقي ولا يذر . فاندهش فايز
وتحير . وتقدم ليكشف الخبر . ولما ابصر القوم سيدهم قد اقبل
بادروا اليه في العجل . وسالوه عن سبب قدومهِ الى الاوطان
فحدثهم بما جرى وكان . وقال لهم في اخر الكلام . ما بالكم خارج
الخيام . ومن يكونا هذان الفارسان . اللذان يقتتلان . فقالوا
اعلم ايها السيد المحترم . والليث الغشمشم . ان الواحد منهما
ابنتك غمرة فارسة الاقطار . والثاني اسيرها ذو الخمار . وقد

Digitized by Google

اطلقته نهار امس من عقاله . وقضت نهارها في قتاله . وما فيهما من قدر على صاحبه في القتال . ولا ربح عليه في المجال . ولم يزالا يتضاربان بالسيف البتار . ويتطاعنان بالرمح الخطار . الى هذا النهار

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك . ان ذو الخمار لما قطع كنانة وطلب الفرار . وادركته غمرة في عاجل الحال واسرته في عرصة المجال . اراد ابوها ان يقتله . ويجعل من الدنيا مرتحله . فما مكنته من ذلك الشان . لانها كانت تحب قتال الفرسان . ومبارزة الشجعان . ولا سيما عند ما حدثها بانه ما اسر الا وهو تعبان . فاعادته الى الشد والوثاق . كما تقدم السياق . واوعدته انها سوف تطلق له السراح . اذا استراح . وبري من الم الجراح . تبارزه في معركة الطعان . امام الابطال والفرسان فان هو قهرها اعتقته . وان هي قهرته قطعت ناصيته واطلقته . ولما خلي الحي من الرجال . وسار ابوها من الاطلال . بالفرسان والابطال * كانت غمرة تفتقد ذو الخمار * وتصرف معه اكثر النهار * وتطيب قلبه * وتزيل خوفه ورعبه * وتسأله عن ابطال الزمان * ومن يكون اشد منه بين الشجعان * وتحدث معه في امر الحرب والطعان * وكان ذو الخمار يحتقر نفسه غاية الاحتقار * ويحترق قلبه بلهيب النار * عند ما يتامل بمقاومتها له تحت الغبار * وهي معدودة من البنات الابكار * ويذم

Digitized by Google

الزمان . الذي اوصل الشجاعة الى النسوان . ومن شدة ما جرى عليه . ووصل اليه طلب منها البراز والقتال . املا بالخلاص من شرك العقال . فاتته بجواد كما اراد . وحكمته في الة الحرب والجلاد * وقاتلته القتال الشديد الذي ما عليه من مزيد . وما زالا في اشد قتال وحرب ونزال . الى ان ولى النهار . واقبل الليل بالاعتكار * فافترقا على سلامة * وما فيهما من علم على صاحبهِ بعلامة * وكانت قد حدثتها نفسها ان تتزوج بهِ وكان هو ايضا قد خطر ذلك الامر بقلبهِ * فمنعها الحيا والخجل خوفا من الفشل * وفي اليوم الثاني خرجا الى الميدان * ومقام الحرب والطعان . * وجرى بينهما من العجايب والاهوال * ما يحير عقول الرجال * ويشيب روس الاطفال * ولم يزالا في اشد قتال وحرب ونزال * الى ان وصل ابوها فايز * وهو مهزوم عاجز * وسال ذلك السوال * ولما وقف على حقيقة الحال التفت على ابنته ولامها على تلك الفعال * وقال لها ويلك يا غمره * لقد كسرتنا قوم هذا الرجل كسره واي كسره * وقد قتلت سادتنا ورجالنا * وهلكت فرساننا وابطالنا . وانتِ في كل يوم تخرجين معهُ الى الميدان * وتبارزيه امام الابطال والفرسان * ثم انه حدثها بالقصة من اولها الى اخرها * واوقفها على باطنها وظاهرها

قال محمد بن هشام * فلما سمعت من ابيها ذلك الكلام

Digitized by Google

تغير لونها واضطرب كونها وطار من عينيها الشرر . وكاد قلبها ان ينفطر * وقالت لابيها وكيف تم عليك هذا الحال . وانت كنت في ستة الاف من الابطال . وصناديد الرجال * وفعلت بكم سمائة فارس هذه الفعال على ان اخي المتعجرف يلاقي وحده هذه العساكر . فقال لها وحق ذمة العرب وشهر رجب * اول ما اسر اخاك في الميدان . واين تبعونا الى هذا المكان : يكون لنا معهم وقعة تذكر على مدى الزمان . فلما سمعت غمرة مقاله . انذهلت مما ناله وقالت له يا ابتاه وكيف هذا الحال . وهل انت كافحتهم في المجال . فقال لها كنت ارسلت اخاك الى ثنية الغزال . ومعه الف فارس من الابطال . فظهروا هولا الانذال فاسروه هو ومن معه من الرجال * وقد ساعدتهم عليه العناية . وما سلم من اصحابه الا دون المائة . وقد حدثني بعض اصحابه بان فارس اسود طعنه كسر له ضلعين . وطرحه من ظهر الجواد اكثر من رمحين وبعد ذلك التقيتهم انا في جبابرة بني قضاعة . فما قدرنا ان نقف بين ايديهم اكثر من ساعة * فدعي عنك المطال وناديي فيمن بقي هنا من الابطال . وخذي اهبتك للحرب والقتال . فان القوم لنا تابعين وعلى قلع اثارنا معولين . واني اريد ان انفذ الى جيراننا بني كندة . واستعين بهم على كشف هذه الشدة : واطلب منهم النصرة والنجدة . فقالت غمرة لا وحق من شق الاعين . وانطق الالسن . لا تركتك تستنجد باحد . ولا تركت من هذه السمائة

Digitized by Google

فارس لا ابيض ولا اسود . ولا نزلت عن هذا الجواد * حتى اشفي
قلبي من هولاء الاوغاد . الذين دخلوا الى هذه البلاد . وامكن
حسامي من رقبة ذلك الاسود الذي وصفتهُ بين العباد . فاجمع
انت هذه القبايل من كل فارس وراجل . واتبعني بابطال
بني قضاعة * في هذه الساعة * حتى اريك ما يسرك * وامنع
عنك ما يضرك . ثم انها همت ان تركض بجوادها * وتلتقي
بنو عبس وهوازن بقوة عزمها وجلادها * وتعيد ذو الخمار الى
الشد والاعتقال . وتوكل عليه بعض الرجال . حتى ينفصل
الحال * فقال لها ذو الخمار اتركي الاعجال * واعذري اباك فيما
قال . لاني انا من اعرف الناس بمن لاقى من الابطال . لاسيما
شجاع بني عبس الاسود . وفارسها الاوحد . الذي لا يشبهه احد
بين الناس في الشجاعة وقوة الباس * وقد وافقته مع فروسيته
سعادة . ولرب السما فيه مشية وارادة * وانا من جملة اسراه في
الميدان . وقد بارزني في ارض بني عامر وانا تعبان * وكنت قد
كسرت قومه وهم ستة الاف وخمسماية عنان * وانا وحق الاله
الديان . الى الان في قلبي منهُ النيران . وغاية حسرتي ان ابارزه
مرة ثانية . امام الشجعان . ثم انهُ حدثها بما جرى وكان . ونزول
عنتر على دريد بن الصمة وتلك الاوطان . وكيف انهُ قصد ان
يبارزه بين الابطال والفرسان . فمنعهُ دريد عن ذلك الشان
وقال هذا نزيلي وجاري وخليلي . وما اترك احد من الانام ان يجرد

Digitized by Google

في وجهه الحسام . مادام انهُ قد طاب عندي المقام . وان كان
ياغمرة قد أسر عنتر اخاك . فما بقيت تريه ولاهو يراك . ثم حدثها
بما جرى للعباس وخفاف بن ندبة من جهة الصبية . واطلعها
على باطن تلك القضية . وكيف قارع دريد بين الاثنين وكيف
وقعت القرعة على العباس مرتين . فلما سمعت غمرة من ذي الخمار
تلك الاحاديث والاخبار . تعجبت كل العجب . وقالت لهُ وحق
ذمة العرب . ان كان اخي قد قتل واندثر . لا ابقيت من رفقاك
من يخبر بخبر . ولا بد لي ان اضرب رقابهم بالحسام . واما انت
فقد جرى بيني وبينك شرط وكلام . فلا اخلفهُ لاجل اكلي
معك الطعام . ولا بد لي معك من وقعة الا ننصال اذا رجعت
من القتال . ثم انها بعد ذلك المقال . عولت ان تعيدهُ الى
الاسر والاعتقال . وتسير الى قضاء الاشغال . فقال لها ذو الخمار
وقد انبهر وحار . لا تعيديني الى الاغلال والقيود . بحق من
افنى قوم عاد وثمود . وانبع الماء من الحجر الجلمود . وجعل السما
فوقنا مثل الرواق الممدود . ولكن استحلفيني بما شئت من
الايمان . ويلعن الله الكاذب الخوان . وخذيني معك في جانب
هذا العسكر . ودعيني اتفرج على قتالك مع عنتر . فان اسرتيه
تحكمي فيهِ . وان وقعت اسيرة في يديه . خرجت انا اليه
وقصيت شهوتي ببرازه وحينئذ يبان ذل احدنا من اعزازه . واذا
بانت شجاعتي من شجاعته بين الفرسان والابطال . امرت دريد

Digitized by Google

بن الصمة باطلاف لخالك من الاعتقال. ومن معظمين الرجال ومعودعن يد بلركم بسلام ونجعلكم لنا اصدقا على ممر الليالي والايام فلما سمعت غمرة منه ذلك الخطاب علمت انه غاية الصواب فاخذت عليه العهد والميثاق. انه لا يميل الى الغدر والنفاق * وتاهبت من يومها. مع سادات قومها * وسارت في تسعة الاف فارس. من كل ليث عابس وبطل مداعس وسار معها ابوها وذو الخمار. وجدت في قطع القفار. وهي كانها اللبوة الفاقدة الاشبال مستعدة للحرب والقتال ولما تمادى بها السير والترحال. انشدت تقول

اذا الرزايا شمرت اذيالها وحاربتني وقد رمت نبالها
صددتها بهمة لو صدمت جبال نهلان رمت جبالها
قد عاركتني النايبات وانثنت حايرة لما رات ما هالها
لو ان للنسوان بعض همتي ونخوتي ما طاوعت رجالها
خلقت للحرب اشوش اهلها والتقي يوم الوغى ابطالها
بلغ بنو عبس مقالة لبوة يهتز في حد سيفها مقالها
اني اردخيلها يوم اللقا خالية قد وطيت رجالها
ترجف عن مسيرها وتنثني خايفة قد ابصرت اهوالها
انعلها جاجم اذا اشتكت حر الحصا او عدمت نعالها
نال المعز من المجد الرفيع مراتبا عالية بدر للسما ما نالها
والسيف والرمح الكمي بها قد سطا اذا النفوس حققت اجالها

Digitized by Google

وما سباع الغلب مثل لبوة ضارية قد فقدت اشبالها
تفزع جن الارض من صوتها اذا رات تحت الدجى خيالها
فسل لعبس وهوازن بعدها اذا شهدت يوم اللقا فعالها
واتصلت سمر الرماح والقنا وقصرت بيض الظبا افعالها
اكر فيهم كرة معروفة اذا التقت باقرانها ابطالها

قال الراوي وكانت غمرة تنشد هذه الابيات وذو الخمار يتعجب من فروسيتها . وعلو همتها . ويذم الزمان كيف اوصل الفروسية الى النسوان . الا انه امل ان يبلغ بها المراد . من عنتر بن شداد

قال محمد بن هشام . ولم يزالوا سايرين يقطعون الفيافي والاكام . الى ان التقوا بالقوم في ثاني الايام . وكان وصولهم اليهم عند اقبال الظلام . فلما ابصرهم عنتر . فرح واستبشر . وامر اصحابه بالوقوف على ظهور الخيل . وما زالوا على مثل ذلك حتى انتشرت اجنحة الليل . ووصلت مواكب بني قضاعة وضجت من كل جانب . وانقسمت فرق ومواكب ونزلت غمرة في مقدمة العساكر . وهي تهم كانها الاسد الكاسر . وتعض على ايديها كيف انها لم تلتقي اعداها من اول النهار حتى كانت تشفي قلبها منهم بطعن الرمح وضرب السيف البتار . ومن شدة ما وصل اليها . وجرى عليها . ما نزلت في الخيام . ولا حضرت مع ابيها على الطعام . بل انها غيرت جوادها . والة حربها

Digitized by Google

جلادها . وتولت الحرس بنفسها . ولم تتكل على احد من ابناء
جنسها . ولا من ذوي الجوار لئن يساعدها . فاقسمت انها ما تبات
الا منفردة وحدها . ولا تعاني الامور الا بقوة ساعدها وزندها .
قال الراوي ونزلت بنو هوازن وعبس وعدنان . في ذلك
المكان . وهم مثل الظعن السابر . امام تلك الاحزاب والعشاير
وتولى حرسهم عنتر ودريد بن الصمة . الذي كل فارس منها
اتقى قبيلة وامة . ولما تنصف الليل . وهدات اصوات ركاب
الخيل . حلف عنتر على دريد باعظم الاقسام . ان يرجع الى
الخيام . وخلى عنتر بنفسه في الظلام . واخذ يتامل في امر اخيه
شيبوب ويتفكر . الى ان صار وقت السحر . فاجمع رايه ان يدنو
من بني قضاعة الاقيال . وينظر من اي طريق يتطرق عليهم
بالقتال . ويفني ما معهم من الابطال . فلكز جواده الابجر .
وتقدم الى نحوهم بقلب اقوى من الحجر . ولما اقترب من العسكر
التقى بجمرة وهي تصارع النعاس . وتترقب احوال الناس . فمال
اليها . وهجم عليها . وقد ظن انها من الابطال . وكماة الرجال .
وكانت هي ايضا عند ما راته . صاحت فيه وطلبته . فالتقاها
ثابت كالجبال . واشتد بينهما القتال . واخذا في بينهما المضارب
بالسيوف الصقال . والرماح الطوال . ولم يزالا في اشد ضراب
وطعان . وقتال تشعوذ منه مردة الجان . حتى تعبت من تحتهما
الخيل وهما اشرفا على الهلاك والويل

Digitized by Google

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح .
افتقدت بنو عبس الامير عنتر . فلم تقف له على خبر . فاخذهم
القلق والضجر . وعاودتها الاوهام والفكر . واجتمع مفرج الوحش
بدريد بن الصمة . وسأله عن عنتر كاشف الغمة فقال اعلم ايها
الليث الغشمشم . انني كنت انا واياه نجول على ظهور الخيل .
الى نصف الليل . وبعد ذلك حلف عليَّ باعظم الاقسام . ان
ارجع الى الخيام . وانه يتولى الحرس وحده . وهذا الذي اعلمه
واعهده . ثم ان دريدًا اراد ان يرسل من يكشف له خبر عنتر
فلم يقدر من قلة العسكر . لانهم ستمائة فارس . امام تسعة الاف
بطل مداعس . وكان قد ابصر المواكب . قد تبادروا من كل
جانب . وهزوا في ايديهم القواضب . فخاف من الانكسار .
وحلول الدمار . على بعد الديار . فضاق صدره واشتعل قلبه
بنار . على فقد عنتر البطل المغوار . والليث الكرار . ثم انه قوى
قلوب الفرسان . ممن يعتمد عليهم من الشجعان . وقال لمقدمين
العساكر . وفرسان العشاير . لا يكون قصدكم ايها السادة الكرام
الا الرايات والاعلام . حتى اذا ظفرنا بغلبة ابو عمرو انهزم جيشه
وتفرق في جوانب الصحرا . وبعد ذلك نكتشف خبر عنتر .
ونقتفي منه الاثر

ثم قال الراوي وكان فايز قد افتقد ابنته عميرة عند السحر
فلم يقف لها على خبر . فقال لابطاله [illegible]

لمهله وخلانه . ما اقول الا ان ابنتي قد سارت من خلف القوم وحدها . حتى اذا كسر نام النقهم بقوة زندها . لاني اعرف قوتها في الحرب . وخبرتها بمواقع الطعن والضرب . ومن الصواب . والامر الذي لا يعاب . ان ارسل لمعونتها الف بطل . واقول لهم ان يقتفوا اثرها على عجل

قال نجد بن هشام . ثم انه بعد هذا الكلام . امر بعض امرا عشيرته . ان يسير بالف فارس خلف ابنته . وركب هو في باقي الرجال . وزحف بطلب الحرب والقتال . قال وكان الجبان العاجز . يقول والله يا امير فايز . لقد اخطات غمرة في مسيرها عن العسكر . وما نحن الا في مقام الخطر . لان هولا الرجال . ما دخلوا الى هذه الاطلال . في ستماية فارس من الابطال . الا وفي انفسهم انهم يلقونا . ويملكون ارضنا ويهلكونا . فقال لهم فايز وقد تعجب . والله يا وجوه العرب . ما فعلت ابنتي الا على قدر خبرتها . وقوة بطشها وقدرتها . وانا اعلم انه اذا طال عليها الانتظار . وانقطعت عنها الاخبار . جاءت من خلف اعداكم . وبلغتكم من هلاكهم مناكم

قال نجد بن هشام . وما زال فايز يطيب قلوب قومه بمثل هذا الكلام . حتي حملوا بهم جرية . وقلوب قوية . ومالوا الى ناحية بني هوازن وتجنبوا الفرقة العبسية . لان الذي عرف عنتر وابصر فعاله . تجنب حربه وقتاله . وكان ذو الخمار قد قصد

Digitized by Google

طايفة بني عبس وعدنان . دون قبايل العربان . املا ان يقع بعنتر بن شداد . حتى يشفي منهُ غليل الفواد . فالتقاه مفري الوحش . بشجاعة وقوة بطش . وبذل في قتاله المجهود . حتى تعجبت من قتالهما العساكر والجنود . وقد انذهل مفري الوحش من شجاعة ذي الخمار . ولم يعلم من هو من الفرسان الكبار . وظن انها غمرة حامية تلك الديار . ودام بينهما الطعن والضرب . حتى اسود الشرق والغرب . وكان للقوم يوما لا تصفهُ الواصفون واوقات لا يهتدي اليها الذاكرون . فلله در دريد الاسد المصور . وما فعل في ذلك اليوم المذكور . لانهُ طعن في الصدور واجرى الدما من انابيب النحور . وقد علم بان اتكال العسكر . كان عليهِ في غياب عنتر . فقاتل القتال المنكر . ونثر الكفوف مثل اوراق الشجر . ولولا ذو الخمار الاسد الريبال . كانت بنو عبس نكلت في بني قضاعة غاية النكال . وانما وقف في وجوههم مثل الاسد الكاسر . وجرح جماعة من سادات العشاير . وكان يطلب عنتر تحت الغبار . فلم يقف لهُ على اخبار . ولولا مفرى الوحش يرد شره عن بني عبس وعدنان . كان اهلك الابطال والفرسان . وما زال السيف يعمل . والدم يبذل . والرجال تقتل ونيران الحرب تشتعل . حتى ولى النهار . واقبل الليل بالاعتكار . فعند ذلك افترقوا عن بعضهم البعض . ونزلت كل طايفة منهم في ناحية من الارض * وكان قد اصاب دريد من

Digitized by Google

فقد عنتر * ما لا اصاب احد من البشر * وعلم ان الجيش بعده
بخسر * ولما اظلم الليل وامتد سواد الغلس * ركب دريد في
جماعة من الابطال لاجل الحرس * وما ابعد عن الخيام مقدار
ساعة * حتى سمع صياحا عظيما في جيش بني قضاعة * وابصر
المواكب والكتايب * تموج بين الخيام والمضارب فقال لمن
معهُ من الرجال * وحق الاله المتعال. اني لا اشك ايها الابطال
بانهُ قد حدث في بني قضاعة حالا من الاحوال * وهو اما ان
تكون نجدة قد وصلت اليهم * او نازلة من نحو عنتر نزلت عليهم
والصواب ان ندنو منهم حتى نسمع اقوالهم * ونقف على حقيقة
احوالهم * فان وجدنا فرصة كبسناهم في الخيام * وبلغنا منهم
غاية المرام * قبل ان يذهب الظلام * فقال لهُ الامير دثار
الليث الكرار * والبطل المغوار * افعل يا مولاي ما تريد هذا
هو الراي السديد * ثم انهم ركبوا على ظهور الجنايب * حتى
اقتربوا من المضارب * واذا هم يسمعون شخصا يقول لاخر *
وحق خالق البشر * ما كان من الراي الصايب. والفكر الدقيق
الثاقب * الا الهجوم على الاعدا في الليل * وهلاكهم تحت ارجل
الخيل * لانهُ بعد اسر غمرة لعنتر * من يقدر ان يقف امامنا
من البشر

قال نجد بن هشام. فلما سمع دريد هذا الكلام. صار الضيا
في عينيه كالظلام. وقال وحق الملك الديان. لقد اسر جاموة

بني عبس وعدنان * وما اقول الا انهُ اسر بنايبة من نوايب الزمان . لانهُ ليس بجبان * ولا رعديد الجنان . حتى ياسره حرمة من النسوان * ثم انهُ رجع على الاثر * وهو متاسف على اسر عنتر

قال سعيد بن مالك . وكان السبب في ذلك ان عنتر لما اقتتل مع غمرة تحت جنح الظلام . كما تقدم الكلام وجرى بينهُ وبينها ما جرى * واوسعا في جوانب الصحرا لم يزالا في اشد كفاح . حتى بدت غرة الصباح . وكانت خيلها قوية . وهما من فوقها اصحاب نخوة وحمية فما كان يرى احدهما على نفسهِ ان يرجع بدون فايدة مقضية . وكان عنتر قد تعجب من قتالها * وشدة حربها ونزالها * وقال في نفسهِ وحق الاله الجبار * ما هذا الفارس الا شديد الباس والاقتدار . ولا شك انهُ حامية هذه الديار . على انني ما سمعت دريدا يصف في هذه الارض بالشجاعة والقدرة غير الاميرة غمرة . وكانت غمرة قد عرفت عنتر . عند السحر وذلك من سواد جلده وقتالهُ المنكر * فتاسفت على انفرادها معه في ذلك البر الاقفر وكان جل قصدها ان تقاتلهُ بين الصفين حتى تشهد لها ابطال الفريقين . الا انها لما ايست من ذلك * قاتلت قتال البطل الفاتك . واظهرت شدتها واهوالها . وعلمت انهُ ما بقي ينجيها الا ثباتها وقتالها . هذا وقد دام بينهما الكر والفر . حتى حمي عليهما الحر * وتوقد البر * وثقل الحديد على الاجساد

وتعبا من معانات الحرب والجلاد . وكانت عبرة قد اعتراها
الانذهال والدهش * وعمل معها الجوع والعطش لانها امراه
على كل حال * ومعدودة من حماة ربات الحجال . وقد لاقت
رجلا لا كالرجال . وبطلا لا كالابطال * فقالت لعنتر وقد
وقفت عن الجال . ما قولك في العودة الى اصحابنا قبل هلاك
الخيل . وقدوم الليل . ونعود عند الصباح . الى الحرب والكفاح
ويكون كل واحد منا قد استراح . وتشهد فرسان القبايل
وسادات الجحافل . بما يجري بيننا في ساعة الحرب والقراع وتتكلم
على قدره النظر لا على قدر السماع * فقال عنتر لا وحق من
اوسع البقاع . وشفى الخلايق من الامراض والاوجاع . لاعدت
الا بالمقصود . ولو نضجت منا الاكباد والجلود . فقالت له وقد
استشاطت غضبا * واضطرم فوادها لهبا . اذا كنت معولا على
ذلك فاصبر عليّ قليلا يا فارس المعارك حتى اريح جوادي وارد
الما وازيل ما بقلبي من الظما واخفف ما عليّ من الحديد والثياب
واعود معك الى الطعان والضراب * فقال عنتر قد اجبتك
الى ما تريد ايها الفارس الصنديد ثم انه بعد ذلك الخطاب ابعد
عنها في تلك الهضاب . ونزل عن ظهر مهره كوكب . وارخى
له الحزام حتى استراح من التعب . وسقاه دون شبعه من الما
الزلال . ودق بخصرته على سرجه حتى راث وبال . واستراح من
تعب القتال . ثم شد عليه . والقى درعه عنه وقد هان خصمه في

Digitized by Google

عينيهِ * وعلم انهُ صار في قبضة يديه . وركبت غمرة ايضا ظهر حصانها . وطالبتهُ بقوة جنانها * وكانت قد خنفت لباسها . وكشفت راسها . وهي في بردة يمانية قصيرة الاكمام . مليحة الهندام وذوايبها قد استرخت على اكتافها كالظلام . ووجهها كانهُ البدر التمام وجفنيها احد من الحسام يرميان المقاتل بسهام الغرام . ولما اقتربت من عنتر . كشفت عن صدر كانهُ المرمر . وابصر عنتر عطافها . ونهودها واردافها * فعلم انها غمرة . التي اشتهرت بالشجاعة والقدرة فاندهش من حسنها وجمالها . وقدها واعتدالها واستعجز نفسهُ في قتالها * وقال لها انتِ غمرة ابنت فايز صاحب هذه المنازل والمفاوز * فقالت اي نعم انا غمرة التي لها على الفرسان صولة وقدرة . ولولا شدة الحر . وخلو هذا البر . ما كنت نزعت لباسي . ولا كشفت راسي . وما اشتهرت بهذا الاشتهار . الا حتى اقلع منك الاثار . واجعلك عبرة بين الكبار والصغار . على مدى الاعصار . على ان الوقت قصير . لا يحتمل الى الكلام الكثير . ومن تكون مثلي تركب الخيل . وتقاوم الفرسان تحت ظلام الليل . لا يضرها نظر الجهال . من اوباش الرجال . على انني وحق الاله المتعال . لا ادعاك ترجع سالما من المجال . الا ان كنت تتركني طريحة على وجه الرمال

قال نجد بن هشام . ثم انها بعد هذا الكلام . صاحت فيه وحملت عليه . وقومت سنان رمحها اليه وقد ظنت انها افرحت

Digitized by Google

قلبهُ * واختلست عقلهُ ولبهُ . ورمتهُ بسهام الغرام . وحسام الوجد
والهيام . وكان الامر كما ظنت . وطلبت وتمنت . لان عنتر كان
قد غرق في بحر هواها . واشتهاها وتمناها . ونسي حب عبلت الذي
كان في طول عمرهُ لاينساها . وهذه الاشيا قد سبق فيها علم الله
الذي خلقها وانشاها . الا انهُ لما ابصر هجومها عليه وقتالها بين
يديه . تلقي مضاربها وطعانها . وعلم انها اعجوبة زمانها . وقال
وحق الركن والحجر * والبيت العتيق المطهر لا تستاهل هذه
الجارية القتل والاعدام . وما تستحق الا الاعزاز والاكرام . نظرا
لحسنها وجمالها * وشدة حربها وقتالها . ثم انهما تطاعنا بالرماح .
وتضاربا بالصفاح . واقلبا البر بالصياح * واراد كل واحد منهما
ان يمكن يده من حسامهِ . فلم يمكنهُ صاحبه من مرامه . بل
تقابضا في المناكب والخواصر . وتعاركا عراك الاسود الكواسر
حتى سال منهما العرق * وزاد بهما القلق . وكلت ايديهما عن
مضارب البيض ومقابض الدرق * وتمنى كل واحد منهما انهُ لم
يخلق * وكانت غمرة قد استقتلت . واندهلت وانخبلت . وبذلت
في حربهِ مجهودها * ومدت اليهِ زنودها . وابصر عنتر فوتها
يتني صدرها ونهودها . واخذ معها في القتال . واظهر ما عنده
من الاهوال . وقد خاف من شرها وقراعها . فمكن كفيه من ذراعها
تجاذبا وتشابكا . وتصايحا وتعاركا . الى ان وقعا على وجه الارض
وبعضهما عالق ببعض . ثم انهما وثبا على الاقدام . وزاد بينهما

Digitized by Google

العراك والصدام . وما زالا على مثل ذلك حتى ضاقت بها المسالك . وايقنا بالمهالك . وغدا النهار في اعينهما كالليل الحالك وكان قد وقع بغمرة الانبهار . واشرفت على الهلاك والبوار واسترخت مفاصلها من شدة التعب * ولاح لها وجه العطب * فصاحت من قلب قد احرقهُ اللهب * ارفق باسيرتك يافارس العرب وافعل بي ما تشا وتختار * فقد سكرت من بحر شجاعتك واخذني الانبهار

قال نجد بن هشام * ثم انها بعد ذلك الكلام . دارت اليهِ كتافها . ومكنتهُ من شد اطرافها * فشدها وهو مسرور الفواد . ببلوغ المراد . ودفعها في صدرها . القاها على ظهرها * ووقع عليها . وقد فتنتهُ بسواد عينيها * فلما علمت بمراده وما اضمر في فواده * رفسته برجليها * ومانعته من الوصول اليها . وقالت لهُ بلسان الغضب . ماذا تريد مني ياقليل الادب * اتريد ان تهتك البنات الابكار * وانت تدعي بانك من السادات الاخيار الذين يقاتلون الغريم . ويحامون عن الحريم . فقال لها وقد صعب عليهِ مقالها * واغاظه فعالها . ويلك يالخنا * ويا ابنة الزنا . هل اخذتك من خلف الحجاب . حتى تتكلمين بمثل هذا الخطاب * فوحق ذمة العرب . وشهر رجب * لو كنت طالبة الاستتار * لما كنت نظرت اليك بعين الاحتقار * وانما خروجك من الديار . وركوبك ظهور الخيل * وانفرادك بنفسك في النهار

Digitized by Google

والليل . ومقاومتك الابطال . ووقاحتك على الرجال . هي التي اوجبت مني هذه الفعال * على انني رايت كثيرًا من بنات السادات وربات الممالك * فما حدثتني نفسي بشي من ذلك . وما طلب قلبي غير عبلة بنت مالك . وقد خلوت بك الان . في هذا المكان * ولا بد لي ان ابلغ مرادي . واشفي بوصالك غليل فوادي

قال مجد بن هشام وما تحدث عنتر بهذا الكلام . الا لسبب لم يخطر مثلهُ على قلب بشر من بني ادم . ولا يعلم بهِ الا الذي اوجد الاشيا من العدم . وذلك ان عنترًا يرزق من هذه الجارية ولدا ذكرًا . يكون في حديثهِ عبرة لمن اعتبر . وموعظة لساير البشر ولاجل ذلك حلاها الله في عينيه . وخصصها اليه . وكل هذه الامور . قضى بها الواحد الغفور . وقدرها كما قدر الايام والشهور حتى يقوي هذا العبد الادهم . ويمهد الارض لقدوم سيد العرب والعجم . الا ان غمرة لما سمعت كلامهُ . وفهمت قصده ومرامهُ . ايست من الخلاص . وعلمت ان ليس لها منهُ ادنى مناص . وانهُ لا بد لهُ ان يغصبها على نفسها . وتفتضح بين ابنا جنسها . فقالت لهُ وحق من اوسع الافاق . وخصص الشمس والقمر بالنور والاشراق . لا امكنتك من نفسي حتى تعطيني المهر والصداق . وتحلف لي بالركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . انك لا تذكر ماجرى بيننا لاحد من البشر . بل انك تكتمهُ عن كل انسان

Digitized by Google

حتى تبقى هيبتي قايمة بين جميع الفرسان . فقال لها اما من جهة
كتمان حالك فانا اعاهدك عليه . واحلف لك بمن مصيرنا
كلنا اليه . اني لا اظهره لاحد من البشر . لا لانثى ولا الذكر .
واما ما تطلبيه من المهر والصداق . فما عندي في هذه الساعة ما
اعطيك غير اطلاقك من الوثاق . وهو احب اليك من الجمال
والنياق . لانك اذا عدت الى ابيك وانت على ظهر جوادك .
ومعك الة حربك وعدة جلادك . وسالك عما جرى لك من
الاحوال . فحدثيه بما جرى بيننا من الحرب والقتال . وقولي له
انني كنت في قتال عنتر وقد التقيت به وقت السحر وقاتلته
حتى طلع النهار . وكنا قد اوسعنا في جوانب القفار . واشتغل
كل واحد منا بصاحبه . ونسي سادات قومه واقاربه . وما زلنا
في حرب وقتال . حتى وقع بنا التعب والملال . واتفقنا على
الانفصال . والعودة بغير انجاز حال . حتى لا تشتغل علينا
القلوب . وتبطل الحروب * وانا اقول ايضا لقومي مثل ذلك
وابلغ امالي وتبلغين انت امالك * فقالت غمرة لقد صدقت
وصوابا نطقت * ولكن اعطني شيا من عدتك يا ابن شداد
حتى ابقى اذكرك به في هذه البلاد * فاعطاها سيف الركايب .
وقد تمت بينهما الامور والاسباب * ونفذ حكم رب الارباب .
وصح ما سطر في ام الكتاب * وبعد ذلك قام كل واحد منهما
وركب جواده * وطلب اهله واجناده * وكل منهما متفكرا في

جرى * وكان عنتر كانه نايم فاستيقظ من سنة الكرى * وكانت
غمرة قد ضعفت همتها * وقلت عزيمتها * ومن شدة ما جرى
عليها * ووصل اليها * تمنت انها تقتل * ولا كان يتم عليها
ذلك العمل * واما عنتر الليث الغشمشم * فانهُ كان قد ندم
غاية الندم * وعلم بانهُ قد اذنب واخطا * وقال في نفسهِ اني
لاجل شهوة دنية اطلقت على قومي حية رقطا * الا انهما ما غابا
عن بعضهما في تلك الصحرا . حتى وصلت الالف فارس الذي
كان ارسلها فايز لمساعدة ابنتهُ غمره . فلما ابصرتهم غمرة في
تلك البيد . علمت انهم من بني عمها الصناديد * فحركت جوادها
ومالت اليهم * حتى اقبلت عليهم * فبادتهم بالكلام . وسلمت
عليهم فردوا عليها السلام فسالوها عن حالها . وما الذي اوجب
انفرادها عن ابطالها . فقالت لهم اعلموا يابني الاعمام * اني كنت
مع عبد بني عبس في اشد عراك وصدام . وما زلنا على تلك الحال
حتى اشرفنا على الهلاك والوبال . من شدة التعب والملال * وبعد
قتال شديد . وحرب ما عليه من مزيد * اصطلحنا على ان كل
واحد منا يرجع الى اصحابهِ ويبصر ما جرى عليهم في غيابهِ * ولو
كنت اعلم انكم تدركوني * وعلى قتالهِ تعينوني * لما كنت فارقتهُ
الا بالانفصال * وبلوغ الامال . ومن الصواب والامر الذي
لا يعاب . ان نتبعهُ في هذه الهضاب . لعلنا ان ندركهُ . فناسرهُ او
نهلكهُ . وبذلك تنقطع ظهور فرسانهِ وتنكسر شوكة ابطالهِ

Digitized by Google

وشجعانهِ فيعظم عليهم الخوف والوجل * ويخيب منهم الامل
قال نجد بن هشام ثم انها بعد هذا الكلام غيرت جوادها في الحال * واستلبت رمحا من بعض الابطال . وعادت تطلب الامير عنتر . وهي من افرح البشر . وتجارت من خلفها الفرسان . كانها كواسر العقبان
قال الراوي وكان الامير عنتر . قد جد في قطع البر الاقفر . فبينما هو يسير . اذ اشرف على غدير كبير . كانهُ البحر المستدير . فنزل عن ظهر جواده . ونزع عنهُ عدة حربه وجلاده . ثم خلع ثيابهُ ونزل الى الغدير . ليبرد جسده من شدة الحر والهجير . فلم يشعر الا وغمرة قد ادركتهُ بالفرسان . وحالت بينهُ وبين عدته وهو عريان . فاخذتهُ اسيرًا . وقادتهُ ذليلا حقيرًا . وشدت كتافهُ . واوثقت سواعده واطرافهُ . وتقدمت اليه الرجال . وارادوا ان يقتلوه في عاجل الحال . فما مكنتهم غمرة من ذلك المرام . وقالت لهم اعلموا يا بني الاعمام . انني لا اقدر ان اوذيه . ما لم استشير ابي فيه . وابصر ما قد جرى لهُ مع اعاديه . لان مثل دريد لا يجب ان يهمل . وقوة هذه الطايفة لا تجهل . وانتم كيف تركتم ابي وخليتموه . وفي اي وقت فارقتموه . قالوا فارقناه عند الصباح . وهو معول على الحرب والكفاح . وكان قد اشتغل قلبه لغيابك ومثل ذلك جرى على قلوب اصحابك وظن انك قد سرت خلف الاعدا . لتمسكين عليهم جوانب البيدا .

Digitized by Google

الكتاب التاسع والخمسون
من سيرة عنتر بن شداد
العبسي

فانفذنا حتي نكون لك نجدة . ونعينك على كل هول وشدة .
فقالت لقد صدق . وبالحق نطق . وما دبر الا تدبير عقلا
الفرسان . لانهُ من اخبر الناس بنوايب الزمان . ومن الصواب
ان نحتفظ على هذا الاسود الشيطان . حتي ينتجز امرنا مع دريد
ومن معهُ من العربان . وبعد ان نبلغ المقاصد . نقتل الجميع
في يوم واحد . ثم انها بعد هذا المقال . اختارت عشرة من شجعان
الرجال . وصناديد الابطال . وقالت لهم سيروا بعنتر الى
الاطلال . ومتى وصلتم الى الخيام شدوه بين اربع سكك من
حديد . ووكلوا بهِ جماعة من العبيد . حتي نعود نحن الى قتال
دريد ومن معهُ من الفرسان الصناديد . فامتثلوا الى ما امرت
واجابوها الى ما ذكرت . واخذوا عنتر بن شداد . وشدوه شدا
وثيقا على ظهر الجواد . وساروا بهِ طالبين الخيام . وقد املوا
بلوغ المرام . وبعد ذلك جدت غمرة في قطع القفار . بمن معها
من الانفار . فوصلت الى العسكر في اخر النهار . فوقعت بقدومها
البشاير والافراح . وزالت عن قلوب قومها الهموم والاتراح .

Digitized by Google

وحدثت اباها بما جرى لها مع عنتر . ففرح بذلك واستبشر . وقال لها لقد اخطات يافارسة الاقطار . في ارسالك ذلك العبد الجبار . الى الديار . وكان الاوفق ان تاتي به الى هنا . حتى نقتله ونبلغ بقتله غاية المنى . لانني قاسيت في هذا اليوم من الحرب والقتال . مع هولا الانذال . اشد الاهوال . ولولم نكن اضعفهم بامرار . ما كانوا ابقوا منا ديار . ولا نافخ ينفخ بنار . وقد ساعدنا ذو الخمار في هذا اليوم المنكر . ووقف في وجوههم وما قصر . ورد شرهم عنا وصبر . فقالت غمرة وقد اشتعل فوادها بنار . ومن يكون ذو الخمار . مع هولا القوم الفجار . فمتى طلع النهار . اريك ما تحب وتختار .

قال مجد بن هشام . ثم ان غمرة بعد هذا الكلام . نزلت هي وابيها في الخيام . واكلت ما راج من الطعام . ولما قر بها القرار . سالت ابيها عن ذي الخمار . فقال لها وحق خالق البشر . لقد قاتل اليوم معنا القتال المنكر . وبعد ذلك ما عدت وقفت له على خبر . فقالت لقد صدقت . وصوابا نطقت . لانه من اصحاب النخوة والحمية . واشد فرسان الجاهلية . لا سيما وهو مشتاق الى قتال عنتر . وقد ظن انه مع اصحابه في هذا العسكر . فالقى نفسه على الخطر . املا ان ينال القصد ويبلغ الوطر . ولولا ذلك ما كان فعل هذه الفعال . ولا قاتل هذا القتال والصواب ان نقبض عليه ونعيده الى الاغلال . لانه ان راى نحوه ديريد

Digitized by Google

قد امسى معنا تحت الخسران . وعلم بان عنتر في الاسر والهوان . غدر وخان . وعاد الى قومهِ قبل الصباح . وساعدهم على الحرب والكفاح . ويفوتنا المقصود . ان لم نعيدهُ الى الاغلال والقيود

قال نجد بن هشام . فلما سمع ابوها منها ذلك الكلام . قال لها اذا كان الامر كذلك . فانا اكفيك امرما خطر ببالك . وارسل لهُ في هذه الساعة . جماعة من فرسان بني قضاعة . واستدعيه للحضور . كاني اريد ان استشيره في امر من الامور . واقبض عليه في الحال واعيده الى القيود والاغلال . فلما سمعت كلامهُ . وفهمت قصده ومرامهُ . قالت لهُ دبر ما تريد . برايك السديد . غير اني اقول بانهُ قد سار الى عند اصحابهِ واختلط باهلهِ واحبابهِ . ولو كان حاضرًا في هذا المكان . مع الابطال والفرسان . كان جاء الى زيارتي . وهناني بسلامتي . وسالني عن قتالي مع عنتر . وما لقيت منهُ في موقف الخطر . ولما انتهت من هذا الخطاب . ارسل ابوها بعض الحجاب . يستدعي ذو الخمار اليه . وسرعة القدوم عليه . فغاب ساعة وحضر . وقال اني لم اقف لهُ على خبر . فلما سمع منهُ ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال . ولام ابنته على اطلاقهِ من الاسر والاعتقال * فقالت لهُ غمرة لا تضيق صدرك ولا تشغل من هذا القبيل فكرك * فاني عند الصباح اخذه اسيرا * واقوده اليك ذليلا حقيرا * ثم انهم باتوا تلك الليلة في

قلق وافتكار * من جهة ذي الخمار ·

قال الراوي وكان السبب في غيابهِ حديث عجيب * وامر غريب * وذلك ان غمرة لما وصلت الى عند ابيها كما تقدم · وحدثتهُ باسر عنتر الليث الغشمشم * وانها ارسلتهُ الى الاطلال مع عشرة من الابطال * شاع هذا الحديث واشتهر * بين الجنود والعسكر * وبلغ ذو الخمار هذا الخبر * فطار من عينيه الشرر · وكاد قلبهُ ان يتفطر من شدة الغيظ والكدر * وقال وحق الركن والحجر * والبيت العتيق المطهر * لقد اضعفت قومي واعنت الاعادي * وما بلغت غاية مرادي * وما بقي في الامر الا انني اركب جوادي * واسير في هذه الساعة الى حي بني قضاعة واقتل عنتر بن شداد * ما دام الحي خالى من الفرسان والاجناد واخلص العباس ومن معهُ من الابطال * من الاسر والاعتقال واعود الى قومي في عاجل الحال * واعينهم على قتال هولا الانذال * والا ضاع تعبي ووقعت في الخسران وشمت بي كل انسان * ثم انهُ ركب جوادهُ من تلك الساعة * وقصد خيام بني قضاعة * هذا ما كان من امر ذي الخمار * الخاين الغدار * واما ما كان من امر دريد بن الصمة * صاحب العزيمة والهمة فانهُ عاد طالب الاطناب * وهو في غاية الحزن والاكتياب * على اسر عنتر * الاسد الغضنفر * ولما اجتمع بقواد العسكر * حدثهم بذلك الخبر * فاشتد بهم القلق والضجر * وفاض دمعهم

Digitized by Google

وانحدر . وركبوا ظهور الخيل . وباتوا يحرسون انفسهم تحت ظلام الليل

قال الراوي وعند الصباح . تواثبت العساكر الى الحرب والكفاح . واشهرت بنو قضاعة الصفاح . ومدت الى بني هوازن وعبس قطع الرماح

قال سعيد بن مالك فلما عاين مقري الوحش ذلك لم يعد يبصر ما بين يديه . وقامت في ام راسه مثل عينيه . وتاهب للقتال وتقدم في اول الرجال . وطلب براز الابطال . وكان قد احترق قلبه بنار الاشتعال . على فقد عنتر الاسد الريبال . ولما صار في ساحة المجال . انشد وقال

مسيكة قبل بينك ودعينا ونوحي في الدجى وابكي علينا
وان شط المزار وطال بعدي فلا تنسي المودة واذكرينا
وداوينا بطيف من خيال نرى ما نحن فيه وما لقينا
احاطت حولنا خيل الاعادي بارض لا نرى فيها معينا
وحامي جيشنا قد غاب عنا وخلانا حيارى خاسرينا
نعض اكفنا اسفا عليه ونمسي من عدانا خايفينا
ونضرب بالسيوف وليس تدمي ولا نسمع لها الاطنينا
كان رماحنا مذ غاب عنا عصيا في اكف الاعبينا
ولا تلقى اعاليها العوالي ولا تطعن اسنتها طعينا
فوا اسفي على من كان حصنا لنا ناوي اليه اذا دهينا

Digitized by Google

وليتنا يلتقي هذا الرزايا ... اذا ما الطعن كب الدارعينا
فياليت المنايا سالمته ... وكان الى العدى حصنا حصينا
لكنت فديته من كل بوس ... كما قد كان يفدي القاصدينا
فان يك قد مضى فثناه باق ... تربي الامهات به البنينا
وان فاتته حادثات الليالي ... حمدنا الله حمد الشاكرينا

قال محمد بن هشام. فلما انتهى مفرج الوحش من هذا الشعر والنظام. تبادرت اليه من بني قضاعة الابطال. وازدحمت عليه الرجال. من اليمين والشمال. وارادوا ان ياخذوا معه في القتال. واذا بغمرة قد برزت الى المجال. وهي تطلب البراز وانجاز الحال. لاجل ما في قلبها من لهيب النار. من دريد وذي الخمار. وكانت معتزة بنفسها. ومفتخرة على ابنا جنسها. تجر اذيال عجبها على التراب. وتنظر الى اطرافها نظر الدلال والاعجاب. ولما اوسعت في مجالها. ردت سابر رجالها. وافتخرت بشدة حربها وقتالها. ثم انها صالت وجالت. وتقدمت الى نحو مفرج الوحش وانشدت وقالت

غبار الخيل في يوم المجال ... احب اليّ من اهلي ومالي
وشرب دم الفوارس كل حين ... افضله على الما الزلال
فما يطفي لهيب جوى فوادي ... سوى وقع النصال على النصال
خلقت ولي جنان من حديد ... وقلبا قد من صم الجبال
وقومي قد اعابوني بنقص ... وقد جهلوا الزيادة في كمالي

Digitized by Google

يعدوني من الفرسان يوما ويوما من جحاجحة الرجال

واني لبوة الاشبال طرا اصيد يصاربي اسد الدحال

ولولا ان حكم الله حتم صحيح لا ينفس بالمحال

لما اصبحت في قفر مخيف اطاعن بالقنا ابراعي الجبال

ولكن للقضا في الخلق سر تسود به العبيد علي الموالي

قال الراوي فلما سمع مفرج الوحش مقالها . اشتكل عليه حالها * وقال لها من تكون ايها الفارس المعجب بنفسه المفتخر على ابنا جنسه . اما انت صاحبي بالامس فقالت لا وحق خالق القمر والشمس * لست انا ذلك الانسان . وما انا الا فارس الزمان . وقاهر الفرسان في ساحة الميدان . واليوم اعلمك حقيقة الضرب والطعان . وسوف ترى ما يحل بكم من الذل والنكال اذا امسيتم في الاسر والاعتقال . لاني قد اقسمت بالعزيز الجبار ان اقبض في هذا النهار . على سادتكم الكبار . وكل من يدعي الشجاعة والاقتدار . وارسلكم الى عند اسودكم المارد . واجعل هلاككم في يوم واحد . لانكم قد افتريتم علينا . واوصلتم اذيتكم الينا

قال محمد بن هشام . فلما سمع مفرج الوحش منها هذا الكلام خفق فواده واضطرب . وقال له ويحك يا وجه العرب لمن تعني بقولك عن عبيدنا والموال اكشف لنا حقيقة الحال قبل وقوع الحرب والقتال . قالت اعني به عبدكم الاسود ونغلكم الانكد . الذي كنتم تفضلوه على كل شجاع . وتلتفتون به الابطال

Digitized by Google

يوم الحرب والقراع · فقد امسى اسيرًا من ذات خدر وقناع وهي
لبوة قد اعتادت على صيد السباع * وشاع ذكرها في ساير البقاع
فدع عنك كثرة الكلام * يا ابن اللايام · لان هذا المقام * لا
يحتمل فيه كثرة الجدال والخصام · وانا الذي اسرته * وظفرت
به وقهرته * وانا هي غمرة التي اتصفت بالشجاعة والقدرة · فدونك
المكافحة والجهاد * ان كنت من الابطال الشداد · حتى انجز
امركم قبل ان ياتي الليل بالسواد

قال سعيد بن مالك · ثم انها بعد ذلك · انصبت عليه
مثل السيل · وقاربته مقاربة النهار من الليل · وكان مقري
الوحش الاسد الغضنفر · قد طاب قلبه بسلامة عنتر * فتلقاها
بقلب اقوى من الحجر · وجنان اجرى من تيار البحر اذا هاج وزخر
واصطدما في ساحة المجال · كانهما بعض الجبال · ولعبا بالرماح
الطوال * وجرى بينهما من الحرب والطعان * ما حير عقول
الفرسان · وضجت الابطال من ساير الاطراف * وقالت هذا
والله قتال من لا يهاب الموت ولا يخاف · وابصر فايز ابو غمرة
تلك الحال * فخاف على ابنته من الهلاك والوبال · فصاح
على الابطال ومن يعتمد عليهم من الرجال وحرضهم على الحرب
والقتال * وقال لهم هلموا ايها الجبابرة · واروني ما عندكم
من شدة الباس والمقدرة * حتى نجز امر هولا اللئام · ونرجع الى
ديارنا بسلام · فلما سمعوا منه ذلك الكلام · جردوا سيوفهم من

Digitized by Google

الاغماد . وحملوا كانهم الاساد

قال سعيد بن مالك . فلما عاين دريد بن الصمة ذلك علم ان ما بقي ينجيه الا ضرب الصفاح . وطعن الرماح . فما التقام برجاله * وصناديد ابطاله * وانطبقت الفرسان على الفرسان . وقصدوا بعضهم بعضا بالسيف والسنان * واشتعلت بينهم نيران الحرب . واختلف الطعن والضرب . وزاد البلا والكرب * وسالت الادمية مثل السيل . ونفذت اسنة الرماح من لبات فرسان الخيل . وصار النهار في اعين الناس مثل الليل * فلا كان يرى في تلك الساعة الا رمحا خارقا وسيفا بارقا ودما دافقا * فلله در دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة * فانهُ قد اظهر ما عنده من الشجاعة والثبات * والقى نفسهُ على الاهوال والافات * وطلب صدور الفرسان بطعنات نافذات * وضربات اخف من هبوب الرياح العاصفات . وكذلك فعلا دثار بن روق وخفاف بن ندبة صاحب الوقعات

قال الراوي كل هذا يجرى بين الابطال * ومفرج الوحش وغمرة في اشد قتال . وما زالا على تلك الحال . حتى خدر الساعدان . وتعب الزندان . وبانت الذيادة والنقصان . واختلف بينهما طعنتان قاتلتان . لولا مشية الرحمن لقتل الاثنان . الا ان الغبار كان منعقدا عليهما مثل الغياهب . فلم يعرف السالم من العاطب . بل انكشف بعد ساعة للعيون والابصار . وبان بعد

Digitized by Google

الاستتار. واذا بالفارسين قايمين على اقدامهما تحت الغبار * وهما
يتضاربان بالصفاح * ولهما ضجة وصياح . وفرسيهما ملقيان على
وجه البطاح وقد اعتدلت فيهما اسنة الرماح . لان الطعنتين من
الفارسين . اصابتا الجوادين * فقتلتهما في الحال . وانزلت بهما
النكال . ووقعا الفارسين على الارض . و بعضهما عالق ببعض . ثم
نهضا على الاقدام . وتضاربا بالحسام . واشتد بينهما الكفاح والخصام
واندهشت الابطال والسادات . من تلك الطعنات الهايلات
وشدة تلك الضربات * وقالت فرسان العرب والسادات من
ذوي الرتب * ما هذا والله فعال من يخشى الاجل * ولا طعن
من في قلبهِ خوف ووجل . وتعجبت عبرة مما رات من فروسية
اهل الحجاز * لانها كانت قد اختبرت مقري الوحش وذو الخمار
وعنتر في ميدان البراز . فقالت في نفسها وحق من يعلم ما في
الصدور من الوسواس . ما في هولا القوم الا من يلقي الالف
فارس . لا سيما ذلك العبد المنافس * الذي لا تقابلهُ الجن ولا
الابالس وانا اقول انهُ ليس في القوم كمثله . ولا يوجد على وجه
الارض كشكله . ولما ابصر ابوها ما جرى وكان . ترجل عن ظهر
الحصان . وصاح على من حولهِ من الابطال . وامرهم ان يدركوا
ابنته في الحال . و يساعدوها على القتال . فلما سمعوا منهُ ذلك
المقال . اجابوه بالسمع والامتثال . فاطلقوا اعنتهم . وقوموا اسنتهم
وطلبوها مثل الامواج . وتدفقوا نحوها تدفق البحر العجاج . فلما

Digitized by Google

نظرت ابطال بني عبس وعدنان • هجوم الفرسان • خافت على مفري الوحش من الهلاك والقلعان • فحمل عروة بن الورد وشداد بن قراد • في طايفة بني عبس الاجواد

قال الراوي هذا كله يجرى في ميدان الحرب • وغمرة ومفري الوحش مع بعضهما في اشد الطعن والضرب • وما زالا في اشد قتال • حتى تضايقت عليهما الصفوف في المجال • وترجلت لهما الفرسان والابطال • فبينما القوم كذلك • وقد ضاقت في وجوههما المسالك • واشرفا على المهالك • واذا قد ظهر غبار وارتفع • وبعد تفريقه اجتمع • حتى اسودت به البراري والقفار • ثم انكشف للعيون والابصار • وبان عن سرية خيل قد اقبلت مثل ظلام الغسق • وهي تركض اسرع من البرق اذا برق • او النجم اذا مرق يتقدمها رجلا يسبق الطير في الطيران • وهو ينعق نعيق البوم في القيعان • وينادي عن فرد لسان • يا لعبس يا لعدنان • ابشروا يا بني قضاعة بخراب الديار • وقلع الاثار • فقد اتاكم الامير عنتر بن شداد • وعمرو بن مالك بن قراد • واصحابه الامجاد • الذين كانوا عندكم في القيود والاصفاد

قال نجد بن هشام • وما انتهى شيبوب من هذا الكلام حتى اقبل عنتر ومن معه من الرجال الكرام الى تحت الرايات والاعلام • وهو يصيح ويقول من فواد متبول • ويلكم يا بني قضاعة اللييام ★ ارفعوا اياديكم عن فرسان المنايا والموت الزوام

Digitized by Google

فقد اتاكم حية بطن الواد الامير عنتر بن شداد . ثم انه بعد ذلك
انطبق هو ومن معهُ من فرسان المعارك . وطعنوا في الرجال
المتخالفة تحت الرايات * وبددوا شملهم باسنة الرماح الذابلات
وابصر فايز ابو غمرة تلك الحال . فاعتراه الانخبال * وايقن
بالهلاك والعطب . واطلق عنان جواده . وعول على الهرب *
فادركهُ الامير عنتر اسرع من لمح البصر . وصاح فيهِ وارعبهُ
وطعنهُ بعقب الرمح اقلبه * فانقض عليهِ شيبوب * اسرع من
ريح الهبوب * وشد كتافهُ * واوثق سواعده واطرافهُ وبعد ذلك
تفرقت فرسان بني قضاعة ورجعت الى وراها * وقد اشرفت
على هلاكها وفناها * لما سمعت باسر فايز اميرها ومولاها * وابصرت
غمرة ما حل بابيها * فضاقت رحيب الارض فيها * وعولت
على الهزيمة والفرار . خوفا من الهلاك والبوار * فهجم عليها مفري
الوحش بقوة جنان وبطش . وضربها صفحا بالحسام بين كتافها
فوقعت على الارض وقد اشرفت على اتلافها * ثم انهُ شد كتافها
واوثق سواعدها واطرافها * وسلمها الى بعض الفرسان . ثم حمل
واطلق العنان * وقوم السنان . وطلب معركة الطعان . وتبعتهُ
الابطال والشجعان * بقلوب اقوى من الصوان . وهجموا على
مواكب بني قضاعة . بقوة وشجاعة * وقد عادت ارواحهم اليهم *
بقدوم حاميهم عنتر عليهم * ومدوا الى اعداهم قطع الرماح . واشهروا
الصفاح . وطلع الغبار من تحت حوافر الخيل . حتى صار النهار

Digitized by Google

مثل الليل * واختلفت الطعنات بالرماح السمهرية * ونهبت
الارواح الابية بمخالب اسنة الرماح الخطية وطارت الجماجم
بمضارب السيوف المشرفية . هذا وعنتر قد فرق الكتايب *
ومزق المواكب . واظهر الاهوال والعجايب * وخطف مهج
الابطال وفعل فعالا تعجز عنها صناديد الرجال . وما زال السيف
يعمل والدم يبذل والرجال تقتل . وشيبوب مع عنتر يلاصقهُ * ولا
يفارقهُ . وهو يرمي من حولهِ بالنبال . فيصيب بها مقاتل الرجال
ويصيح على فرسان بني قضاعة ويقول ياويلكم انجوا بانفسكم
في هذه الساعة . واتركوا هذه المنازل والاوطان . فقد سبيت
بناتكم وتهتكت امهات الصبيان . فلما سمعوا منهُ ذلك المقال *
ايقنوا بالهلاك والوبال * وخافوا من حلول الاجال * فتفرقوا
في البراري والتلال وما اقبل الليل بالانسدال . حتى خمدت
نيران الحرب بعد ذلك الاشتعال . وعاشت من بني عبس
وهوازن الارواح . وعاد فسادهم الى الصلاح . ورجع عنتر عن
معركة الطعان . وهو مثل ثوب الارجوان . مما سال عليهِ من
دما الفرسان . والتقى مفرّج الوحش بعنتر وهو لا يصدق ان
يراه . وكذلك عروة بن الورد وشداداً اباه . ومن يلوز بهِ
من اصحابه ورفقاه . وما منهم الامن اعتنقهُ وبالسلامة هناه . ولما
نزلوا وقر بهم القرار . اجتمع بهِ دريد بن الصمة والامير خفاف
ودثار . وهم في غاية الفرح والاستبشار . على ذلك الانتصار .

Digitized by Google

وكانوا قد راوا معهُ اسيرًا مشدود اليمين على اليسار . فتاملوه بالابصار . واذا بو سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار . فاندهش دريد وحار . والتفت على عنتر . وقال لهُ يافارس البدو والحضر ما هذا الحال . الذي لم يخطر قط على بال . وكيف كان خلاصك من الاسر والاعتقال . ووقوعك بذي الخمار في هذه الاطلال . فلما سمع عنتر منهُ ذلك المقال . اوقفهُ على جلية الاحوال . وما تم لهُ مع غمرة في القتال . ثم قال لهُ اعلم ايها الامير . والسيد الخطير ان خلاصي كان على يد اخي شيبوب . فارج الكروب . واما ذو الخمار . الخاين الغدار . فانهُ كان قد تسبب في قتلي بكل الاسباب . فاوقعهُ الله تعالى في يدي يقاسي الذل والعذاب . ولولا حبك ومكانك . ورفعة قدرك وشانك . كنت ضربت رقبتهُ . واعدمتهُ مهجتهُ . وجازيتهُ على اعمالهِ . وقبيح افعالهِ

قال الراوي وكان قد جرى لعنتر قصة من اعجب العجب . تستحق ان تكتب بماء الذهب . وتتلى على المنابر عوضا عن الخطب نظرًا لما فيها من غريب الاتفاق . الذي لم يسمع بمثلهِ في بطون الدفاتر والاوراق لان باطنها احسن من ظاهرها . ويواقيت معانيها تدل على جواهرها . وذلك ان شيبوبا لما انفذهُ عنتر كما سبق الكلام . حتى يكشف لهُ خبر عمرو اخو عبلة ومن اسر معهُ من الرجال الكرام . فسار شيبوب كانهُ ذكر النعام . حتى وصل الى تلك الديار . فصبر حتى ولى النهار . واقبل الليل

Digitized by Google

بالاعتكار . وكان الحي خالي من الفرسان . ليس فيه الا الذليل
الجبان . فتقدم كانة ابو الحصين المحتال وحل الاساري من القيود
والاغلال . واتاهم بالخيول والسلاح . فركبوا وجدوا في قطع
البطاح . وعند طلوع النهار . ثار من خلفهم الغبار . وطلبتهم رجال
بني قضاعة من اليمين واليسار . لانهم كانوا قد افتقدوا الاسارى
عند طلوع الشمس . فلم يجدوهم في الحبس . فركبوا خيولهم
وطلبوهم . حتى ادركوهم . فالتقاهم العباس . ومن معهُ من الناس
واشتعلت بينهم نيران الحرب . واختلف الطعن والضرب .
ولم يزالوا على تلك الحال * وهم في اشد قتال * الى ان امسى
المسا وحندست الغلسا . فانفصلوا عن معركة الكفاح وباتوا
يحرسون انفسهم الى الصباح وعند طلوع النهار * ركبوا الخيول
والمهار . ورجعوا الى القتال والحرب والنزال وكانت قد ادركتهم
الابطال الصناديد * وتلاحقت ببني قضاعة الاحرار والعبيد
وكان عمرو اخو عبلة قد حوي طرفا من الشجاعة * والقوة
والبراعة . ففاتل القتال المنكر * ودحرج الروس مثل الاكر
وكان شيبوب يرمى بالنبال . فيصيب بها مقاتل الرجال . وقد
حير عقول الفرسان . وكماة الشجعان . بقوة عصبه * وشدة قصبه *
لانهُ كان اذا طلب لحق * وان طلب لم يلحق . وكانت نبالهُ
تقع في المقاتل والحدق . ومازال على مثل ذلك . حتى ولى النهار
واقبل الليل الحالك . وكان قد حل بالهاربين التعب . واستد

في وجوههم كل طريق ومذهب . وفرغت نبال شيبوب فطلب الهرب . وخاف ان هو وقع في ايديهم فيغلب ويصلب . ولاينال الارب . فترك الخيل من وراه . وغاص في جوانب الفلاه . الا انهُ ما ابعد في ذلك البر الاقفر . حتى التقى بالعشرة فوارس الذين انفذتهم غمرة مع اخيه عنتر فلما راهم انكر امرهم . وخاف شرهم . واراد ان يخدعهم بالمقال . لانهُ كان في غاية التعب والملال . من شدة ما قاسى من الاهوال . في وقت القتال . فجعل ينادي بافصح كلام . ادركونا يابني الاعمام . وساعدونا على هذه الامور العظام * فقد هربت الاسارى من الخيام واهلكوا منا خلقا كثيرًا * وجمعا غفيرًا فتبعتهم الفرسان والابطال . وهم معهم الان في اشد قتال . وان لم تدركوهم في عاجل الحال . افنوهم بالنصال . فلما سمعت كلامهُ الجماعة . ظنوهُ انهُ من عبيد بني قضاعة * فاطلقوا اعنتهم . وقوموا اسنتهم وطلبوا معركة الطعان وقد احترقت قلوبهم بلهيب النيران . لانهم كانوا قد ابصروا ذلك الغبار على مسافة قريبة من الديار * فانكروه غاية الانكار . ولم يعلموا ما تحته من الاخبار الى ان سمعوا من شيبوب ذلك المقال . فسار منهم تسعة من الابطال . وتركوا مع عنتر واحدًا من الرجال . وكان شيبوب قد معن نظره في ذلك الماسور . فعرفهُ انهُ اخوه عنتر الليث المصور . فلما راه على تلك الحال . وهو مشدود اليمين على الشمال . خفق قلبهُ . وزاد رعبهُ .

Digitized by Google

وضاقت الدنيا عليه ٠ واسود اقطار البر في عينيه ٠ وقال في نفسهِ وحق ذمة العرب ٠ وشهر رجب ٠ ما اسراخي في هذه الاماكن الا وقد جرت نوبة عظيمة على بني عبس وهوازن ٠ وانا اعلم ان الله قد ساقهُ في هذه الساعة ٠ لهلاك من تبعنا من انذال بني قضاعة ٠ ثم انهُ دنا من ذلك الفارس ٠ الذي بقي مع اخيه عنتر وقال لهُ ايها الاسد الغضنفر ٠ ادرك اصحابنا في هذه البيدا ٠ وساعدهم على قتال الاعدا ٠ ودعني انا اسوق هذا الاسير الاسود واسير من خلفكم في هذا البر والفدفد ٠ فلما سمع مقالهُ اجاب سوالهُ وقال لهُ احتفظ منهُ ٠ ولا تغفل عنهُ ٠ لانهُ من الفرسان المشهورة والابطال المذكورة ٠ هذا عنتر بن شداد ٠ الذي شاع ذكره في ساير البلاد ٠ واقلق بفعالهِ جميع العباد ٠ ولولا حاميتنا غمرة ان تاسره في ساحة المجال لما كنا قدرنا عليهِ في الحرب والقتال ثم ان شيبوب ادنا من اخيه عنتر وقد شخر ونخر واظهر على نفسهِ الغضب والكدر ٠ وكبكب يده ٠ ورفع زنده ٠ ولطمهُ على راسهِ ٠ حتى ازعج جميع حواسهِ ٠ وقال لهُ ويلك يا ابن الليام ٠ ويا نسل الحرام ٠ لقد احرمت القبايل لذيذ المنام ٠ وهججتها في البراري والاكام ٠ فوحق ذمة العرب الكرام ٠ لا بد لي ان انتقم منك غاية الانتقام ٠ واسقيك كاس الحمام

قال نجد بن هشام ٠ فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الكلام اشتد بهِ الغيظ والالم ٠ ولم يمكنهُ ان يتكلم ٠ فتبسم ذلك الفارس

Digitized by Google

من خطاب شيبوب ومقالهِ . وقد سرهُ ما راى من فعالهِ . ثم انهُ اطلق عنان الجواد . وطلب معركة الطراد . وما ابعد في تلك الوهاد . حتى كان شيبوب حل اخيه من الشداد . وقال لهُ اتذكرلي هذا العمل يابن شداد . فقال لهُ عنتر . وقد فرح واستبشر . ولماذا ضربتني هذه الضربة على راسي . التي كانت اخمدت انفاسي . فقال لو لم اضربك تلك الضربة . لما هانت هذه النوبة الصعبة * ولا كانت انطلت حيلتي . ولا نلت غاية بغيتي . ثم انهُ حدث اخاه بما جرى وكان . وكيف انهُ خاص الاسارى من الاسر والهوان . وكيف تبعتهم بنو قضاعة من الاطلال ووقع بينهم القتال * وقد فارقهم وهم مشرفون على الهلاك والوبال ولما انتهى من مقالهِ . سالهُ عن كيفية احوالهِ . وما هو السبب في اسره واعتقالهِ . فقال عنتر . ليس في هذا الوقت المنكر . يحتمل الحديث والخبر فعد بنا على الاثر * حتى اشفي غليل فوادي . من هولاء الاعادي

قال سعيد بن مالك . ثم انهُ بعد ذلك . استوى على ظهر مهره كوكب . بعد ما تدرع وتاهب . واشهر في يده حسامهِ البتار وطلب ذلك الغبار . فلما وصل اليه . واشرف عليه . وجد اصحابه في اشتباك واعتراك . وقد اشرفوا على الهلاك . ووقعوا سوء الارتباك . ولم يبق لهم مناص ولا فكاك . وهم يصادمون الابطال . ويتلقون بصدورهم الاسنة والنصال . فعند ذلك

Digitized by Google

صاح وهجم . كانه الليث الغشمشم ٠ وطلب الابطال والفرسان
وطعن فيهم بالسنان ٠ ونهب الارواح من الابدان ٠ وسمع عمرو
اخو عبلة صيحات عنتر ٠ وابصر ضرباته التي لا تبقي ولا تذر ٠
فتعجب وانبهر ٠ وقاتل القتال المنكر ٠ وكذلك فعل العباس
بن مرداس ٠ ومن معهُ من الناس ٠ ولم تكن الا ساعة ٠ حتى
تمزقت جموع بني قضاعة . وطلبت الهزيمة والفرار ٠ وتفرقت في
جوانب القفار . وقتل منها خلقا كثير المقدار ٠ ولما خمدت
نيران الحرب ٠ وبطل الطعن والضرب . اجتمعت الابطال
والفرسان . وهناوا بعضهم بالسلامة من الاسر والهوان ٠ ثم انهم
نزلوا للراحة . في تلك الساحة ٠ وبعد ان اكلوا الطعام . وشربوا
المدام حدثهم عنتر بما جرى لهُ مع غمرة في القتال . وكتم عنهم باقي
الاحوال * حياء من ابنا عمهِ ومن معهُ من الرجال * وحفظا
على امانتهِ وعهده * وصدق كلامهِ ووعده

قال مجد بن هشام . فلما سمع القوم منهُ ذلك الكلام . حمدوا
عواقب الامور * حيث عادت الى فرح وسرور * ولما انتهى
عنتر من تلك الاحاديث والاخبار * حدثهُ شيبوب بحديث
ذي الخمار * وكيف انهُ حلف لغمرة باعظم الاقسام * بانهُ لا يخامر
عليها مدى الايام * وانهُ قد سار معها في اول العسكر * ليقلع
منك الاثر * فتعجب عنتر من ذلك المقال * وافتكر في هذه
الاحوال * التي لم تخطر قط على بال * وقال وحق ذمة العرب

Digitized by Google

وشهر رجب * ان هذا الفاتك الغاشم * اقبح من الحارث بن ظالم * ولا بد ما يلتقي بغيه وضيره * كما التقى غيره * وها انا سابر اليه * وقادم عليه. حتى اعرفه قدره واكفي بني عبس شره ثم انهم اخذوا راحتهم الى نصف الليل . وبعد ذلك ركبوا على ظهور الخيل * وجدوا في قطع البراري والاكام * تحت جنح الظلام * وكان شيبوب يسير بين ايديهم كانهُ ذكر النعام * فبينما هم يقطعون البر الاقفر * واذا بشيبوب قد انذعر وتاخر * ورجع الى قدام اخيهِ عنتر * وهو في غاية القلق والضجر * فسأله عنتر عن الخبر * فقال لهُ اعدل يا اخي عن الطريق * خوفا من التعويق * لاني قد سمعت صوتا رفيعا * وهديرًا مريعا * ولا شك بان بعض الفرسان. مجتازًا من هذا المكان. ومن الصواب ان نجنبه يافارس العرب * حتى يعبر ويذهب * لاننا نريد ان ندرك قومنا قبل الصباح * وانّ وقع لنا من يعيقنا عن الرواح فاتنا الوقت ووقعنا بالافتضاح . فلما سمع عنتر من اخيه ذلك الخطاب * راه عين الصواب * لانهُ خاف ان يلتقي بهم احد من الاعادي والاضداد * فيعيقهم عن القصد والمراد * فتجنبوا عن الطريق. وفي قلوبهم نيران الحريق. ووقف شيبوب قدامهم وقد سترهم الظلام. ولبدوا كما يلبد الذيب للاغنام. واذا بفارس قد مر عليهم في ظلام الليل * وهو راكب على فرس من جياد الخيل * وهو يدمدم كالغول * وينشد ويقول

Digitized by Google

اذا جن الدجى وعليَّ مالا ... واظلم ليلهُ ودجاه طالا
عسفت البر منفردًا بسيف ... صقيل المتن يشتعل اشتعالا
ومهري يشتكي خفقان نجد ... يكون على حوافره نعالا
ولولا انني اعلو بمجدي ... ظهور الخيل ما عرفت مجالا
سميت بذي الخمار وما خماري ... اذا ضيقتهُ الا جمالا
ولولا عبد عبس كان اسمي ... اجل بان يسمى او يقالا
هجرت الاهل من حنقي عليهِ ... وفارقت المنازل والعيالا
وقد امسيت في بر قفار ... فلاة لا ارى فيها خيالا
تضج الجن حولي من رباها ... كان ضجيجها قيلا وقالا
فلو امسى بها غيري وحيدًا ... تفطر قلبهُ منها انذهالا
فسيري ياسباع البر حولي ... اذا جيش الدجى ولى ارتحالا
فبيض الهند تروى من حسامي ... ومن حاق السنان وما حلالا
وتخمد ياسباع لهيب قلبي ... اذا ما العبد فوق الارض مالا

قال نجد بن هشام . فلما فرغ من هذا الشعر والنظام . عرفهُ عنتر انهُ ذو الخمار . الخاين الغدار . فتعجب من سرعة رجوعهِ وحار . والتفت على من حولهِ من الرجال . وقال لهم اعلموا ايها الابطال . ان هذا الرجل الغاشم . والفاتك الظالم . ما ترك غمرة في مثل هذه الساعة . وقصد حي بني قضاعة . الا ليقتلني في الحال . ويعجل لي النكال . لانه قد بلغه الخبر لا محال . باني اخذت اسيرا الى تلك الاطلال . وما دام الامر كذلك .

Digitized by Google

فلا بد لي ان اسقيه كاس المهالك

فلما سمع شيبوب من اخيهِ هذا الخطاب . قال اعلم ايها السيد المهاب . ان خروجك اليه في هذا الوقت ليس بصواب . لانك ان اسرتهُ . وظفرت بهِ وقهرتهُ . يحتج عليك امام الفرسان . ويقول انك التقيته بعشرين عنان * واخذتهُ على غفلة من دون حرب وطعان . والراي عندي ان نغتالهُ الان * ونشد كتافهُ ونوثق سواعده واطرافه ومني التثبيت بصديقك * وصاحبك ورفيقك دريد بن الصمة صاحب العزيمة والهمة * حدثهُ بهذه القضية واوقفه على باطن الطوية . واذا كان ذو الخمار بعد ذلك . لم يزل مصرا على قتالك . بارزه في ساحة الميدان . امام الابطال والفرسان . فلما سمع كلامهُ . وفهم قصده ومرامهُ . قال دبر انت الان بمعرفتك ما ترى . وساترك انا قتالي معهُ الى مرة اخرى

قال سعيد بن مالك * ثم ان شيبوبا بعد ذلك . صاح على من حوله من الرجال * وقال لهم اتبعوني ايها الابطال . حتى اريكم ماذا افعل الان . مع ذي الخمار الفاتك الخوان . ثم انهُ وثب وثبات خفيفات . وهمز همزات متتابعات * حتى اقترب من ذي الخمار . وهو يقطع القفار . كانهُ العفريت الطيار . فتقدم اليهِ من حيث لا يراه * وطعن فرسهُ في مخصاه . فشب بهِ الجواد والقاه على بساط الوهاد . كانهُ طود من الاطواد * فلما وقع وتكبكب . ادركهُ شيبوب مثل السلهب . واحاطت بهِ الرجال

Digitized by Google

من اليمين والشمال . فشدوا كتافه واوثقوا سواعده واطرافه * وساقوه الى امام عنتر الاسد الغضنفر * فوبخه على افعاله ولامه على قبيح اعماله * وقال له ويلك يا ذو الخمار * انت تدعى بانك فارس الاقطار * واشجع من كل ليث كرار وبطل مغوار وتريد ان تعادي اهل السعادة وترد احكام صاحب المشية والارادة . ولولا خاطر دريد بن الصمة * وماله علي من الفضل والحرمة * كنت عجلت عليك . واوصلت اذيتي اليك . كل هذا وهو ساكت * وحاير وباهت * لايرد جوابا ولا يبدي خطابا * ثم امر عنتر الفرسان . بشده على ظهر الحصان . وبعد ذلك جدوا في قطع البراري والكثبان . وما زالوا يقطعون القفار حتى اشرفوا على المعمعة عند نصف النهار . وابصر عنتر الغبار قد خيم على الاقطار ودريد ومن معه من الانصار . قد اشرفوا على الانكسار . وغمرة مع مقري الوحش فارس الشام . فهجم هجمة الليث الضرغام . وحمل على الرايات والاعلام . واسر ابو غمرة كما تقدم الكلام . وكشف الغمة . عن دريد بن الصمة ولما نزلوا للراحة . في تلك الساحة * حدث عنتر القوم بقصته وسبب خلاصه من شدته . وملتقاه بذي الخمار . تحت ستور الاعتكار وما جرى له من العجايب . والاهوال والغرايب

قال مجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . باذن رب الانام . فتعجب دريد ومن حضر * من حديث ابي الفوارس

Digitized by Google

عنتر . وقال دريد لمن حوله من الرجال . والسادات والابطال
اني لم اسمع في احاديث العرب . اغرب من هذه القصة ولا اعجب
لانها وحق الاله القادر . العالم بما في الضماير . تستحق ان تورخ
في بطون الدفاتر . وتتلي على المنابر . ثم انهُ التفت على سبيع بن
الحارث . وقال لهُ ويلك ايها الخاين الناكث . لقد جنيت على
نفسك وبغيت . وتعديت وافتريت . باعتراضك لهذا السيد
المهاب . وخروجك معهُ عن طريق الصواب . حتى وقعت في
الاسر والعذاب . ويلك ياذو الخمار . يانسل الفجار . اما علمت
ان معاداة اهل السعادة تورث الحسرات . ويكون صاحبها
قد عادى رب الارض والسموات . واريد منك ان تعلمني
بقصدك ومرادك . وما اضمرت لنا في فوادك . حتى غضبت علينا
من اجل هذا الرجل وحنقت كل الحنق . وضربت في وجوهنا
بالسيف ولم تشفق . فقال اريد منهُ ان يبارزني في الحرب .
وينصفني في مقام الطعن والضرب حتى تشهد الفرسان لاحدنا
بالغلبة . او بانحطاط المنزلة والمرتبة . لانك كما تعلم ايها السيد
المعظم . اني قد ملكت قرني الشجاعة بكفي . ودست على
رقاب الفرسان بقدمي وسيفي . حتى التقيت بهذا العبد الاسود
والنغل الانكد . وجرى لي معهُ ما قد جرى . وحط منزلتي من
الثريا الى الثرى . ومن ذلك اليوم الذي اسرني الى الان . ما
انصفني منهُ الزمان . واريد ان ابارزه في هذا المكان امام السادات

Digitized by Google

والفرسان . فان هو قهرني رعيت جماله . وبلغ مني اماله . وان انا قهرتهُ . وظفرت بهِ واسرتهُ . تركتهُ عندي ثلاثة ايام . على التمام يطحن الحنطة والشعير . ويحلب الاغنام ويسوس الحمير . فقال دريد اعلم بان هذا اللجاج . يورث الذل والهجاج . ولكن اصبر عليّ قليلا ياذا الخمار . حتى تنفصل نوبتنا من هولا القوم الاشرار ونرجع الى الاهل والديار . وانا ابارز بينك وبينه امام السادة الاخيار . حتى تشهد عليكما فرسان القبايل . وقواد الجحافل . ولا اترك لكما في هذا الامر ادنى عذر . واريد منك الان ان تنزع عنك ثوب البغي والعدوان . وتحلف لي برب العباد . انك ما عدت تضمر لعنتر بن شداد . الشر والعناد . ما دمنا في هذه البلاد . حتى اشفع فيك امام الابطال . واطلقك من الاسر والاعتقال . والا وحق الاله المتعال . تركتك في هذه القيود والاغلال . تقاسي الذل والنكال . الى ان نرجع الى الاطلال . وتنفصل هذه الامور والاحوال . فلما سمع ذو الخمار من حموه هذا الايراد . حلف لهُ كما اراد . واقسم بخالق الاشباح . ومنسم الرياح وشدد على نفسهِ في الايمان والعهود . حتى اقشعرت منها الجلود فعند ذلك قام دريد اليه . وقد شفق عليه . واستوثق بكلامهِ وصدقهِ . وحلهُ من كتافهِ واطلقهُ . واعتذر الى عنتر . واثنى عليهِ وشكر . وقال لهُ يافارس ربيعة ومضر . قد تبين عندي بانك تكون المنصور . وما هو الا الخاسر المقهور . لانهُ قد عدل

Digitized by Google

عن طريق الصواب . وما عاد يقبل النصيحة والعتاب . فقال
عنتر اعلم ايها السيد المفضال . ان قتاله لم يخطر لي قط على بال
وما همي الا الانشغال بالك دون باقي الرجال . وحملك من
جهتي الاثقال . ولو كنت اعلم . ايها السيد المعظم . انك سوف
تلقى . من اجلي هذا الملتقا . ما كنت نزلت في ديارك . واتعبت
اسرارك . فزاد له دريد من الشكر والثنا . وحلف له برب زمزم
ومنا . انه ما عاد يفارقه ابدا . على طول المدى . الاان يجرى
سببا من الاسباب . ما لم يكن في حساب . ثم قال يا ابا الفوارس
ويا زين المجالس . ما بقي يمنعنا عن العودة الى الاطلال . الا
العباس ومن معه من الابطال . وقد عولت ان افديهم بفايز
وابنته غمرة . ومن لهم عندنا من الاسرى ونرجع من قريب الى
الاهل والحبيب . فقال عنتر ولما لا تسر بنا في هذه الساعة الى
حي بنى قضاعة . ونضع السيف فيمن بقي هناك من الرجال .
ونسبي الحريم وننهب الاموال . ونخلص العباس ومن معه من
الرجال . من الاسر والاعتقال . ونضرب رقبة غمرة واخيها .
ومن معها من اهلها وذويها ونترك اخيها المتجنعر برسم خفاف بن
ندبة . ونستريح قلوبنا من هذه الامور الصعبة . ونبلغ ما نريد
من هذه الديار . وينال خفاف من زوجته ما يحب ويختار .
فقال دريد لخفاف يا فارس المعارك . اذا فعلنا ذلك . تجتمع
علينا قبايل العرب التي في بلاد اليمن ونقاسي الحروب والمحن .

Digitized by Google

Digitized by Google

[illegible]

[illegible] الشيطان [illegible]

[illegible]

وبعد ان ابلغ غاية المراد * اتزوج بها على روس الاشهاد * واقيم
معها في هذه البلاد . واعيش عزيزًا رفيع المقام . مسموع الكلام
وتخايل له من هذه الاشيا اشيا كثيرة من الخيالات * وزين له
الطمع طريق الغدر وفعل القبحات . وكل هذه الامور معلقة
بالقضا المسطور . ولولا ذلك لم يتصور . لاحد من البشر * ان
يفعل المنكر . وانما الاوقات تدور بامر الملك الجليل * فيزين
للعبد ان يرى الجميل قبيح والقبيح جميل الا ان ذو الخمار لما
لاح له وجه الطمع * وتاه في بحر الجهاد والخدع . اتى الى عند
الاسارى وحل غمرة * وقال لها انهضي في عاجل الحال . واطلقي
اباك من الاسر والاعتقال . ولا تظني ايتها السيدة المصونة *
والجوهرة المكنونة . اني نسيت ما ابديتيه معي من الجميل
وكرم الاخلاق . واطلاقك لي من الوثاق . على ان هذا الوقت
قصير . لا يحتمل فيه الكلام الكثير . وانما التدبير والكلام . متى
اجتمعنا عندكم في الخيام * فلما سمعت كلامه وفهمت قصده ومرامه
شكرت فعله . وحمدت فضله . ونهضت على الاقدام * بسرعة
واهتمام . وحلت اباها . ومن يلوذ بها من اهلها واقرباها . وتركت
المتعجر اخاها . لانه لم تقدر ان تصل اليه . لان عنتر كان قد
احتفظ عليه * وسلمه الى الامير خناف . وقال له هذا اسيرك
بلا خلاف . فاحتفظ منه * ولا تغفل عنه * فيفوتك المقصود
ويشمت بك العدو والحسود * فكان خناف لا يتركه وحده *

Digitized by Google

ولا ينام الا عنده . ولما خاصت غمرة الى ابيها . وعجزت عن خلاص
اخيها . خرجت من بين الخيام . وقد فرحت ببلوغ المرام . فقال
لها ذو الخمار . قولي لابيك ياشمس النهار . ان يسير بن معهُ الى
الديار . واتبعيني انت في عاجل الحال . وعاونيني على قتل
عنتر ابن الانذال فلما سمعت منهُ ذلك المقال . نزل على قلبها
احلى من الما الزلال . وقالت لهُ وحق الاله المتعال . الذي قدر
الارزاق والاجال لقد غمرتني باحسانك . وتكرمت عليَّ بفضلك
وامتنانك * ودبرت احسن تدبير . في قتل ذلك العبد الشرير .
ثم امرت اباها بسرعة المسير الى الديار . وسارت هي مع ذي
الخمار * تحت ستور الاعتكار . حتى التقيا بعنتر * في جوانب
البر الاقفر . وهو يصارع النعاس * ويحافظ على الناس . وكان
عنتر قد سمع وقع حوافر الخيل . وهي مقبلة نحوه تحت جنح الليل
فمال اليها كل الميل . وصاح من هذا الطارق . في هذا الظلام
الغاسق * فقال لهُ ذو الخمار . لا تخف يافارس الاقطار . فقد
ارسلني دريد اليك . في امر اقصهُ عليك * وهو يقول لك ايها
الاسد الغضنفر . ان تكون من ذي الخمار على حذر . فانهُ قد خان
وغدر . ونكث بالايمان والعهود . بعد ما اشهد على نفسهِ الرب
المعبود . وفك غمرة واباها من الاغلال والقيود

قال نجد بن هشام . ثم انهُ اوهمه بالكلام . وطعنه طعنة قوية
بقوة وحمية * لو وقعت على جبل لمال وانهدم . فكيف اذا

Digitized by Google

وقعت على صدر بني ادم . الا ان الطعنة عادت خايبة . غير صائبة . ولقاه الله بغية لاجل الاقسام الكاذبة . فاتت تلك الطعنة بالعرض . فطار الرمح ثلاثة اقسام الى الارض . فانتبه عنتر على نفسه وانجزع . وعلم انه قد انخدع . ومن شدة ما جرى عليه . ووصل اليه . صرخ صرخة ادوة منها الجبال . واثنا بصيحة اخرى تملقل اسود الدحال وهجم على ذو الخمار وطلبه تحت ستور الاعتكار . واراد ان يطعنه ويسقيه كاس البوار . واذا بغمرة قد اعارضته . وصاحت فيه وحاربته . واخذت معه في القتال . والحرب والنزال . ولولا غمرة كان قتل ذو الخمار ومات . وشرب كاس الافات . وانما هي التي اشغلت عنه عنتر بن شداد في الحرب والجلاد . وكان ذو الخمار كلما هم ان يعود الى حرب عنتر . يخونه الجواد ويتاخر . الا ان هنا الامر ما دام اكثر من ساعة من الزمان . حتى سمعت الابطال والفرسان . الضجيج والصياح . ولمعان اسنة الرماح . وقعقعة السلاح . وصوت عنتر كانه الرعد في الغمام . فانتبهت العرب من المنام . وركبت ظهور الصافنات . ووقع الضجيج من ساير الجنبات . واهتزت الروابي والجهات . وعلم بذلك ذو الخمار . فانذهل وحار * وخاف من حلول البوار * ونزول الدمار * فاخذ غمرة وسار * وطلب الهزيمة والفرار * فطلبهما عنتر اشد الطلب * ففاتاه عنه في ذلك البر والسبسب * وحجبهما عن عينه ستور الغيهب * لان الليل

كما قيل يقطع الطالب عن مراده * ويمنعهُ بظلامهِ وشدة سواده وما اصبح الصباح * الا والخيل مشردة في اقطار البطاح وكانت اكثر الفرسان * لا تعلم سبب ذلك الصياح فعند ذلك صاح فيهم عنتر * ورد اكثر العسكر * وكان شيبوب قد انذعر * وخاف على اخيهِ من الضرر فامره عنتر ان يرد الفرسان المتفرقة في تلك القيعان * وفي دون ساعة اجتمعت العرب من كل جانب ومكان * والتقى دريد بعنتر * فسالهُ عن حقيقة ذلك الخبر * فاحكى له جميع ما جرى وتدبر * فاستعظم دريد فعلهُ وحلف ان وقع بهِ مرة اخرى قتلهُ * وعجل من الدنيا مرتحلهُ * ثم انهُ هنا عنتر * بسلامتهِ * وتعجب من سعادتهِ * وبعد ذلك استشاره في الرجوع الى الاطلال والربوع * فاجابهُ عنتر الى ما طلب * وقال لهُ اعلم ايها السيد المنتخب * لم يبق لنا قرار * في هذه الديار * ما دام ذلك الشيطان * في هذا المكان * ولا بد لهُ ان يلتجي الى بني قضاعة * ويقصدنا بالعساكر في هذه الساعة * ونعود معهم الى الحرب والقتال * وملاقاة الاهوال فقال دريد قاتله الله وقتلهُ * والى طرق الهلاك ارسلهُ * فما اشد حسدهُ وانذلهُ * وانا اعلم انهُ يفسد علينا العباس ومن معه من الرجال * ويقيم معهم في هذه الاطلال

قال مجد بن هشام * ثم انهم بعد ذلك الكلام * رجعوا الى المضارب والخيام * وما اقاموا اكثر من ساعة * بمقدار ما ضربوا

Digitized by Google

رقاب من بقي من اسرى بني قضاعة * وقتل خفاف المتعجر اخو
غمرة * وطفى بين قلبه لهيب تلك الجمرة . وبعد ان شفوا
الغليل جدة عزايمهم على الرحيل فركبوا الخيول وتقلدوا بالنصول
وجدوا في قطع البراري والسهول وهم يتحدثون بحديث سبيع بن الحارث
الخاين الناكث وشتموه بكل شفة ولسان . ويدعون عليه بالهلاك
والقلعان . ولم يزالوا سايرين ثلاثة ايام . وهم يقطعون الفيافي
والاكام . وفي اليوم الرابع . وقعوا في ارض كثيرة الغدران والمنابع
فبينما هم يسيرون في تلك الارض * ويتذاكرون مع بعضهم البعض
اذ قد اقبل عليهم من البرية . خمسة فوارس على خيول قوية
تسبق الرياح الغربية . فلما وصلوا اليهم . واشرفوا عليهم . تبينهم
دريد بالنظر . لانه كان قد اندهل وتحير من انفرادهم في ذلك
البر الاقفر . واذا هم من بني هوازن وجشم وسليم وغزية وكانت هذه
القبايل في ارضه وامره نافذ فيهم بالسوية فقال لهم الى اين انتم
سايرين في هذا القفار . وفي اي وقت فارقتم الديار * قالوا ما
نحن سايرون الا في طلبك حتى نخبرك بما جرى على قومك
وعربك لانه بعد غيابك من الاوطان دهمتنا بنو عبس وعدنان
وفزارة وذبيان . في عشرين الف عنان . فسبوا الحريم والعيال
ونهبوا الاموال . وساقوا الخيل والجمال . وفتكوا في الفرسان
والابطال . وعادوا الى الاطلال . لانك سرت عنا في مقدمين
القبايل . وقواد الجحافل * وتركت الديار بدون مقدم ولا امير *

Digitized by Google

فجرت علينا هذه المقادير * واصبحت العرب تنتدب من ساير
الجهات * وضاقت علينا الاراضي والفلوات * فلما سمع دريد
ومن معه من الابطال . ذلك المقال خرجوا عن دايرة الاعتدال
واما الامير عنتر . فانه اندهل وتحير . وطار من عينيه الشرر
ومن شدة ما جرى عليه . ووصل اليه * غاب عن الوجود .
وعلم ان نزوله على دريد كان غير محمود . وتمنى انه يكون بذي
جناح حتى يدرك بني عبس قبل الصباح . ويجازيهم على افعالهم
القباح . هذا ودريد يسال الرجال عن اخيه الامير خالد وعن
الفرسان الذي كان يذخرهم ليوم الشدايد فقالوا له ان فلانا اخذ
اسيرا ذليلا * وفلانا اضحى قتيلا جديلا . ومن جملة من اسر
من السادات الاماجد * كان اخوك الامير خالد . ولا تسال عن
النسا والصبايا . فان اكثرهن قد اخذن سبايا * وحلت بهن
الرزايا . ولم يبق منهن في الديار . الا من طلبت لنفسها الفرار
وغاصت في جوانب القفار . وقد سبيت عبلة بنت مالك بن
قراد . وسبكة زوجة مفرج الوحش فارس الطراد * فقال دريد
وقد اظهر الحلم والجلد . واخفى الغيظ والكمد * حيا من عنتر بن
شداد * واصحابه الاجواد * ان هذا الامر علينا اهون ما يكون
لان فينا كفاية لكل حرب المناصل والعيون . ولا بد لنا ان
نكافي بني فزارة على هذا الامر المنكر * ولما بنو عبس فهم
وحاميها الخبر . فقال عنتر . يا ابا النظر . ومن هم بنو عبس وغطفان

Digitized by Google

وفزارة وذبيان . فوحق ذمة العرب * وشهر رجب . ما بقيت من اليوم وصاعدا اجاور قومي ابدا . ولا اعدهم الا من جملة العدى . ثم انهم جدوا في المسير . وسابقوا بمسيرهم الطير الذي يطير . وقلوبهم تغلي بنار السعير

قال سعيد بن مالك وكان السبب في ذلك ان عنترا لما اقتتل مع بني فزارة . ورجل من الحي غضبانا كما سبقت الاشارة * رجع حصن بن حذيفة الى الديار . وهو في غاية القلق والافتكار من جهة الجارية نوار . الذي اغتصبها عنتر منه بالقوة والاقتدار وزوجها بابن عمها . وفرج عنها غمها . وكان اكثر الاوقات يجتمع بالملك قيس في الخلوات . ويطلب منه المساعدة والامداد * على قتل عنتر بن شداد * وكان الربيع بن زياد يعاونه على هذا الفساد . ويتكلم في حق ابي الفوارس بما لا ينبغي ذكره في المجالس حتى اوغر صدر قيس على عنتر . واضمر له الاذية والضرر خوفا من انتشار الفتن . ووقوع المحن . وتمنى ان عنتر يهلك في بلاد اليمن * وتالف المعاهد والدمن * ولا يرجع الى الوطن * وارسل من وقته الربيع بن زياد . وجماعة من اكابر القواد الى عند صهره الملك النعمان . ليعلمه بذلك الشان . وبلغ سيلون بن ابي حارثة هذا الخبر . ففرح واستبشر . واخذ يستعمل وسايط الضرر حتى يقلع من بني عبس الاثر . بعد قتل الامير عنتر . لانه كان عدوهم الاكبر ومن وقته ارسل نجابا بكتاب الى الحارث

الوهاب . سيد بني غسان . والحاكم على متنصرة العربان . يقول له اعلم ايها الملك الهمام . والليث الضرغام . والصارم الصمصام ان عدوك عنتر بن شداد * قد نفيناه من هذه البلاد . فهذا وقت الغزو والجهاد في بلوغ المراد . من بني عبس الاوغاد واريد منك يا فخر الملة العيسوية . ان تمدنا بعساكر قوية وجيوش عرمرمية . حتى ناخذ بثار ولدك بدر النصرانية * ثم نغزو الملك النعمان . ونفتح مداين كسرى انوشروان * ونهدم بيوت النيران وبعد ان نقهر الممالك الوثنية . وتطيعك الدول الاجنبية . نجتهد ان نجعل الدنيا كلها مسيحية

قال نجد بن هشام . وبعد ارساله هذه الرسالة الى ملك الشام . اقام في الحي مدة ايام . وهو يترقب اخبار عنتر . حتى بلغه الخبر بانه سار مع دريد في جمهور من الرجال . الى بلاد شريف وتلك الاطلال . وان احياء هوازن خالية من الرجال . فركب من وقته في جماعة من الابطال . وقصد حي بني عبس وعدنان واجتمع بالملك قيس وحدثه بذلك الشان . وقال له اريد منك الان . ان تسير معنا الى تلك الاوطان . ما دام الاحيا خالية من الشجعان . حتى ننهب الاموال ونسبي النسوان . ونضع السيف فيمن بقي هناك من الرجال والصبيان . وانا اعلم ايها السيد الكريم . انه قبل رجوع دريد وعنتر من تلك الاقاليم تكون قد بلغنا المراد . ومددنا النهب بالعساكر والاجناد . فلما سمع

Digitized by Google

فيما منهُ ذلك الايراد . اجابهُ الى ما اراد . وفي عاجل الحال ركبوا في عشرين الف من الابطال . وقصدوا تلك الاطلال ونهبوا الاموال . وقتلوا جماعة من الرجال . وسبوا مسيكة وعبلة وغيرها من نسا الحلة . و بعد ذلك رجعوا الى ديارهم . وقد بردت لهيب ثارهم وجمع قيس السبي حول العلم السعدي . وقال الى بني فزارة ارحلوا من ارضكم وانزلوا عندي . حتى تكونوا قد شاركتمونا على ما اعتدينا . ويكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا . لاني اعلم ان دريدًا متى رجع الى الاوطان . وسمع بما جرى وكان . لا بد لهُ ان يقصدنا الى هذه البلاد . مع عنتر بن شداد . ومن تعرفون من الفرسان والاجواد . ونبلى بما لا يطاق . قبل ان تصل الينا عساكر العراق فقال سنان بخبثهِ ودهاه ومكره وقلة حياه . ابشر يا قيس با لنجاح والظفر . فمن هو دريد وعنتر فوحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . ان صح هذا الخبر لا تركنا لهم ذكر يذكر

قال نجد بن هشام . ثم ان سنانا بعد هذا الكلام . رحل مع بني فزارة الى ديار القوم . من ذلك اليوم . بعد ما فرق على الفرسان والابطال . النوق والجمال . واصبحت القبيلتان قبيلة واحدة . وعلى لقاء الاعدا متساعدة . وامست ديار بني هوازن . وتلك المنازل والاماكن منقلبة بالبكا والنواح . والضجيج والصياح قال نجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . فلما

الكتاب الستون
من سيرة عنتر بن شداد العبسي

سمع دريد وعنتر بذلك الخبر . اخذهما القلق والضجر . وجري على قلبهما ما لم يجر على قلب بشر . وكانا قد جدا في قطع البر الاقفر . حتى وصلوا الى المضارب . فراوها تضج بالاحزان والمصايب من كثرة النوادب . فاشجاهم ذلك النظر والسماع . وتالمت القلوب من شدة الاوجاع . ونزل دريد في اطراف الخيام . واخذ يسلي الناس بالكلام . ويقول لهم اعلموا يابني الاعمام ان الماضي لا يرجع . وامر الله لا يندفع . فعليكم بالصبر والسلوان وازيلوا من قلوبكم الهموم والاحزان * وخذوا اهبتكم للحرب . واستعدوا للطعن والضرب * حتى اسير بكم بعد ثلاثة ايام . الى قتال الاعدا اللياما * ثم انه ارسل لعنتر بن شداد * ومن معه من الفرسان الاجواد * المضارب والخيام * واسمطة الطعام . وبواطي المدام . فنزل عنتر واصحابه في المضارب * وهم يتاملون في هذه المصايب * وكيف جرت عليهم هذه النوايب * من الاهل والقرايب * وكان اكثرهم قلقا * ووجدًا وارقا * ابو الفوارس الامير عنتر * ومفزع الوحش الاسد الغضنفر * وكان الواحد

Digitized by Google

منهما اذا نظر الى عرصة الديار * يحترق قلبه بلهيب النار * ويحن حنين النياق * عند الاشتياق * ويتململ تململ الطير اذا وقع في الوثاق * ويشتكي الى صاحبه ما يجده من لوعة الفراق ·

قال الراوي وبلغني عنهما من بعض الرفاق * انهما بقيا ليلتين لم يناما على الاطلاق ولم يمكن احدهما اجفانه من الانطباق وفي الليلة الثالثة زاد الشوق بعنتر * واقلقه الوجد والسهر · وقال لمفرّج الوحش ويحك يافارس الشام * الى متى هذا القعود في الخيام * فهلمّ بنا حتى نسير الى خلاص الحريم * ولا نتكل على غيرنا في لقا الغريم * فقال مفرّج الوحش افعل ما بدا لك * فاني لا اخالف مقالك * ثم وثب كل واحد منهما الى ظهر جواده * بعد ما اعتد بلامة حربه وجلاده * ولم يعلم بهما غير الامير شداد * وتمام المايه فارس من بني قراد فساروا معهما تحت ستور الظلام * ولما تبطنوا البراري والاكام وابعدوا عن الخيام * زاد بمفرّج الوحش القلق والشوق والارق * وقد تذكر زوجته مسيكة وولده سبيع اليمن * وما جرى عليهما من المحن * فانشد يقول * من فؤاد متبول

ما بال ربعك يامسيكة قد خلا   وبوحشة بعد الانيس تبدلا
بالامس كان محل غزلان النقى   واليوم تجحل فيه غربان الفلا
ناديته وسالته مستخبرًا   عمن بقيت لفقده اشكو البلا
كحلت اجفاني بكحل ترابه   لما ذكرت به الغزال الاكحلا

Digitized by Google

يا ربع ان خان السحاب فادمعي   تروي ثراك اذا جنابك امحلا
بالله يا نسمات انفاس الصبا   لك خبرة بالظعن اين ترحلا
فاجابني ريح الشمال وقال لي   في غيلم محبوب قلبك قد وصلا
نزلوا على وادي العقيق وخلفوا   في ربع قلبي للحوادث منزلا
لهفي على قوم سرت اظعانهم   كرها ولا طابوا المدلال ولا القلا
فجعوا العدى قلبي بهم فمدامعي   هطالا وثار صبابتي لا تصطلا
طايرًا قد بات يندب الفه   اين الخلي من الحزين المبتلا
لو كنت مثلي كان دمعك قد جرى   وسقي الغصون وبل اقطار الفلا
ان كان قد اغتال الفلك وانص   وبقيت مشتاقا اليه مقلقلا
وانا سبا والدي عدوًا ظالما   حسدا ويحق لحاسدي ان يفعلا
لهفي على سبع البان وقد غدا   يعساق مشدود اليدين مغلغلا
يا صاحبي ان لم تكن لي مسعدا   يوم اللقا طاوعت فيك العذلا
وصحبت وحش البرعمري كله   وجعلت للغزلان دمعي منهلا

قال محمد بن هشام. فلما انتهى مفرج الوحش من هذا الكلام زاد بكاه. وهاجت نيران جواه. فرحمه عنتر ونهاه. وقال له لا تضيق صدرك. ولا تشغل فكرك. فانا لا نتخلا عن معونتك. ولا بد لنا ان نخلص ابنك وزوجتك * ولا ندعك ان تصاحب وحش القفار. بل ناخذ لك بالثار. ونفعل كما تحب وتختار * لاني انا نظيرك اكابد الهوى * وكلانا هذه المصيبة على حد سوى ولكن لا كلام. ايها البطل الهمام. حتى تقع العين على العين .

وتبصر كيف ينقضي الدين . ومن الصواب ان تحسن صبرك . وتشرح عند الملمات صدرك . واذا اردت ان تبرد بالشعر والشكوى [illegible] . فاذكر سيفك وسنانك . لانهما اعدل الحكام . وافضل في كل مقام . واعلم ان ذكر الاطلال البالية . والمنازل الخالية لا تصلح الا للكواعب والاتراب اللواتي خلف الحجاب * اذا تجاوبن على النوح والتعداد . على فقد الاولاد ثم ان عنتر بعد هذا الكلام اخذ يسليه بالشعر والنظام . فانشد وقال

يا صاحبي لا تبك ربعا قد خلا ودع المنازل تشتكي طول البلا
واشكو الى حد الحسام فانهُ امضى اذ احق اللقا وافصلا
من اين تدري الدار انك عاشق او عندها خبر بانك مبتلا
والله ما يمضي رسولاً صادقا الا السنان اذا الخليل تبدلا
ولقد عركت الدهر حتى انهُ لو لم يذق مني الحرارة ما حلا
وكذا سباع البر لولا شرها دارت بها في الغاب غربان الفلا
فتحملا يا صاحبي رسالتي ان كنتما عن ارض عبس تعدلا
قولا لقيس والربيع بانني خط المشيب على شبابي ما علا
بل لو صدمت بهمتي جبلي حرى قسما وحق ابي قبيس تزلزلا
لو لم تكن يا قيس غرك جاهلا ما سقت نحو ديار عنتر جحفلا
والله لو شاهدته ورايتهُ ما كان اخره يلاقي الاولا
يا قيس انت تعد نفسك سيدا وابوك اعرفهُ اجل وافضلا
فاتبع مكارمهُ ولا تزري بهِ لو كنت عنهُ ممن تعد اكملا

فاحذر فزارة قبل تطلب ثارها   وتريك يوماً ناره لا تصطلا
فدما بني بدر عليك قديمة   وبني فزارة قصدها ان تغفلا
والله لا خليت في اوطانهم   الا النوايح صارخات في الفلا

قال الراوي فلما فرغ عنتر من هذه الابيات . طربت لها الابطال والسادات . ثم انهم جدوا في قطع البراري والفلوات . واذا بغبار من خلفهم قد ثار . حتى سد منافس الاقطار . وكان هذا الغبار غبار دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة . وقد لحق بهم في عشرة الاف فارس . من كل ليث عابس . وبطل مداعس لانهُ كان قد عول في اليوم الثالث على المسير . في هذا الجمع الغفير . فطلب الامير عنتر . فلم يقف لهُ على خبر . فعلم انهُ قد سبقهُ وسار . لياخذ با لثار . ويطفي ما بقلبهِ من لهيب النار . فتعجب من علو همته . وشدة نخوته . ثم انهُ في ساعة الحال صاح على الفرسان والابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . باخذ اهبة القتال * وما تنصف النهار حتى استعدت الشجعان وتلاحقت الفرسان . وتبادرت اليهِ من كل جانب ومكان . وهم قد غاصوا في الحلق . وتنكبوا با لدرق . وركبوا الخيول السبق وركب دريد وهو غايص في الحديد . مسربل با لزرد النضيد ونشرت على راسهِ الرايات . ودارت بهِ القواد والسادات . وسار بهذا العسكر . طالب الامير عنتر . ولما تبطن البر الاقفر . جاش الشعر في خاطره . فباح بما اكتتم في ضمايره . فانشد وقال

Digitized by Google

الا يا لقومي للجديد المصرم وللحلم بعد الزلة المتوهم
وللمرء يعتاد الصبابة بعد ما اتي دونها ما فرط حول مجرم
في[illegible] لمى بالصريمة فاللوى الى مدفع القيعا نغا لمتثلم
ظللت على عرفانها ضيف قفرة لاقضي منها حاجة المتلوم
اقامت بها بالضيف ثم تذكرت مصايرها بين الجواء فعيهم
تعرج رهبا في الزمام وتنثني الى مهذبات في وشيج مقوم
اذا افبت وزافت في الزمام كانها الى غرضها اجلاد هرٍ ماوم
اذا زال رعن عن يديها ونحرها بدا راس رعن فارد متقدم
وصدت عن الما الاول لجوفها دوي كدن القينة المتهزم
تصعد في بطحا عرق كانما ترقى الى اعلى اريك بسلم
سابكي عبسا اذ اثارت رماحها غوايل شر بينها متثلم
وكانوا هم البانين قبل اختلافهم ومن لا يشد بنيانه يتهدم
كي ككوثل السفينة امرهم الى سلف عاد اذا احتل مرزم
اذا نزلوا الثغر المخوف تواضعت مخارمه واحتله ذو المقدم
انفت لهم من عقل قيس ومرثد اذا وردا ماء ورمح ابن مرثم
ويوما لدي الحشار من يلوحقه يبزبز وينزع ثوبه ويظلم
وفي كل اسواق العراق اتاوة وفي كل ما باع امرء مكس درهم
وعمرو بن همام صقعنا جبينه بشنعا تشفي سورة المتظلم
الا تستحي منا ملوك وتتقي محارمنا لا يبوء الدم بالدم
نعاطي الملوك السلم ما قصدوا لنا وليس علينا قتلهم بمحرم

Digitized by Google

وكاين ازرنا الموت ذي من تحية اذا ما ازدرانا اواسف لمأثم

وقد زعمت ذبيان ان رماحنا رماح الغواني لا تخوض الى الدم

ويوم الكلاب قد ازالت رماحنا شرحبيل اذ آل اليهِ مقسم

لينتزعن ارماحنا فازلهُ ابو حنش عن سرج شقا صلدم

تناولهُ بالرمح ثم انثنى لهُ فخر صريعا لليدين وللفم

وكان معادينا تهركل بهُ مخافة جيش ذي زها عرمرم

يرى الناس منا جلد اسود سالخ وفروة ضرغام من الاسد ضيغم

قال الاصمعي ولم يزالوا سايرين في ذلك البر الاقفر . حتى ادركوا الامير عنتر . كما تقدم الخبر . ولما اجتمعوا ببعضهم البعض في تلك الارض . عتب دريد على عنتر بن شداد . لمسيره في حالة الانفراد . فقال لهُ عنتر . والله يا ابا النظر * لقد اتعبناك بنزولنا في ديارك . وضيقنا صدرك واشغلنا افكارك . وكلما عولنا ان نحمل عنك بعض الاثقال . تخوننا الايام والليال . فقال دريد ما هذا المقال . فوحق من يعلم وزن الجبال . وكم فيها من ذرة ومثقال . ان هذه الامور لم تخطر لي على بال . وقد مارستها وانا صغير . وعرفت القليل منها والكثير . ثم انهم نزلوا في تلك الساحة . بقدر ما اخذوا لانفسهم راحة . وبعد ذلك ركبوا ظهور الخيل والمهار . وجدوا في قطع القفار * والاودية والاوعار . طالبين حي بني عبس وتلك الديار

قال الراوي وكانت بنو عبس وذبيان . وفزارة وغطفان .

Digitized by Google

بانتظار عساكر النعمان . وكانوا قد استعدوا غاية الاستعداد .
وجعلوا على الطرقات العيون والارصاد . فبينما هم في الانتظار
اذ بلغتهم الاخبار . بقدوم دريد وعنتر . في ذلك الجيش والعسكر
فاضطرب الملك قيس وحار وواخذه الانبهار . خوفا من حلول
البوار . ونزول الدمار . واجتمع بمن له من الاصحاب والاحلاف
والاحزاب . وقال لهم وحق رب الارباب . ان هذا الامر لم يخطر
لنا في حساب . وما كنت اظن ايها السادة الانجاب . ان عنتر
يخرج من بلاد اليمن وارض شريف . ويقصدنا بهذا الجمع
المنيف . والابطال الغطاريف . ونحن لحد الان . لم تصل الينا
عساكر النعمان * وما هذه الا نوبة مشكلة . وعاقبتها معضلة .
وانا اعلم ان مثل عنتر * لا يضام ولا يقهر . ثم انه احضر سنان
وسادات بني فزارة * وحدثهم بتلك العبارة * فعظم عليهم الخوف
والفزع * وخاب منهم الرجا وانقطع . وقال سنان . وحق الملك
الديان * ما بقي ينجينا غير المحال والخداع * والا بلينا بمصايب
ليس لها من اندفاع * ونهبت اموالنا * وسبيت حريمنا وعيالنا
فلما سمع الملك قيس منه ذلك المقال * قال له وكيف تكون
الخديعة والمحال * في هذا الداء العضال * فاخبرني في عاجل
الحال * حتى اساعدك عليها بالمقال والفعال * فقال سنان
اول ما نعمل من الاعمال * نرضيهم باعطا الحريم والعيال *
وتسليم الاموال * من دون حرب ولا قتال * ونتقدم انا وانت

Digitized by Google

في اول الابطال . ونلتقي عنتر بالترحيب والاكرام . والتعظيم والاحترام . ونقول له اعلم ايها البطل الهمام . والليث الضرغام . وحق الاله الجبار . اننا ما قصدناك الى تلك الديار . الا حتى نطلب منك السماح والغفران . ونردك الى الاهل والاوطان . لاننا عاملناك اسواء معاملة . وبادیناك بالمقابحة عوضا عن المجاملة . وقد اصبحت ارضنا بعدك بلا محامي . وطمع فينا كل لص وحرامي . وقد رضينا ان ترجع معنا الى الاطلال . حتى نوهبك دم من قتل لنا من الرجال . لان جورك علينا . احب من عدل غيرك الينا . واننا لما وصلنا الى ديار بني هوازن . وتلك المنازل والاماكن . بلغنا انك في بلاد اليمن مع دريد بن الصمة . صاحب العزيمة والهمة . فصعب ذلك علينا . وكبر لدينا . فاجمع راينا على اخذ عبلة . ومن معها من نساء الحلة واظهرنا الغزو والغارة حتى اذا رجعت من بلاد شريف وسمعت بهذه الوقاحة والجسارة . تقصدنا في الحال . الى الاطلال . وانت ممتلئ غيظا وحنقا . ونلقاك نحن بهذا الملتقى . ويعود شملنا ملتئما . ويصبح عدونا نادما مغتما . فان تم عليه هذا الكلام . ونزل عنده وطلب الطعام . كبسناه [illegible] ومن معه في الظلام . ووضعنا فيهم الحسام . ونهبنا الاموال والخيام . وبلغنا غاية المرام . وان لم [illegible] عليه هذا المقال . [illegible] ويرجع عنا في الحال . [illegible] [illegible] عبلة [illegible] الاطلال . ونكون نحن ردءا له

Digitized by Google

بالمكر والمواقحة . احسن ما نلتقيه في الحروب والمكافحة . لانني
اعرف انهُ قوي الجنان . غير انهُ شديد الحيا دون كل انسان
قال مجد بن هشام . فلما سمع قيس من سنان هذا الكلام .
ابدى الضحك والابتسام . وقال له وحق البيت الحرام . وزمزم
والمقام . ان هذا الحديث لا ينطلي على عنتر . ولا على غيره من
البشر . وان سمعهُ هو ودريد ورجعا . فما يكون الا حياء منهما
لا فزعا . فقال له سنان . دعهُ يكون كيف ما كان . لان ليس
قصدنا الان . الا المهلة والا نعواق . حتى تصل الينا عساكر
العراق . مع حصن بن حذيفة والربيع بن زياد . وبعد ذلك
نتبعه بالجيوش والاجناد . ولو طار الى اخر البلاد . ولا نزال
حتى نبلغ منه المنا . وننهب جسده باطراف القنا . فقال قيس
افعل ما بدا لك . فما فينا من يخالف مقالك . فرجع الشيخ سنان
وهو مسرور فرحان . وامر العبيد ان تنحر النوق والاغنام .
وتروق المدام . وتروج في الطعام .

قال الراوي ولما اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح اشرف
عليهم الامير عنتر . ودريد بن الصمة في ذلك العسكر . وكان
القوم قد لبسوا السلاح . واعتدوا للحرب والكفاح . وارتفع منهم
الضجيج والصياح . وارتعدت الارواح . في الاشباح . وامر سنان
هذه الامور الكبائر . فحلف على القبائل والعشائر . من سطوة
تلك العساكر . فاخرج لا الطلائع . وفي ايديهم الدفوف

Digitized by Google

والمزاهر . وقد البسهن الوانا تبهت النواظر . وتدهش العقول والبصاير . وهو يقول لهن ويلكن يابني العواهر . ازعجن الدفوف غاية الانزعاج . واظهرن الفرح والابتهاج * وارفعن اصواتكن بهذين البيتين

عاد حامينا الينا سالما بعد البعاد
فاحمدوا الله جميعا واشكروا رب العباد

قال فضربن بالدفوف المولدات . رفعن اصواتهن بتلك الابيات . ونادين في جوانب الفلوات . حتى بانت الاعلام والرايات . وانتشر الجيش بعد الاجتماع * وطاب بعد المضيق الاتساع . وكان الامير عنتر . في مقدمة العسكر ينتظر من يتقدم عليه او من يصل من بني عبس اليه . فلم يرى غير المولدات . ومن يضربن بالدفوف من ساير الجنبات . ويمدحنه بتلك الابيات * فاخذته الحيرة والانبهات * ووقف هو وفرسان العرب . بعد ذلك الجد والطلب . وقد تعجب غاية العجب . والتفت على مفرج الوحش . وقال له ياصاحب الشجاعة والبطش . قد اعتراني الانذهال . من هذا الحال لاننا قد اشرفنا على الاطلال . ولم نرى احدا من السادات والابطال . الا الاما والحراير * وهن يضربن بين ايدينا بالدفوف والمزاهر . وانا اقول وحق الاله القاهر * العالم بما في السراير . بان قومنا قد زوجوا نسايا الحراير لغيرنا من ساداتنا العشاير . لان هذه الدلايل والاشاير . لا تكون

الا للافراح والبشاير فضحك مقري الوحش من هذه العبارة وقال له جزاك الله خيرًا على هذه البشارة

قال سعيد بن مالك . فبينما هم كذلك . واذا بالملك قيس قد اقبل . وهو في غلبة الحيا والخجل . ومن حوله الابطال والفرسان والى جانبه الاميرسنان . والكل خالين من السلاح غير متاهبين للحرب والكفاح . وعليهم الثياب المثمنات . والعمايم الملونات . ولما اقتربوا من الامير عنتر . ترجل الملك قيس ومن معهُ من العسكر وتقدم اليه سنان . دون باقي الفرسان . وقال له بمكره ودهاه وخبثهُ وقلة حياه . انت تقول ياحامية عبس وعدنان . ونادرة هذا الزمان . انهُ لا ينطلي عليك المحال فها قد اعدناك الى الاطلال . بالخديعة والاحتيال * ووهناك ما فعلت في حقنا من قبيح الفعال . ونحن نسال الاله المتعال . ان لا يعدمنا شخصك على كل حال . لاننا لا نستقر بامان . ما لم تكن عندنا في الاوطان

قال مجد بن هشام . ثم انهُ بعد هذا الكلام . اخذ يخادعهُ بالمحال . ويعيد عليه ما دار بينهُ وبين قيس من المقال . ويعتذر اليه بزخاريف الاقاويل . ويتنفس الصعدا من حر الغليل * وينشد ويقول من فواد متبول

باكريم الجدود سمح السجايا لا تلمنا فيما توقع منا
ان نكن مخطيا نفنك [illegible] او نكن في [illegible] [illegible]

كل هذا يجري . وعنتر كانهُ في دنيا اخرى. وقد حار واندهل.
ولم عاد يعلم ماذا يقول ويفعل * غير انهُ من شدة الحيا والخجل
رد عنان الحصان . وعول على الرجوع من الاوطان . واذا
باخيه شيبوب تقدم الى سنان. وقال لهُ يا شيخ الضلال ويا معدن
الخبث والاحتيال . قد ذكرت الان * امام السادات والفرسان
بانكم ما سبيتم حريمنا والعيال * الا لنعود اليكم في عاجل الحال
الى الاطلال . فاذا كان الامر كما ذكرت * ووضحت واعتذرت
فما هو ذنب دريد بن الصمة * صاحب العزيمة والهمة . حتى
قتلتم رجالهِ . وسبيتم حريمهِ وعيالهِ * ولا تظن ايها القرنان *
والذليل الجبان . بان يدخل علينا محالك . او يسلك علينا
مقالك . وانا اعلم يا ابن اللئام . انك ما تكلمت بهذا الكلام . الا
من شدة الفزع * والخوف والجزع . ولو كان فيك نخوة الاعراب
ما كنت تكلمت بهذا الخطاب * فسوف تلقى كيدك في نحرك
وتندم على عاقبة غدرك . فقال سنان لشيبوب * اعلم يا ناصر
الحروب . وفارج الكروب * اننا لم نتعرض لنسا دريد الليث
الكرار . والبطل المغوار . الا حتى ياتي مع اخيك الى هذه الديار *
ونخدمهُ في الليل والنهار . ونخلع عليهِ وعلى رجالهِ . ونجازيه
على بعض افعالهِ لاجل ما فعل مع اخيك من الجميل والاحسان
والمعروف الذي يقصر عن وصفهِ اللسان . وما تعرضنا لفرسانه
وجنوده واعوانهِ . فما كان ذلك باختيارنا ولا خطر في افكارنا

Digitized by Google

وانما هم تبعونا من الاطلال . ونحن راجعون بالحريم والعيال * فانتشب بيننا القتال . فقتل منا ومنهم من دنا اجله * وحلن من الى المقابر مرتحلة . على اننا لا ندع دريدا ان يرحل من اطلالنا حتى نحمل اليه دية اصحابه ونسامحه بدم رجالنا . بعد ما نقبل يديه . ونجعله لنا حصنا منيعا نلتجي اليه * لانه رجلا رفيع المقام يستحق التوقير والاحترام * لاجل ماشاع عنه في الانام . من الافعال العظام

قال نجد بن هشام * فلما سمع دريد بن سنان هذا الكلام اخفى ما بقلبه من الكمد . واظهر الصبر والجلد . وتبسم من ذلك المقال . وعلم ان عجزوا عن الحرب والقتال . وما تكلم سنان الا بالزور والمحال . وكان قد ابصر . الى الامير عنتر . قد رجع من شدة حياه . فارتد هو ايضا الى وراه . وهو يقول يا ابا الفوارس ويا زين المجالس . لو كان غير قومك فعلوا معنا هذه الفعال . كنت انزلت بهم الهلاك والوبال . وجعلتهم عبرة لمن اعتبر . في قبايل البدو والحضر . ما طلعت الشمس وشعشع القمر . فقال عنتر وحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . انهم يستحقون مثل هذا واكثر . ولكن من القى سلاحه . حرم قتاله وكفاحه . والان ما دام قد بلغنا من خلاص اموالنا ما نريد * ورأينا ساداث قومنا بين ايدينا مثل العبيد * سامحناهم على هذه الفعال وابتعدنا عنهم الى ابعد الاطلال . ثم انه بعد هذا المقال التفت

Digitized by Google

على اخيهِ شيبوب * وقال لهُ يافارج الكروب · اذهب الى ذلك
التيس . المدعو بالملك قيس · وقل لهُ ان يرسل حريمنا الينا *
وان محالهُ لم ينطلي علينا · فامتثل الى ما امر وفعل كما ذكر ·
وامر دريد فرسانهُ ان ترد المواكب * وابعد هو وعنتر في تلك
السباسب * ونزلا على بعض الغدران · وما قر بهما القرار في ذلك
المكان · حتى وصل اليهما المال · والحريم والعيال · فالتقى كل
واحد بحريمهِ واولاده . وقد طاب قلبهِ وفوادهِ : واجتمع مفرّي
الوحش بولده سبيع اليمن · وزوجته مسيكة صاحبة الوجه
الحسن · واجتمع عنتر بعبلة · وزالت عن قلبهِ الذبلة · واشتكى
كل واحد منهما لحبيبهِ ما يجدهُ من الم الفراق · ولواعج الوجد
والاشتياق · وبعد ذلك وصلت اليهم اسمطة الطعام . وبواطي
المدام · مع العبيد والخدام · فردوها ولم ياكلوا منها حبة . ثم انهم
اخذوا لانفسهم الاهبة · وركبوا ظهور الخيل * وساروا تحت
جنح الليل . طالبين ديار بني هوازن · وتلك المنازل والاماكن

قال مجيد بن هشام · ولم يزالوا سايرين اربعة ايام · ولم
يقطعون الفيافي والاكام · وفي اليوم الخامس عند طلوع النهار ·
بان لهم غبار · كالغمام السيار . فوقف دريد وعنتر · مع باقي
العسكر · وما منهما الا من اندهل وتحير · واراد ان يقف على
حقيقة الخبر · واذا بغبار اخر من بين ايديهم قد ظهر . وبعد ساعة
تفرق وارتفع · وبعد تفريقهِ اجتمع · حتى اسودت بهِ البراري

والقفار . ثم انكشف للعيون والابصار . وبان من تحته اعلام
عراقية . وبيارق كسروية . ورايات نعمانية . ورماح سمهرية .
وسيوف مشرفية . بايدي فرسان تصارع المنية . والكل با الدروع
الداودية . والبيض العادية . والدرق المطلية . والخناجر الدمشقية
ومن تحتهم الخيول المضمرة العربية . واذا بغبرة اخرى قد ظهرت
من جوانب الصحرا . وظهر من تحتها ابطال وفرسان . كانها
كواسر العقبان . على خيول اخف من الغزلان . وفي اياديهم
السيوف القواطع والاسنة اللوامع . الا ان اعظمهم ضجيجا . واشدهم
رغاء وعجيجا . الجيش الثاني الذي ظهر . فانه كان قد مالك عليهم
جوانب البر الاقفر . وكانت ابطاله تنادي وتصيح * من فواد
جريح * الى اين انتم سايرين يا انذال العرب * وقليلين النخوة
والادب * وبني فزارة وراكم في الطلب * فابشروا بالويل
والدمار * وقلع الاثار * الا تعلمون ايها الانذال * باننا لم نسلمكم
الاموال . والحريم والعيال * الا خبثا منا ومحالا . ومكرا واحتيالا
ابينما تكون قد وصلت الينا عساكر النعمان * وها قد ادركنا كم
الان * بالابطال والفرسان * فابشروا بالويل والقلعان

قال الاصمعي وكان السبب في مجي عساكر العراق * من
تلك الافاق * واتباعها لعنتر بن شداد * ودريد بن الصمة
ومن معه من الرجال الاجواد * الربيع بن زياد * معدن الشر
والفساد * لاننا قد ذكرنا قبل الان * بانه سار الى عند الملك

Digitized by Google

النعمان * مع حصن بن حذيفة وجماعة من الفرسان * ليطلبون منهُ الامداد * في قتل عنتر بن شداد . فلما وصلوا اليه * سلموا عليه * وتمثلوا بين يديه * فرد عليهم السلام * واجلسهم في صدر المقام * واكرمهم غاية الاكرام * ولما قر بهم القرار * نهض حصن امام الحضار * وشكي للنعمان عن عنتر * وما فعل بهم من العبر . وكيف ان دريدًا انزلهُ في اوطانهِ * وقواه بابطالهِ وفرسانهِ . ثم بكى وانتحب * وصاح وجلبب * من فواد قد اقرحهُ اللهب . وقال لهُ اعلم ياملك العرب * ما لقي احدًا مثل ما لقيت لانهُ لا اخفاك ايها الملك الهمام * بان اباءي الكرام * قد ذبحوا بحد الحسام * كما تذبح الاغنام * وربيت انا صغيرًا * يتيما حقيرًا . ولما صرت في سن الرجال * قنعت بما قد بقي لي من المال * وقلت اني اقضي بهِ باقي العمر * واصبر على جور الدهر * فسلط الله عليَّ عنتر بن شداد * نسل الاوغاد * حتي صار يغزوني في الاوطان * ويقتل كل من تقع عينه عليهِ من الاهل والخلان ويسبي البنات والصبيان * والحريم والنسوان * ويسوق النوق والجمال * وينهب الاموال * ثم حدثهُ بما تم عليه وقبل الارض بين يديه * وطلب منهُ المساعدة في قتل عنتر * ومن يلوذ بهِ من الاعوان والزمر

قال نجد بن هشام * فلما سمع النعمان منهُ هذا الكلام * بدل خوفهُ بامان * واجلسهُ في ارفع مكان * واخذ الربيع الى جانبهِ

Digitized by Google

وباسطهُ بالحديث وترحب بهِ * وقال لهُ كيف تركتم هذا
اليتيم المسكين * واهملتم امر ذلك العبد الهجين * فقال الربيع
قاتل الله من ذكرت وقتلهُ * والى طرق الهلاك ارسلهُ * لانها
قد كبرت نفسه الذميمة * ولم يبق لاحد عنده قدر ولا قيمة *
ثم حدثهُ بحديث الجارية نوار * وزاد عليهِ من الفشار الدرهم
قنطار . وقال لهُ في اخر الكلام . اعلم ايها الملك الهمام * والسيد
القمام . انّا ما قصدنا اليك . الا خوفا على انفسنا وعليك لانهُ لا
خفاك . حفظك الله وابقاك * بان عنتر من عظم تكبره . وجهلهُ
وتجبره . قد رحل من الاوطان . الى ابعد مكان . والتجى بمن هو
احمق منهُ واشد جهلا . واجبر منه واقل عقلا . وهو دريد بن
الصمة . الذي اتصف بالشجاعة وعلو الهمة وتفرد بالعمر
الطويل . واستطال على كل جيل . وقد ذلينا له ولعنتر . خوفا
من الاذية والضرر . وصرنا عبرة لمن اعتبر . في قبايل البدو والحضر
ومع كل ذلك ايها الملك المويد . ما كفى ذلك العبد الاسود
ما فعل معنا من الفعال الشنيعة . والامور القبيحة المريعة . حتى
انه من مدة ايام . ارسل يتهددنا بالكلام . ويقول لنا اعلموا يا بني
عبس وعدنان . ومن جاوركم من العربان . باني من الان وصاعدًا
ما بقيت اراعي احدًا . لا شريفا ولا اميرًا ولا سيدًا ولا وزيرًا .
لا ملكا جليلًا . ولا فارسا نبيلا . الا من ياتي اليّ . ويقدم عليّ *
يقبل يد دريد ويخدمه . ويجل قدرهُ ويعظمه . ويخضع

Digitized by Google

لاوامره واحكامهِ * ويكون من جملة اعوانهِ وخدامهِ . لاني قد عولت مع مشيئة الرحمن . ان اقيمهُ ملكًا على العربان . مكان الملك النعمان . وان تعصب له كسرى انو شروان . زازلت على راسهِ الايوان . وهدمت بيوت النيران . واقمت الحرب على ساق وقدم . وفتحت بسيفي بلاد العرب والعجم . واقيم دريدا مكان الملك كسرى . ولو جرى مها جرى

لانهُ يصلح لمثل هذا الحال نظرًا لما فيهِ من العقل والكمال . وعلو الهمة وحسن الخصال * التي لاتوجد في غيره من سادات الرجال * فهلموا الى خدمتهِ بسلام * والا وحق البيت الحرام * وزمزم والمقام قصدتكم تحت جنح الظلام * وانتقمت منكم غاية الانتقام * وجعلتكم احدوثة للانام * على مدي الاجيال والايام . فلما بلغتنا ايها الملك هذه الرسالة * وفهمنا ما فيها من تهديد وبسالة * لم نقدر ان نسير اليه * وناخذ روحه من بين جنبيه لكثرة العرب الذين حواليه * ومن شدة خوف الملك قيس على نفسهِ وعليك * جهزنا في جماعة من الرجال وانفذنا اليك * وها انا قد وصلت الى جنابك الكريم * والملك قيس في غاية الخوف من هذا الامر العظيم * على العيال والحريم * من ذلك العبد الذميم * والوغد اللئيم . الذي كانهُ الشيطان الرجيم

قال محمد بن هشام . فلما سمع النعمان من الربيع هذا الكلام استشاط غضبا . واضطرم فواده لهبا . وتزعزع من على سرير ملكهِ

Digitized by Google

ومال . وانطلى عليه ذلك المحال . والتفت على من حوله من الحضار . وقال وحق ذمة العرب الاخيار . اني قد سمعت عن دريد هذه الاخبار . جملة امرار . وكنت اظن ان اصل هذا الفشار . ناتج من جهل صهره سبيع بن الحارث الملقب بذي الخمار وما دام الامر على هذا الحال * لم يبق للسكوت ادنى مجال . لاني اعلم بان عنتر يقويه . وذو الخمار يحميه وينخيه . وبيلغان معه في التدبير غاية الجد . وينفتح علينا من هذا باب لا يسد ونتعب غاية التعب ويحيط بنا الهلاك والعطب . لا سيما وعنده اشد الفرسان . واقدر شجعان الزمان . الذين لا يهابون طعن الرماح . ولا يخافون لذع الجراح . مثل عنتر بن شداد وذو الخمار . ومقري الوحش ودثار . وخفاف بن ندبة والعباس . وغيرهم من كماة الناس * الذين قد اشتهروا بالشجاعة وقوة الباس .

قال نجد بن هشام * ثم ان النعمان بعد هذا الكلام . التفت على اكابر دولته . وعظما عشيرته . واستشارهم في قصته . فقالوا اعلم ايها الملك الكبير . صاحب التاج والسرير . ان المملكة لها شروطا * وقانونا مربوطا . يجب ان لا تهمل . والا وقع بها الخلل * وتغلبت عليها باقي الدول . وهو بذل السيف فيمن طغى . واقامت الهيبة على من عصي وبغى . ومن الصواب ايها الملك المويد ان ترسل لهولا القوم جيشا كثير العدد * حتى تبلغ الارب من دريد وذلك العبد الاسود الذي قد طغى

Digitized by Google

وتمرد . ويأتون بها الى بين يديك * ولتقر بعذابهما عينيك *
بعد ما يفتحون الحصون والقلع ويضعون السيف فيمن اطاعها
من اهل المطمع . وينكسون رايات الخوارج واهل البدع وبذلك
تتادب ساير القبايل * وتقع هيبتك في قلوب سكان البراري
والمناهل . واصحاب الحصون والمعاقل . فلما سمع النعمان منهم
هذا الخطاب . رآه عين الصواب * ثم انه اكرم القوم غاية الاكرام
واضافهم عنده ثلاثة ايام . وفي اليوم الرابع امر ساحات
العشاير . وقواد الجيوش والدساكر . بتجهيز الجنود والعساكر
فامتثلوا امره الشريف . وجمعوا الفرسان الغطاريف . ومن
يعتمدون عليه من الابطال * وصناديد الرجال . وفرسان
المعارك والقتال . فكانوا نحو مائة الف رجل وكسور * من كل
بطل مشهور . وفارس مذكور . الذي لا يهاب الموت . ولا يفوته
في طلب الفرصة فوت . ولما اكتمل العدد . قدم عليهم اخوه
الملك الاسود * وعمرو بن هند السيد الامجد . وامر اخاه الاسود
ان يسير مع الربيع بن زياد . ومن في صحبته من الرجال الاجواد
ويجد في قطع البراري والوهاد . ويقصد ديار بني هوازن .
وتلك المنازل والاماكن . ويضع السيف فيمن طغى وتجبر *
وعصي واستكبر . من قبايل البدو والحضر . ويأتيه بدريد وعنتر
في حالة الذل والصغر وانه لا يعبر على قبيلة من قبايل العربان
الا ويجدد معها العهود والايمان . ويأمرها بالطاعة وترك العصيان

وياخذ منها ما يريد من العساكر والاجناد * على سبيل المساعدة والامداد . وان خالفهُ احد من ملوك العرب . على هذا الطلب يضع فيهِ سيف النقمة . ويزيل من قلبهِ الشفقة والرحمة . ويجعل ديارهُ قفرًا وبيدًا . وياخذ عيالهُ واولادهُ عبيدا . فامتثل الاسود الى تلك الوصية . وسار على مثل هذه القوة والحمية . ونشرت على راسهِ الاعلام والرايات . ودارت بهِ الفرسان والسادات . هذا وقد ارتجت الاراضي والسهول . من قعقعة الطبول . ووقع حوافر الخيول . وكان الربيع بن زياد . من افرح العباد . لانهُ كان قد امل ببلوغ المراد . من هلاك دريد وعنتر بن شداد . فكان يحث العساكر على قطع القفار * ويجد السير في الليل والنهار * وكان الملك الاسود صاحب الرتبة السامية . كلما مرَّ على قبيلة عاصية . ادخلها تحت الطاعة . واخذ منها جماعة . من ارباب الفروسية والشجاعة

قال محمد بن هشام . ولم يزالوا سايرين يقطعون الفيافي والاكام . مدة تسعة ايام . وفي اليوم العاشر عند طلوع الشمس وصلوا الى ديار بني عبس . وهم في ماية وعشرين الف مقاتل . ما بين فارس وراجل . وامتلأت بهم الروابي والبطاح . وسدوا منافس الهوا باسنة الرماح . وكان وصولهم الى تلك الديار والفدافد بعد مسير دريد وعنتر بيوم واحد . فاستقبلهم قيس وسنان . في جماعة من العظما والاعيان . وانزلوا اخوة النعمان . ومن معهم

Digitized by Google

من اكابر الفرسان . في اعز مكان . ونحروا لهم النوق والفصلان
وامتلات ارض الشربة بالعساكر والجيوش . ونفرت من الغابات
الوحوش . ونزلت المواكب والكتايب . ولمعت البيض القواضب
وضجت الاقطار من ساير الجوانب . واظلمت المشارق والمغارب
وانقلبت الدنيا بضجيج الفرسان . والدعا للملك النعمان . وحمل
قيس الى الابطال والسادات . الاطعمة والعلوفات . ولما نزلوا
في الخيام . واكلوا الطعام . وقر بهم المقام . اجتمع قيس بعمرو
بن هند والملك الاسود . وحدثهما بما جرى وتجدد . وكيف انهم
اغاروا على بني هوازن . وتلك المنازل والاماكن . وقتلوا الرجال
ونهبوا الاموال . وسبوا الحريم والعيال . في غياب عنتر ودريد
من الاوطان . وكيف قصدهم دريد وعنتر بالابطال والفرسان
واعادوا عليهم القصة بالتمام والكمال . وكيف انهم ردوهم بالمكر
والاحتيال . خوفا من الحرب والقتال . فلما سمع الاسود ذلك
المقال . زاد به الخبال . والتفت على قيس وقال . وكم كان عدد
هولا الانذال . الذين طرقوكم الى الاطلال . قال في نحو عشرة
الاف من الشجعان . وصناديد الفرسان . ولو كنا نعلم . ايها
السيد المعظم . والليث الغشمشم . بانك قادم علينا في هذا الجيش
العرمرم . كنا لقيناهم بالقتال . لحين قدومك علينا بالفرسان
والابطال . فضحك الملك الاسود وتبسم . وقال له لهذا كان
الامر على مثل هذا فلا عليكم . لاننا قادرون ان ندركهم في

الطريق . وتعدمهم السعادة والتوفيق . لانهم يسيرون في امهال نظرًا لسير النوق والجمال . ونحن نتبعهم على ظهور الخيل العوال . وهذا من جملة السعادة وتسهيل الامور . في بلوغ المراد وتعجيل السرور . ومتى اصبح الصباح . واشرق بنوره ولاح نجد خلفهم في الطلب . ونمسك عليهم كل طريق ومذهب . وننال منهم غاية الارب . ثم انه بعد هذا المقال . اجتمع بالمقدمين والابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . واعلمهم بواقعة الحال وان ينادوا في الجيوش والاجناد . ان تكون في استعداد . فامتثلوا الى ما امر . وفعلوا كما ذكر . ولما وقف العسكر على هذا الخبر . فرح بهذا الندى . واستبشر بقرب المدى

قال جهينة اليماني . ولما كان اليوم الثاني . اجتمع الربيع بن زياد بالملك الاسود . وقال له اعلم ايها الملك المويد . ان مرادي ان اسبقكم . في البر الاقفر . في جماعة من شجعان العسكر . لاجل قتال دريد وعنتر . وامسك عليهم جوانب السباسب . حتى لا يهرب منهم هارب . ولا يسلم من المعاطب . من انت له طالب فقال افعل ما تريد . بلغك الله النصر والتأييد . فلما سمع منه تلك العبارة . نهض بوقاحة وجسارة . وركب في جموع بني فزارة واخذ في صحبته نحو عشرين الف عنان . من شجعان الفرسان وجد في قطع البراري والكثبان

قال سعيد بن مالك . ثم ان الاسود بعد ذلك . اضاف الى

اخيه عمرو بن هند الليث العابس . نحو عشرين الف فارس من كماة الرجال وصناديد الابطال * وقال له سر في عاجل الحال وامسك على القوم طريق الشمال . ثم ارسل الملك قيس على الاثر * في عشرين الف فارس غضنفر . ورحل هو بعد ذلك في باقي العسكر . وبقي في الحي لحفظ الحريم بعض اخوة الملك قيس في الف فارس . لكي يكونوا للحي بمنزلة الحافظ والحارس . هذا وقد امتلات اقطار السباسب . بالمواكب والكتايب * وارتفع الغبار من كل جانب . وتكدرت المشارق والمغارب . ورجفت الارض من ركض الخيل السلاهب . ولمعت الاسنة في القتام مثل الكواكب . ولم يزالوا يجدون السير . ويسابقون بسيرهم الطير . حتى ادركوا الامير عنتر في ذلك البر الاقفر . كما تقدم الخبر

قال نجد بن هشام . ورجعنا الان الى سياق الكلام . فلما ابصر دريد وعنتر تلك الحال . اعتراهما الانذهال . وخرجا عن دايرة الاعتدال . وقال عنتر لدريد وقد احمرت عيناه . وتقلصت شفتاه . وحق خالق البشر . لقد دهينا يا ابا النظر * فكن على حذر . فقد ادركتنا العساكر من كل جانب . ورمانا الزمان بسهام المصايب . واليوم تباع النفوس بيع السماح . وتخضب الاجساد بادمية الجراح . وتتكحل المقل باسنة الرماح . ثم انهما اخذا اهبتهما للحرب . واستعدا للطعن والضرب * ووقفا في ذلك

Digitized by Google

المكان . بمن معهما من الفرسان . وكانوا نحو عشرة الاف مقاتل .
ما بين فارس وراجل * والكل بالدروع والمغافر . والسيوف
البواتر . وكان الملك الاسود . لما ادركهم في ذلك الفدفد . صاح
على من حوله من الابطال . ومن يعتمد عليهم من الرجال . ان
ترد العساكر عن القتال . لحينما يراسلهم . قبل ان يقاتلهم . فامتثلوا
الى ما حكم . وردوا العسكر كما امر ورسم . وكتب من وقته
كتابا الى دريد بن الصمة . يقول فيه اعلم يا كاشف الغمه *
ومن قد اتصف بين العرب . بالفضل والادب . ان اخي
الملك النعمان . سيد العظما والاعيان . وخليفة كسرى انو شروان
والحاكم على قبايل العربان . قد ارسلني الى هذه البلاد * في هذه
العساكر والاجناد . حتى اصلح ما وقع فيها من الغي والفساد .
وادب عبد بني عبس الاجواد . المدعو بعنتر بن شداد . على ما
ابداه من البغي والعناد . واردّه الى طاعتهم ان ابى او اراد وقد
امرني ايضا ان ارسلك اليه . حتى تطا بساطه وتمثل بين
يديه . لاجل ان يسالك عن شي قد بلغهُ عنك من بعض الناس
واكثر ظني انهُ من المفسدين الارجاس . وقد حمدت رب السما
الذي ادركتك في الطريق . وتسهل عليّ الامر من غير تعب
ولا تعويق . فان كنت مطيع الدولة الكسرويه . والاوامر السلمية
السنية . فانفذ حريمك وعيالك . مع طايفة من رجالك . الى
اهلك واطلالك * واجب ملك العرب * الى ما طلب . وارحم

نفسك من الشقا والتعب . وان كان قد غرك الطمع . وزين

لك الجهل بان لا تخضع . ولا تجيب ولا تسمع . فتكون اذن

قد اشتهرت بالعصيان . وسللت سيف البغي والعدوان . وصح

فيك قول القايل . وتوجبني ان ادركك بالجيوش والجحافل

واجعلك مثلاً بين القبايل فالحذر ثم الحذر . لمن عصي واستكبر

والسلام لمن امتثل واجاب . وها انا بانتظار الجواب . ثم انه

استدعى ببعض الفرسان المغاوير . وارسله رسولا الى دريد

بذلك التحرير . فلما وقف دريد على هذه الرسالة . وسمع هذه

المقالة . وما فيها من تهديد وبسالة . عظم الامر عليه . وكبر لديه

واجتمع بالامير عنتر . واعلمه بذلك الخبر فانذهل وتحير . وطار

من عينيه الشرر . وجرى على قلبه ما لم يجرِ على قلب بشر .

واحمرت عيناه من شدة الغيظ والكدر . حتى صار تا مثل الجمر

الاحمر . وقال للرسول وحق خالق البشر . لو لم تكن في ذي

رسول لكنت جعلتك من هذه العساكر اول مقتول . ارجع

يا ويلك الى هذا الاسود البهلول . الذي لا يعرف معنى ما يقول

وقل له يدع عنه كثرة الفضول . ولا يغتر بهذه الجحافل والجموع

والقبايل . لان تفريقها عندي بشدة الحيل والقوى هو ووحش البر

بالسوى . واما اخوه النعمان . الذي فضله على ملوك الزمان . فانه اذل

من ثعلب . واحقر من ان ياسر كلبا من كلاب دريد شيخ العرب

لانه اشرف منه قدرا . وانفذ منه حكما وامرا . وفي هذا العلم

Digitized by Google

يصير نايب كسرى . ويفتح الارض برًّا وبحرا . واما من قول ذلك القرنان . ان مراده يصلحني من بني عبس وعدنان . فهذا الامر لا اسمعهُ على الاطلاق . ما دام انهم شكوا حالهم الى صهرهم ملك العراق . وحرضوه على قتالي . طمعا بهلاكي ووبالي . وانا وحق الركن والحجر . والبيت العتيق المطهر . ندمت على رجوعي عن بني عبس وفزارة بسلام . وما بذلت فيهم الحسام . وانتقمت منهم غاية الانتقام . على انني لو علمت بتدبير قيس وما فعل . كنت جازيتهُ على هذا العمل . وجعلتهُ مثلا يذكر . في قبايل البدو والحضر . على ان هذا الامر لا يفوتهُ ابدا . وسوف يحل بهِ الردا . بعد تفريقي مواكب العدا

قال نجد بن هشام . ثم ان عنترًا بعد هذا الكلام . ضرب الرسول على راسهِ . حتى كاد ان يخمد انفاسهِ . وقال لهُ ارجع من حيث اتيت . وحدث صاحبك بما سمعت ورايت . فرجع الرسول على الاثر . واعلم مولاه بما سمع وابصره وشاهد ونظر . فلما سمع الاسود منهُ ذلك المقال . خرج عن دايرة الاعتدال . واقام ينتظر رحيل الظلام . وكان كلام عنتر اشد عليهِ من ضرب الحسام . وكان عنتر ودريد قد باتا يحرسان الحريم . ويستشيران بعضهما في لقا ذلك الخلق العظيم . الى ان بدت غرة الصباح . وماج البر حولهما بفرسان الكفاح . فعند ذلك تاهبا للحرب والقتال وصاح دريد في الفرسان والابطال .

Digitized by Google

فتبادروا الى ظهور الخيل ٠ اسرع من نزول السيل ٠ وكان قد قسمهم تحت ستور الغسق ٠ الى ثلاثة فرق ٠ وجعل كل فرقة ثلاثة الاف مقاتل ٠ ما بين فارس وراجل ٠ وكان الامير عنتر قد اقسم بخالق البشر ٠ انه لايلتقي بني فزارة الا بالف نفر ٠ مع مفري الوحش الاسد الغضنفر

قال الاصمعي ولما اصطفت الصفوف ٠ وترتبت الميات والالوف ٠ صاح دريد في بني هوازن فحملت ٠ والى اعنة خيلها ارسلت ٠ وفي اوايلها خفاف ودثار ٠ وهما كاسد القفار ٠ وحملت ابطال بني قراد ٠ مع الامير شداد ٠ وزخمة الجواد ٠ وحمل عروة بن الورد برجاله الاجواد ٠ ومفري الوحش الفارس الجواد ٠ والى جانبه حية بطن الواد ٠ الامير عنتر بن شداد ٠ وهم يستغيثون برافع السبع الشداد ٠ فالتقتهم عساكر النعمان ٠ بقلوب كالصوان واشرعوا الى صدورهم اسنة الاشطان ٠ وذوابل المران ٠ ووقع الحرب والكفاح ٠ وجرى الدم وساح ٠ واشتد الصياح وحجب الغبار نور الصباح

قال الاصمعي وكانت وقعة عظيمة لم يسمع بمثلها في الايام القديمة لانه لم كان يرى بين القوم ٠ في ذلك اليوم ٠ الا رمحاً خارقاً ٠ وسيفاً بارقاً ٠ وفارساً شاهقاً ٠ ودماً دافقاً ٠ والابطال تموج من كل فج ٠ وجوانب الارض تميل وترتج ٠ ولقد حضرت جملة وقايع لعنتر فما رايت اشد من ذلك اليوم المنكر ٠ لان

Digitized by Google

الطايفة القليلة كانت من اشد الابطال . واشهر صناديد الرجال
فاظهرت في تلك المواكب . الاهوال والعجايب . واما الطايفة
الكثيرة فكانت تندفق من كل جانب . وتلقي انفسها في المصايب
وعنتر ودريد ومقري الوحش الليوث الغوالب . يصارعون
المنايا مثل السلاهب . بقلوب قد تعودت على النوايب . وكان
عنتر قد فتك في بني فزارة واعاد ربحهم الى خسارة . وقتل منهم
نحو الفين قتيل . ما بين صريع وجديل . وكانت الرماح تقصده
من ساير الجهات . وهو يطعن فيهم طعنات نافذات تهد الجبال
الراسيات . ويضرب فيهم ضربا اخف من هبوب الرياح
العاصفات . ويحمل عليهم ويزعق . ويقصد جمعهم فيتفرق
وكانت . الابطال الشداد . الذين عليهم الاعتماد . مثل مقري
الوحش وشداد . وخفاف بن ندبة وزخمة الجواد . وغيرهم من
الفرسان الاجواد . اضحوا في حالة العدم . من هول ذلك اليوم
العرمرم . الذي لم يسمع بمثلهِ في العرب والعجم . وكانوا قد فتكوا
في تلك الخلايق والامم . كما تفتك الذياب في الغنم . فرجعوا
وقد تحطمت في اياديهم العدد . وتخضبت بالدما الدروع والزرد
وكانوا في ذلك اليوم الشديد . كما قال صالح بن سعيد

لقينا صدور الخيل والجو اسود . وبرق المنايا في الجوانب لامع
فما عاد منا شيئا في يمينهِ . من السيف الا ما تلم الاصابع

وكان دريد قد قاتل القتال المنكر . ودحرج الروس مثل

Digitized by Google

الاكر . وانصب على ذلك العسكر . كانهُ عارض المطر * وطعن
فيهِ طعنا يذهل النظر . وضرب ضربا يعمي البصر . حتى كثرت
فيهِ الجراح . وسال دماه على اسنة الرماح . واما معري الوحش
الليث الكرار . والبطل المغوار . فكان قد دعل جواده من نصف
النهار . فادركهُ عنتر بن شداد . وقاتل عنهُ في معركة الطراد
حتى اتاه بجواد . من خيول الاعدا والاضداد . ولم يزل الحرب
يعمل . والدم يبذل . والرجال تقتل ونار الحرب تشعل . حتى ولى
النهار . واقبل الليل بالاعتكار . فافترقوا عن القتال بعد ما فنى
اكثر الرجال * ونزلت بنو هوازن وجشم وقراد * في تلك الوهاد
مع دريد بن الصمة وعنتر بن شداد . وهم في هول لا يرام وقد
سترتهم اجنحة الظلام . وايقنوا بالهلاك والبوار . ولما قر بهم القرار .
اجتمعوا للمشورة والمقال . في امر القتال * وذكروا ما قاسوه من
الشدايد والاهوال . فقال دريد اعلموا ايها الرجال . لو كان
قتالنا من جهة واحدة . ما كانت جرت علينا هذه المصايب
الزايدة . فقال عنتر . يا ابا النظر . اذا كان الامر على مثل هذا
الحال . فنحن عند الصباح نترك العيال . على ظهور النوق
والجمال . ونامر العبيد . بالسوق الشديد . ونحمل نحن بكل
فارس صنديد ونطلب رايات الملك الاسود . دون كل احد *
حتى اذا وصلنا اليها بالجد والمكابدة . جعلنا قتالنا من جهة واحدة
وطلبنا من الله المعاونة والمساعدة * وان راينا الامر قد تعسر *

Digitized by Google

وقصدتنا الاعدا بكل اسد غضنفر وخزنا الجبال . باسنة الرماح الطوال . وملنا عليها كل الميل . وصدمنا بها صدور الخيل . حتى اذا تفرقبت في هذه البيد بلغنا ما نشتهي ونريد . فاستصوب الرجال منهُ ذلك المقال . وانبرم امرهم على هذا الحال وباتوا وهم على ظهور الجنايب . والصباح ياخذهم من كل جانب

الى هنا انتهى الكتاب الستون
وسياتي تمام الحديث عن
هذه الواقعة في
الكتاب الذي
يليه

BIBLIOTECA
DI
IGNAZIO E MICHELANGELO GUIDI

Digitized by Google

Digitized by Google

Inv. VS 1429

SCUOLA ORIENTALE
BIBLIOTECA UNIVERSITÀ
B. Guidi I
6 C
24
ROMA

... O PER GLI STUDI ORIENTALI
UNIVERSITÀ
ROMA

Digitized by Google

Digitized by Google

SCUOLA ORIENTALE
BIBLIOTECA UNIVERSITÀ
B. Guidi . I
6 C
24
ROMA